

لجنة حفظ الآثار العربية - دار الآثار العربية

كتاب



خبرتك الفسطاط

ألفه ووقف على طبعه ونشره باللغة الفرنسية

مسيو أليز جبريل

و

المرحوم علي بهجت بك

أرشيكت حائز لدينوم الحكومة الفرنسية

مدير

ودكتور في الآداب

دار الآثار العربية سابقا

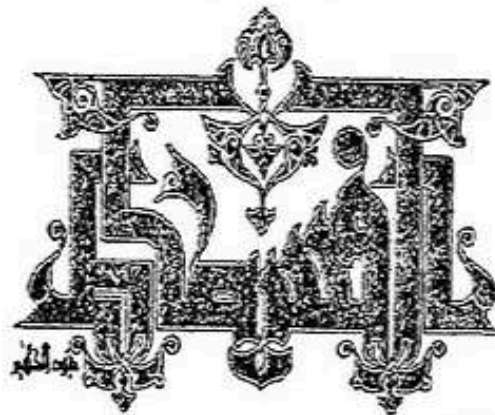
ونقله الى اللغة العربية

المرحوم علي بهجت بك

و

محمود عكوش

٧٥٨
١٤٣٢



تابعونا على :

أثرنا المنصية

آثار و حضارة و تاريخ بلدنا

[الطبعة الأولى]

معرض الكتاب كتيب أثرية وتاريخية
مطبوعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

٢١٩٢٨ - ٥١٣٤٧

المدونة



آثار و حضارة و تاريخ بلدنا

فهرست الكتاب

صفحة

كلمة افتتاحية ... (ى)

مقدمة الكتاب ... (ك)

تاريخ التنقيب على آثار القسطنطينية ... ٢

١ - الحالة التي كانت عليها التلال في سنة ١٩١٢ ... ٢

٢ - عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ - ١٩٢٠ ... ٣

٣ - في اختيار موقع الحفر ... ٤

٤ - في تحديد التواريخ وفي أصول التلال وتكوينها ... ٤

٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر ... ٥

الباب الأول - شيء من تاريخ القسطنطينية ... ٩

١ - بابليون والفتح الاسلامي ... ٩

٢ - في تخطيط مدينة القسطنطينية ... ١٠

٣ - في تأسيس مدينة العسكر ... ١١

٤ - في منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع ... ١٢

٥ - تأسيس القاهرة وأقول نجم القسطنطينية ... ١٣

٦ - حريق القسطنطينية ... ١٦

٧ - في تاريخ القسطنطينية من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا ... ١٧

الباب الثاني - بحث في خطط القسطنطينية ... ١٩

١ - في تنقل ساحل النيل ... ١٩

(أ) في أيام الفتح ... ١٩

(ب) في عصر الخلفاء الفاطميين ... ٢٠

(ج) في عصر السلاطين من بني أيوب ... ٢٠

(د) في العصر الذي أعقب الدولة الأيوبية ... ٢١

٢ - في تأسيس القسطنطينية وتوزيع خططها على القبائل ... ٢١

٣ - الكلام على المدينة الأولى ... ٢٣

صفحة

٢٥	٤ - في حدود القسطاط والعسكر والقطائع
٢٧	٥ - رسم تقريبي بين مواقع القسطاط والعسكر والقطائع
٢٨	٦ - في خراب المدينة
٣٠	٧ - في جزيرة الروضة
٣١	الحسدان الموصلان بين الروضة وساحل النيل
٣٢	٨ - دار الصناعة
٣٢	٩ - في ميناء القسطاط
٣٣	١٠ - في القرافة

الباب الثالث - الخريطة العمومية للقسطاط وهيئتها

٣٥	١ - مميزات عملية التقيب على الآثار في القسطاط
٣٦	٢ - خريطة القسطاط العمومية
٣٦	(أ) الشوارع والدروب
٣٧	(ب) هيئة الدروب وخصوصياتها
٣٨	(ج) أبواب الدروب
٣٨	(د) الرحاب
٣٩	(هـ) طبقة أرض القسطاط
٣٩	(و) الآبار السابلة
٣٩	٣ - منظر بقاء المدينة

الباب الرابع - الدور ذوات الحيشان المتوسطة ووصفها

٤٥	- المجموعة الأولى من الدور
٤٥	- الدار الثانية
٥٥	- الدار الثالثة
٥٩	- الدار الرابعة
٦٤	- الدار الخامسة
٦٥	- مجموعة الدور السادسة والسابعة
٦٩	- الدار السادسة
٧٢	- الداران السابعة والسابعة «مكرر»
٧٨	- الدار الثامنة
٨١	-

٨٥	الباب الخامس - مميزات الدار التي بوسطها حوش
٨٦	١ - النسب
٨٨	٢ - الاتجاه
٨٨	٣ - مشتملات الدار
٨٨	(أ) الحوش
٨٩	(ب) الرواق والقاعة
٩٢	(ج) الأواوين
٩٣	(د) باب الدار
٩٣	٤ - الطبقات
٩٥	٥ - الغرف واستعمالها وتقاسيم الدار
٩٩	الباب السادس - صناعة البناء
٩٩	١ - الأسس
٩٩	(أ) الأسس المبنية بالدبش
٩٩	(ب) الأسس المبنية بالآجر
١٠٠	(ج) البناء بالمدر (كل الطين)
١٠٠	٢ - البناء بالآجر
١٠٠	(أ) الآجر
١٠١	(ب) نظام البناء
١٠٢	(ج) المون
١٠٢	(د) الحمامات والبياض
١٠٣	(هـ) القوائم الحجرية
١٠٤	(و) الأربطة
١٠٥	(ز) العقود والأقية والصفف
١٠٥	٣ - التليط
١٠٦	٤ - المعدات الصحية
١٠٦	(أ) المراحيض
١٠٨	(ب) المجاري
١١٠	(ج) السيارات

صفحة

١١٣	٥ - نظام توزيع المياه
١١٣	(أ) الآبار
١١٣	(ب) القنوات
١١٤	(ج) الفساق
١١٦	(د) أحواض غسيل الأيدي
١١٧	الباب السابع - قطع من الزخارف
١١٧	١ - الكسوة بالحص
١٢٠	٢ - الكسوة بالحص والآجر
١٣١	الباب الثامن - فى العهد الذى ترجع إليه الأبنية التى كشفت من القسطاط

لما أثمرت مجهودات المرحوم على بهجت بك، في عمليات الحفر باطلال القسطاط، وظهرت
التأثيرات العملية لهذه المجهودات، بفضل رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك "فؤاد الأول"
وتشجيعه، أبدى جلالته رغبته السامية في تدوين هذه التأثيرات، في مؤلف يشمل البحث العلمي
فيها من الوجهتين الفنية والتاريخية .

فتحقيقاً لهذه الرغبة السامية، وضع المرحوم على بهجت بك مؤلفاً باللغة الفرنسية أسماه
"حفريات القسطاط"، واشترك معه في وضعه جناب مسيو البير جبريل، أحد تلاميذ المدرسة
الفرنسية المختصة بدراسة آثار اليونان، الذي سبق له مزاولة التنقيب عن الآثار في جزيرة ديلوس
وغيرها . وقد قوبل هذا المؤلف عند ظهوره في المجتمعات العلمية بالاستحسان .

ولما كان نشر العلم بين الجمهور، من أجل رغبات حضرة صاحب الجلالة الملك، تفضل
حفظه الله، وأصدر نطقه الكريم، بنقل هذا المؤلف إلى اللغة العربية ليستفيد الناطقون بالضاد
من أبحاثه الأثرية والتاريخية .

فبدأ المرحوم على بهجت بك بتنفيذ الأمر، وعرب قسماً من الكتاب . وقد عنت بعد ذلك
وزارة الأوقاف بتمام تعريبه، وعهدت إلى دار الآثار أن تقوم بهذا الواجب خدمة للعلم وتحقيقاً
لرغبة ملك البلاد . وها هو، بحمد الله، قد تم تعريبه وطبعه، في عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك "فؤاد الأول" أيد الله ملكه .

كلمة افتتاحية

من المآثر الجليلة والمنن الخالدة في تعضيد البحوث العلمية المفيدة والعناية بنشرها، صدور الارادة الملكية السامية لوزارة الأوقاف بنقل كتاب "حفريات القسطنطينية" الى اللغة العربية، وهو الكتاب الذى وضعه أستاذنا وصديقنا فقيده العلم، المرحوم على بهجت بك، بالاشتراك مع جناب مسيو البير جبريل تنفيذا لرغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، "فؤاد الأول" حفظه الله، فى تدوين المعلومات التى استخلصت من عمليات الحفر والتنقيب فى أطلال مدينة القسطنطينية . ولقد كان من اهتمام وزارة الأوقاف ، بانجاز هذا العمل الذى بدأه المرحوم على بهجت بك ولم يتمه فى حياته ، رحمه الله ، أن تعهد باتمامه الى دار الآثار العربية .

وصادف صدور أمر الوزارة فى الوقت الذى عينت فيه مديرا لدار الآثار العربية .

وكان المرحوم على بهجت بك قد اختار للاشتراك معه فى ترجمة قسم من الكتاب، حضرة محمود عكوش افندى الموظف بقسم الآثار العربية بوزارة الأوقاف، بعد أن استبقى لنفسه الأبواب الثلاثة الأولى من المتن . وقد أتم ترجمتها كما أتم عكوش افندى ما كلف به الى آخر الباب السابع، وتمكن من مراجعة ذلك مع المرحوم على بهجت بك .

ثم حالت المنون دون إشتغال المرحوم على بهجت بك بما بقى من الكتاب، وهو الباب الثامن والهوامش .

واذ عهد إلى بانجاز الكتاب، طلبت القسم المترجم واستصدرت قرارا من لجنة حفظ الآثار العربية بطبع الكتاب على نفقة دار الآثار العربية . وقد وقع الاختيار على مطبعة دار الكتب المصرية . وفى أثناء العمل، أتم عكوش افندى القسم الباقى ووقف على عملية الطبع . ونرجو أن يجد القراء فى هذا الكتاب، وقد انتهى بحمد الله، ما يحببهم فى دراسة الآثار والحرص عليها، واستقصاء ما تنطوى عليه من المعلومات الجليلة، والمميزات الخاصة التى تزيدنا معرفة بأعمال السلف .

ولقد كان من عناية ادارة مطبعة دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب، على هذا الوجه، ما يسوغ لها قبول شكرنا . كما أننا نثبت هنا شكر دار الآثار العربية وامتنانها، للعهدة العلمى الفرنسى الذى تفضل جناب مديره العالم الفاضل مسيو پير جوجيه، بتقديم الحروف اللازمة لطبع الكلمات اليونانية الواردة فى المتن .

أدام الله حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، نصيرا للعلوم والفنون، وأبقاه للأمة المصرية وحفظ أنجاله .

مدير دار الآثار العربية

جاستون قبيت

مقدمة الكتاب

لما كان كشف موقع الفسطاط بتمامه يستدعى عدة سنين وكانت النتائج التي حصلنا عليها حتى اليوم لا يستهان بها، فكرنا في أنه من الممكن الشروع في نشر هذا الكتاب دون انتظار اتمام عملية الكشف .

وسنشر فيما بعد في بيان الأحوال التي باشرنا فيها هذه العملية، مدة السنين الثمانية التي مضت، ونرجو أن يستمر الكشف على الطريقة الأصولية، والأمل عظيم في أن تأتي أعمال السنين المقبلة بنتائج عظيمة .

وقد وفقنا، حتى اليوم، الى كشف جانب كبير من الفسطاط بما فيه من : دوره، وحواليته، ومخازنه، وحماماته، ومصانعه، وأظهرنا السور الذي أقامه السلطان صلاح الدين فيما بين القلعة والنيل، وحفرنا في سمته جملة حفر للتثبيت من وجوده، هذا من حيث الآثار الثابتة . أما الآثار المنقولة فقد عاد الحفر على دار الآثار العربية بالخير العميم، اذ ضم الى مجموعاتها الكثير من الطرف الأثرية، وأخصها، مجموعة الخزف التي هي فريدة في بابها، ولا شك عندنا في أن بعض هذه المكتشفات يؤدى الى ظهور عدة مباحث تتعلق بتخطيط المدينة وبتاريخ الفنون، وقد أحيينا أن نعجل بتدوين مشاهداتنا الأولية منذ الآن، لأننا نرى أن النتائج الأولى التي حصلنا عليها تكفى على انفرادها، لأن تلقى شعاعا من النور على أصول الفنون الاسلامية، وتقدم لتاريخ رقيها شواهد جديدة .

مع ذلك نخشى أن تقدم من الآن قولاً قاطعاً في الموضوع، وإن كنا لم نقتصر في الحفر على ما كشفناه من الخطط التي يدور عليها البحث في كتابنا هذا، بل عملنا بعض مباحث متباينة الأهمية في مواقع مختلفة، وذلك لأننا لانزال في حاجة الى اتمام البحث في مناطق أخرى لفتت نظرنا منذ زمن طويل .

ومن ثم يعلم ، أن غرضنا من وضع هذا المؤلف إنما هو جمع جملة شواهد ثابتة لانتقضى ، ولم يكن في مقدورنا أن نعيد الأبنية الى أصلها ، لأسباب منها : الكيفية التي كانت تتبع في عملية الحفر ، والحالة التي وجدت عليها المباني ، وقرب العهد بالمسائل التي يدور عليها البحث لحداثتها ، فلو هممنا باعادة المباني كأصلها لكان جانب التخييل زاجحا في عملنا .

أما فيما يخص العهد الذي شيدت فيه الأبنية التي كشفت ، والمصدر الذي أخذت عنه ، فانا تقتصر على سرد الشواهد التي يمكن اعتبارها منذ الآن مقبولة ، فاذا ما أتت عقب النتائج الأولى للحفر نتائج متممة لها : يسوغ لنا وقتئذ أن نضع بيانا عاما يحدد أصول العمارة العربية في الديار المصرية .

وسيجد القارئ فيما بعد ، بيانا بأسماء الكتب التي يرد ذكرها في كتابنا هذا ، ونخص بالذكر من بينها الكتاب الذي عني بتأليفه في موضوع تخطيط القسطنطينية ، العالم الكبير المدرس في كلية فرنسا ، مسيو يول كازانوفا ، فانا قد رجعنا غير مرة الى الأجزاء التي ظهرت منه حتى اليوم ، فكان لنا منها المرشد في أبحاثنا ، المؤيد لاستنتاجاتنا .

ولقد كان لنا ، من أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية ، العضد القوي في أعمال التنقيب ، والمهد لنشر هذا المؤلف ، ونخص من بينهم جناب مستر فرنل ، لما أظهره من ارتياحه لعملنا والاهتمام به ، وجناب مسيو لاكو ، لما حققه لنا دائما من صادق ولائه ، اذ كان يتعرف أخبار بحثنا ويشجعنا . ولقد تفضل فأعارنا ما كان في غنى عنه من أدوات الحفر ، ولذلك نقدم للجميع هنا خالص الشكر .

وانا لنرى من الواجب علينا أن نذكر حضرة محمود أفندي أحمد المهندس في لجنة حفظ الآثار العربية ذكرا خاصا ونقر له بالفضل لما بذله من الجهد والاجتهاد ، وبرهن عليه من الكفاءة والاستعداد ، في رفع رسوم المباني ، ونعترف له بالمعونة الحقة في ملاحظة عمليات إرجاع الشيء لأصله . والفضل في الصور الفتوغرافية التي حلى بها هذا المؤلف ، يرجع الى حضرة أحمد أفندي صادق الذي أخذ هذه الصور بكل عناية وحذق .

وانا نشكر كذلك ، جناب مسيو لوكاس مدير المعمل الكيماوى ، إزاء ما قام به من تحليل مواد . وفى الختام ، يحق لنا أن نثنى الثناء العاطر على ضباط فرقة الطيران الانكليزية الذين قدموا لنا مساعدتهم بالاجمال وأن نسدى شكرنا لكل من مد لنا يد المساعدة في عملنا .

تاريخ النقيب لآثار الفسطاط

في سنة ١٨٣٥، رغبت الحكومة المصرية في حفظ آثارها الأهلية من الضياع، فثارت لذلك مصلحة خاصة لم تزل تعمل حتى يومنا هذا، أخذت على عاتقها من جملة ما أخذت من الأعمال ملاحظة التلال المحيطة بالقاهرة، وبقيت تلاحظها الى أن كانت سنة ١٨٩٢ حيث طلبت لجنة حفظ الآثار العربية أن تكون ادارة هذه التلال من اختصاصها، فأجيب هذا الطلب وعمل به الى سنة ١٩٠٦، ثم تخلت اللجنة عن تلك التلال، فأعيدت الى مصلحة الآثار التاريخية كما كانت من قبل .

وفي سنة ١٩١١، باشرنا بعض أعمال الحفريات على سبيل التجربة في باطن التلال المذكورة، وحصلنا على نتيجة مرضية، فاستندنا على ذلك وأوضحنا للجنة فائدة هذه المنطقة من وجهة الآثار الإسلامية، فتقرر فصل التلال من جديد عن مصلحة الآثار التاريخية وإلحاقها بدار الآثار العربية، فأصبحت تدير مجموعتنا وتنمي حاصلاتنا .

١ - الحالة التي كانت عليها التلال في سنة ١٩١٢

أقل ما يقال عن الطريقة التي كانت متبعة وقتئذ في ملاحظة هذه التلال، انها لم تعد على دار الآثار بفائدة ما، إذ بينما كانت المجموعات الخصوصية الكبرى، مثل مجموعات : فوكيه واينيس وكيننج، تتكون وتنمو، والكثير من الأنتيقات العربية ينقل الى أوروبا وأمريكا، لم يكن قد دخل دار الآثار العربية حتى سنة ١٩١٢، إلا بعض القطع غير النادرة .

ومما يؤسف له شديد الأسف، أن أطلال الفسطاط أخذت تلعب بها يدي التخريب : فسرع ما بعض مستخرجي الأحجار أن يفتحوا المحاجر، ليس في جوانبها الأربعة فقط بل وفي وسطها،

قتسف أكثر من ربع المدينة الذى كان مخبوءا تحت طبقات التراب ورخص، كآبة، لمستخرجى الآجر القديم أن يستخرجوه من منطقة القسطاط .

واذ كانت التلال يستخرج منها السباخ الجيد لتسميد الأراضى، أذن لبعض الأفراد باستخراجه لمدد تختلف فى الطول بشروط مكتوبة . ولكن هذه القيود لم يطالب صاحب الرخصة بالعمل بها، فلم يدخل دار الآثار العربية شىء من الأنتيقات التى تظهر أثناء الحفر، ولم يكشف بناء واحد من الأبنية .

ولما أريد ردم بعض منخفضات جزيرة الروضة، فى سنة ١٩٠٥، أخذت الأتربة اللازمة للردم من تلال القسطاط، كما هى، دون أن يراعى فى أخذها جمع ما عساه يظهر من القطع الأثرية أو المحافظة على الأبنية القديمة .

هذا ما وقع فى أطلال القسطاط فى العهد القريب . أما ما تم فيها فى القديم، فكان صورة مصغرة من هذه، فانه لما حدث ما اتفق المؤرخون على تسميته "خراب القسطاط"، فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، كما ستقف عليه فيما بعد، ونهبت الدور التى هجرها ساكنوها، جاءها راغبو العمارة فى القاهرة، فأخذوا منها ما بقى من مواد البناء . واستمر الناس يأخذون منها ما يلزمهم عدة قرون حينما شيدت المباني على ساحل النيل . ولا يعلم إلا الله مبلغ الأهمية الأثرية فى هذه المنطقة التى امتدت إليها الأيدى وخربتها قديما وحديثا وما ضاع فيها من الفوائد الجمة التى كانت تعود منها لو تركت على أصلها .

وما عرفناه من تاريخ المدينة وتحققناه بالعيان، مما كشف من أبنيتها، يجعلنا نأسف كل الأسف، لبقاء التخريب يعمل عمله، حتى الزمن الذى نحن فيه، مع أن سائر البلاد تحرص كل الحرص على دراسة بقايا العصور الماضية بكل دقة، وإن كانت دون بقايا القسطاط فى الأهمية . ومن أجل ذلك، يسوغ لنا أن نصرح بأن من الغلطات التى لا تغتفر، عدم حماية بقايا العاصمة الإسلامية الأولى للديار المصرية، حماية أجل خطرا وأفعل أثرا .

٢ - عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٠

من أول يوم فوّضت لنا ادارة الحفر في أطلال الفسطاط، كان جل قصدنا، عدم الترخيص بقدر الطاقة بفتح محاجر جديدة في وسط المدينة البائدة ، ولكنا لم نحصل على غرضنا كله . بل يسوغ لنا أن نصرح ، بأن خطة الرصد بتمامها التي كانت تشرف على بركة الحبش وكذلك الدور الفاخرة والمناظر الجلييلة التي كانت تحف بهذه البركة، محي أثرها دون أن يبحثه باحث أو يدرسه دارس .

وفي اللوحين الثالثة والرابعة، ترى موانع المحاجر من المنطقة التي كشفناها . وفيهما يرى الناظر كيف ان شركة السياح تمكنت من ابتياع أرض واقعة في بقعة من أكبر البقاع فائدة لعلم الآثار "الاركيولوجية" ، وكيف أقامت عليها أبنية أصبحت حائلا دون البحث فيها .

وكان بودنا، لو أننا تمكنا من الحفر في الأرض الخالية من الموانع والمحظورات على مقتضى الطريقة العلمية الحديثة . أعنى بذلك : كشف الأتربة طبقة بعد طبقة . ولكن حال دون العمل بهذه الطريقة، ارتفاع التلال، واتساع المنطقة المقتضى كشفها، ونقل الأتربة المخلفة عن الكشف الى أماكن بعيدة . وكل ذلك كان يستدعى كثيرا من العمل والنفقة .

لذلك، رأيت الاستفادة من عملية استخراج السياح، فمكنتنا من كشف جانب عظيم من المدينة . ولكنا اضطررنا لأن نضع للعمل نظاما خاصا غير الذي كان متبعاً من قبل ، فآلفنا طائفة كبيرة من الحراس لم تقتصر مهمتها على جمع ما عساه يظهر أثناء الحفر من الانتيفات بل منع هدم أى جزء من المباني قبل أن يعاينه أمين دار الآثار بنفسه . وبهذه الطريقة حفظت بقايا الأبنية وان صغر حجمها . وكنا نعمل المساند عند الحاجة، حتى لبقايا الجدران المعلقة (أى التى اقتلع الطوب من أسفلها فبقيت معلقة بين طبقات الأتربة) اذا ظهرت أهميتها، بحيث أصبح بيع الآجر قاصرا على بعض قطع الجدران المقتلعة التى لا فائدة من وجودها .

٣ - في اختيار موقع الحفر

اخترنا لعملية استخراج السباخ، المنطقة الواقعة شرق جامع عمرو المساة حلقوم الجمل، المتصلة بكم الشفاف، لوقوعها في وسط مدينة الفسطاط . ولكنا لم نقصر البحث على هذه المنطقة، بل أذنا، كما سبقت الإشارة اليه، بالعمل في جملة مناطق أخرى، يقع بعضها في العسكر والبعض في القطائع والبعض في الفسطاط عند حدود القرافة قرب عين الصيرة، كما تراه مينا في الشكل الأول . وبهذه الوسطة كشفنا جملة مبان، وان لم تكن كلها في درجة واحدة من الأهمية، ولكنها تنطق بوجود الشبه التام في الوضع والبناء بين جميع الأبنية التي كشفت في هذه المناطق المتباعد بعضها عن بعض .

٤ - في تحديد التواريخ وفي أصول التلال وتكوينها

سيجيء لنا، فيما بعد، كلام مطول عن العهد الذي ترجع اليه مباني الفسطاط . وهي مسألة نصح من الآن بأنها في متبى الدقة، فلا ندعى بأننا وصلنا فيها الى رأى قاطع، وانما نتمشى فيها تبعاً لما يظهر لنا من نتيجة الكشف دون أن نهمل قول المؤرخين، وان كان يتعين أخذه بالاحتراس الكثير .

وهنا نستأذن القارئ في الجواب على اعتراض اعترضه البعض أكثر من مرة، بشأن الطريقة التي اتبعناها في الحفر، على ظن أنه كان من الممكن الحصول على تواريخ مضبوطة، لو عملنا بالطريقة المألوفة في مثل هذا النوع من الحفر، أعني بها : رفع التراب من التلال ، طبقة بعد طبقة ، وحصر ما يوجد في كل طبقة من القطع الأثرية .

وانا نرد على هذا الاعتراض، أولاً : بأن مدينة الفسطاط لا تقاس بمدينة تروادة ولا بمدينة ميسين ، حيث الطبقات المتتالية تدل على توالى العمار التي أقيمت بعضها على أنقاض بعض ، بل أن الفسطاط لم تعمر أكثر من خمسمائة سنة . وسيرد عليك انها كانت مشرفة على انحراب حينما أوقد فيها شاور النار سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) فان السكان كانوا قد هجروا معظمها أيام المستنصر، وانتقلوا الى القاهرة أو على ساحل النيل، واتخذوا فيها مباني اتزعمت موادها من أطلال المدينة المتداعية .

أما الخطط التي كانت لا تزال معمورة فيها، فكان سكانها وسكان القاهرة نفسها يلقون ما يختلف من أنقاض أبنيتهم التي يشيدونها فوق ما قرب منهم من تلك الأطلال . وكلما أصبح المكان الذي يلقون فيه الأنقاض تلالا عاليا يصعب ارتقاؤه تجاوزه الى مكان بجواره . ولها امتد خراب القسطنطينية، امتدت معه التلال بعضها تلو بعض .

على هذا النسق تكونت تلال القسطنطينية . ومن السهل اذن ، أن يدرك الانسان أن الشيء الذي يثر عليه في ذروة أحد التلال قد يكون من عصر الشيء الآخر الذي يوجد في سفلى التل المجاور له . ومن ثم يسوغ القول، بأن توزيع الأشياء التي توجد في باطن التلال على طبقاتها لا يمكن أن يتخذ شاهدا على تحديد تواريخ الأبنية التي كشفت .

ولقد ادعى صاحب الانتقاد أن حريق القسطنطينية ترك أثرا واضحا جليا يراه المتأمل في صفحة قطاع التلال، وهو خط أسود يتعرج بتعرج صفحاتها، يريد الناقد أن يعين بمقتضى ظهور هذا الأثر تواريخ ثابتة . ونحن نقول له : إن المتأمل في صفحة التل لا يرى خطا واحدا بل خطوطا منشؤها احتراق المواد العضوية المختلطة بالأتربة، على أن هذه الخطوط ليست بالانتظام والاستمرار اللذين يريد أن يصفها بهما ذلك المتقيد .

نقول ذلك، ونحن نعترف مع السرور بأن عملية استخراج السباخ مهما كانت ملاحظتها دقيقة لا تتفق مع البحث العلمي . ولكننا لا نظن أنه في حالتنا الخاصة، كان من الممكن بأية طريقة أخرى من طرق الحفر أن نحصل على شواهد أتم وفوائد أعم . ونختتم هذا الباب بأن تؤكد للقارئ أنه من يوم أن تولت دار الآثار العربية زمام العمل في القسطنطينية لم يهدم جزء واحد من أجزاء البناء مهما صغر حجمه ^(١) .

٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر

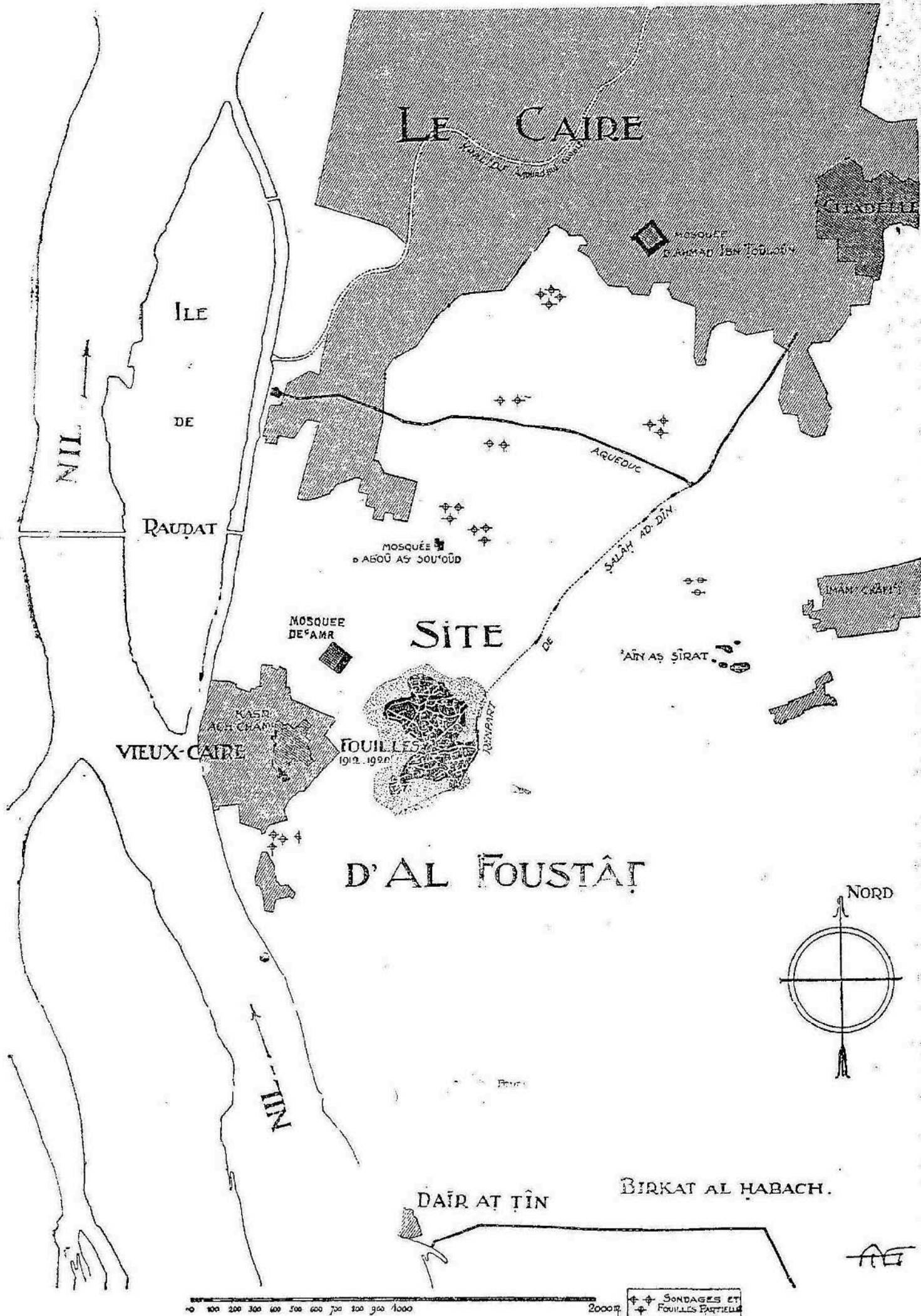
قلنا أن عمليات الحفر عادت على دار الآثار العربية بأعظم فائدة إذ ضمت الى مجموعاتها الطرف الأثرية الآتية، وذلك بخلاف ما انكشف من بقايا المباني التي هي موضوع كتابنا هذا :

(١) جمع جناب سترمرى فرنل ، مراقب صندوق الدين الانكليزي ومن أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية، كلما تداولته الجرائد من الجدال في موضوع الحفر بالقسطنطينية . وقد نشر في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ عكوش

فما دخل دار الآثار من الفسطاط :

- (أ) عدد جم من قطع الخزف المدهون بالمينا على اختلاف أنواعه، بعضه عليه كتابة منقوشة، وشارات ورنوك سلاطين مصر وأمرائها . ومنها أيضا ما ينسب لجماعة عرفوا في التاريخ . وبعضه عليه صور للإنسان والحيوان . والبعض عليه رسوم هندسية وغير هندسية ^(١) .
 - (ب) قطع من الزجاج المطلى بالمينا، عليه زخارف مختلفة ورسوم متنوعة وكتابات وشارات .
 - (ج) قطع من أثاث الدور والقصور، ولوحات دقيقة النجارة، وإغلاق وضرب وسماعات أبواب، وأدوات طبخ ومباخر، وألعاب أطفال، أمشاط وأدوات زينة .
 - (د) بعض أوراق من ورق البردي، مكتوب باللغة العربية، مما يرجع عهد أكثره الى عصر الدولة الفاطمية .
 - (هـ) بعض أوراق عادية، مكتوب فيها عقود ونصوص تجارية وإدارية، ترجع الى القرون السادس والسابع والثامن للهجرة .
 - (و) تيجان أعمدة مصنوعة من الرخام والحجر منقوشة نقشا بديعا .
 - (ز) زخارف من الجص .
 - (ح) بعض أحجار عليها نقوش هيروغليفيه (أهديت لدار الآثار المصرية) .
- ومن الاطلاع على اللوحات الملحقه بهذا الكتاب، تعرف أهمية ما يعثر عليه بالحفر وما فيه من التنوع .

(١) عما قريب يظهر كتاب حافل في موضوع الخزف المصرى في العهد الاسلامى .



شكل ١ - موقع الحفر

الباب الأول

شيء من تاريخ الفسطاط

١ - بابليون والفتح الاسلامي

في سنة عشرين للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام (سنة ٦٤٠ م)، هم عمرو بن العاص في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتح مصر بجيش صغير، فلم يقاومه أهلها إلا بالأمر الخفيف حتى جاء قرية أم دنين^(١)، وفيها جاءه المدد من عمر إلى أن بلغ بجيشه اثني عشر ألفا على رواية. وكان من ضمن المدد الذي بعث به الخليفة الزبير بن العوام، فتقدم هذا الجيش حتى مدينة بابليون^(٢) وحاصرها. وليس من السهل معرفة ما كانت عليه هذه المدينة من الأهمية وتعيين موقعها. وقد ذهب مسيو كازانوفكا إلى احتمال وجود حصن آخر أو قصر منفصل عن المدينة، وقال: إن قصر الشمع بقية من استحکامات المدينة التي كانت في يد الاقباط^(٣)، أما الحصن فكان موقعه على الشرف، وقد يكون البناء المنعزل المتخذ الآن معملا للبارود المعروف عند الأهالي بأسطبل عترة^(٤).

على أنه مهما كان لهذه الأقوال من الفائدة والأهمية، فإن فيها شيئا من التناقض وليس بينها وبين بحثنا رابطة.

(١) قال المقرئ أن قرية أم دنين تعرف الآن بالمقس (ص ٣٥٩ ج ١ وص ١٢١ ج ٢). ومن المعلوم أن هذه الحلة كان بها جامع المقس الذي أنشأه الحاكم بأمر الله - وهو الآن جامع أولاد عتار على مقربة من محطة مصر. (٢) المقرئ ج ١ ص ٢٨٨ وما يليها. (٣) راجع ما كتبه كازانوفكا عن بابليون وقصر الشمع في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ (تقرير رقم ١٤٧) وفي مقدمة طوبوغرافيا الفسطاط ص ٢٤ وما يليها. وقد كتب المرحوم هرتس باشا فصلا في مجلة الاسلام الألمانية سنة ١٩١٧ تلخص فيه هذه المسألة وبين اختلاف الأقوال فيها بعنوان «بابليون وقصر الشمع». (٤) يلاحظ أن التسمية بأسطبل عترة لا تنطبق على معمل البارود الموجود الآن ولكن على مقارة في جانب الشرف المطل على بركة الجيش - وبالقرب من أسبوط مدفن معروف أيضا بأسطبل عترة.

ولا ننكر فائدة البحث عما كان لهذه المدينة الرومانية من التأثير في عاصمة مصر الاسلامية ، غير أن التثبت من ذلك يستلزم وجود معلومات وافية عن بابليون ، وما نقل اليها عنها مبهم جدا ، فضلا عن أنه لم يخلف من معالم هذه المدينة غير بعض قطع من الأسوار وبابين خارجين : أحدهما الباب الغربي ، وهو باب الحديد ، ولم يبق منه غير السفل . والآثر القبلي^(١) ، وهو باب المعلقة ، وقد وصل اليها ولم تتغير معالمه وأصلحته أخيرا لجنة حفظ الآثار العربية^(٢) .

أما تفصيلات فتح هذه المدينة ، فانها مبسطة في كتب الفتوح ، فلا نتصدى لسردها ، بل نلخصها في أن حاكم مصر من قبل امبراطور قسطنطينية واسمه المقوقس ، كان مقبلا ببابلون وقت الفتح فتركها والتجأ الى جزيرة الروضة . وفيها فاوض عمرا على تسليم الحصن ، وذلك في سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م)^(٣) .

ولم يتوان عمرو بعد الاستيلاء على هذا الحصن عن فتح الاسكندرية ، فسار اليها ووضع عليها الحصار الى أن سلمت بعد شهر . ثم عاد الى بابليون .

٢ - في تخطيط مدينة القسطاط

اختلف الرواة في أصل تسمية مصر بالقسطاط وفي معنى هذا اللفظ وكتابته . ولكن الرواية الأكثر شيوعا ، هي أن عمرو بن العاص لما نزل على حصن بابليون نصب فسطاطه خارج أسواره ، ولما فرغ من فتح الحصن وأحب أن يسير لفتح الاسكندرية أمر بترع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ ، فقال : لقد تحرم بجوارنا ، فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية ، قالوا : أين تنزل ؟ قالوا : القسطاط . هذه هي الرواية المشهورة في أصل تسمية المدينة .

(١) الجنوب الشرقى . (٢) المقرئ ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ، لا يمكننا موازنة جاييه على أن الخمس الغير المنظم المعروف بقصر الشع

هو حصن بابليون كله (راجع جاييه " الفن القبطى " ص ١٩١) ، لأن هذه المدينة برواية مؤرخى العرب كان فيها عدد عظيم من الروم والأقباط بينهم كثير من العظاماء ، واحتاج للاستيلاء عليها الى نحو اثني عشر ألف رجل ، مما يفهم منه أنها كانت من المدن المهمة .

(٣) يحسن مقابلة قول ابن عبد الحكم (ص ٥١ وما يليها) بقول القضاة وقد ذكرهما المقرئ (ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ج ١) لأن سيوكزانوفا ، بالرجوع

الى هذين القولين ، استنتج أن المدينة كان يحيط بها حصن غير القصر .

وهناك رواية أخرى، وهى : أن مدينة بابلون كان يحيط بها خندق والخندق فى اليونانية اسمه "قسطنطين"، ومن ثم نشأت كلمة قسطنطين التى يذكرها بعضهم. مقارنة لقسطنطين . وهذه الرواية الثانية وان لم تكن فى رقة الأولى نظرفها، إلا أنها ربما كانت أقرب للعقل^(١) .

ولقد كان أول ما عني به عمرو لما أصبح أمير مصر أن شيد جامع . وهذا الجامع ، وإن لم يبق به الآن شئ على أصله يحدد، ولا شبهة فى تحديده، مكان أول حرم أقام فيه المسلمون الجمعة فى أرض مصر . ثم زعت الخطط حول الجامع على الجماعات من القبائل المتنوعة التى تألفت منها جيش عمرو، فاختر لكل جماعة خطة تنزل بها . وعلى ذلك تأسست مدينة القسطنطين . وابتنى عمرو دارا له وبقى أمير على مصر يحكمها باسم الخليفة، الى أن كانت سنة ٢٣ هجرية (٦٤٣ م)، دعى الى المدينة مغزولا . ثم عاد الى عمله فى سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) ، وبقى الى أن توفى فيها فى سنة ٤٣ هـ .

واتسعت المدينة وارتقت حالها على عهد الخلفاء من بنى أمية ، وبقيت مقرا للأمرء الذين بعث بهم الأمويون الى مصر . قال القلقشندي : ولم يكن على أيام هؤلاء الأمرء دار خاصة للامارة، إلا أن عبد العزيز بن مروان الذى كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك اتخذ له دارا تعلوها قبة مذهبة ، وكانت هذه الدار فسيحة جدا حتى سموها المدينة^(٢) . ومن ثم يظهر ان بعض الأبنية التى شيدت فى ذلك العصر بلغت من الكبر والزخرف حدًا عظيما .

٣ - فى تأسيس مدينة العسكر

لما كانت سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقدم مروان آخر الخلفاء الأمويين الى مصر فآرا من جيوش العباسيين وجاء هؤلاء على عقبه ، نزل صالح بن على وأبو عون اللذان كانا يقودان هذه الجيوش بعسكرهما فى الشمال الشرقى من القسطنطين، وهناك اتخذوا مساكنهم وأقاموا دورهم، فتكون من مجموعها مدينة العسكر التى يشبه أن تكون ضاحية كبيرة أو امتدادا لمدينة القسطنطين نحو الشمال

(٢) المقريزى ج ١ ص ٢٣٤

(١) راجع مقدمة كتاب طبرغانيا القسطنطين لكازانوفا ص ٢٤ رقم ٢

الشرقي^(١) . وفي وسط هذه الدور أقام صالح بن علي دارا سماها دار الامارة، أصبحت مقر الأمراء .
وفي سنة ١٦٩ هـ (سنة ٧٨٥ م)، وضع الفضل بن صالح أساس جامع كبير سماه جامع العسكر .
وكان بجوار دار الامارة . قال المقرئى : وكان موقعهما فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجراح^(٢) .

✍ - فى منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع

لما تولى أحمد بن طولون على مصر سكن فى أول أيام ولايته دار الامارة بالعسكر . ولكن لما وجدها تضيق بعسكره وحاشيته بنى فى سنة ٢٥٩ هجرية (٨٧٢ م)، قصرا كبيرا تحت الشرف الذى أقام السلطان صلاح الدين عليه فيما بعد قلعة الجبل، واتخذ فى السهل الممتد من قصره الى جبل يشكر ميدانا للعب بالكرة والصوبلجان، حتى أصبح القصر نفسه يعبر عنه بالميدان .

ثم أذن لأمرائه وعساكره أن يبتنوا حول الميدان، فاخطت كل أمير لنفسه ولعسكره خطة، فأصبحت خططهم يضيق بها الفضاء وامتدت حتى التصقت بخطط الفسطاط . وسميت كل خطة من هذه الخطط باسم الأمير الذى ينزل فيها أو باسم طائفة العسكر التى تسكنها . ومن مجموع هذه الخطط تكونت المدينة الثالثة التى سميت بالقطائع^(٣) .

وأقام ابن طولون على جبل يشكر فى وسط القطائع جامع فى سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) .
وفى آخريات أيامه كانت الفسطاط والعسكر والقطائع كتلة من الأبنية متصلة بعضها ببعض، تمتد على ساحل النيل فيما بينه وبين جبل المقطم .

وسنين، فى الباب الآتى، حدود كل مدينة من هذه المدن الثلاث وامتداد كل واحدة منها .
وأطلق على مجموع المدن الثلاث اسم مصر أو الفسطاط . وقد تميزت به فيما بعد عن القاهرة لمبا أنشأها جوهر القائد شمالى الفسطاط .

(١) كان العسكر فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لا يزال مسكونا ولكن تلامى اسمه فلم يكن معروفا غير الفسطاط والقطائع (راجع المقرئى ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٢٧ و ج ٢ ص ٢٦٤) .
(٢) المقرئى ج ٢ ص ٢٦٤ .
(٣) راجع عن طوبوغرافيا القطائع كتاب ج . سالمون الذى عنوانه « مباحث فى طوبوغرافيا القاهرة — قلعة الكيش وبنكة القيل » .

وفي سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م)، زالت دولة بني طولون من مصر، فخرب عمال بني العباس الذين جاءوا بعد الطولونيين قصور بني طولون كراهة فيهم، لما هموا به من الاستقلال بحكم مصر^(١). ولكنهم تركوا الجامع على حاله وكذلك القطائع لم يتعرضوا لها بأذى، فبقيت زاهرة زاهية أكثر من قرن، بعد زوال حكم مؤسسها.

٥ - تأسيس القاهرة وأول نجم القسطنطينية

لما أسست القاهرة شمالى مصر القسطنطينية اتخذها الخلفاء الفاطميين مقراً لهم ولحاشيتهم دون سواهم. أما طوائف العسكر والتجار والعملة فكانوا يسكنون القسطنطينية. ثم أخذ الناس ينتقلون بكثرة الى القاهرة يوماً فيوماً حتى أربت على العاصمة القديمة يبهجتها وروائها.

نعم، أن مدينة القسطنطينية بقيت زمناً مركزاً للتجارة والصناعة المصرية. ولكن قيام القاهرة صوب الى مقتلها ضربة قاضية بحيث أصبحت المدينة الجديدة كلما قطعت مرحلة في سبيل التقدم والرقى، تخطو القسطنطينية بجانبها مرحلة في طريق التدهور والسقوط. قال ابن سعيد: ومنذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة القسطنطينية وفرط في الاغتراب بها بعد الافراط^(٢).

ولقد عقد المقرئى فصلاً نسب فيه سقوطها للغلاء والحريق حيث يقول: «وكان خراب مدينة قسطنطينية مصر سببان: (أحدهما) الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمى. (والثاني) حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدى»^(٣).

(١) ولقد فكروا في هدم القطائع كلها، فقد روى ابن دقاق عن بعض التواريخ: «أن الامام المعتضد بالله العباسى أمر بهدمها حتفاً على امره من قسطنطينية في سنة اثنين وتسعين ومائتين بعد انقضاء دولة آل طولون». وكان شولى تخريبها محمد بن سليمان الكاتب ج ٤ ص ١٢١ و ١٢٢ ولكنهم انقضوا بهدم القصر.

(٢) المقرئى أول ص ٣٤٠ (٣) المقرئى أول ص ٣٣٥ - ويقرب من هذا قول المقرئى: أما الشدة العظمى فان سببها أن تسمر ارفع بمصر في سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) ... وفي سنة ٤٤٧ هـ، اشتد ... الغلاء. وكثر الواب بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) حدث مع ذلك الفتنه العظيمة التي حارب بسببها إقليم مصر كله ... وأقام (يعنى الغلاء الذي ابتدأ في سنة ٤٤٧ هـ) الى سنة ٤٥٤ ... فأقام ذلك سبع سنين واليهالة به وبزل فلا يجد من يزرع ... وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل بقرق القناديل كبيع العلف في الشتاء بأربعة عشر درهماً وبيع البود من القمح بثمانين ديناراً (يعنى ٤٠٠ مرة فرق السعر الأصلي) ثم عدم ذلك (أول ص ٣٢٧).

نعم، ان الغلاء والفناء اللذين أعقبا الشدة العظمى عجلا بخراب الفسطاط الذي أتمه الحريق، ولكنهما لم يكونا السبب الأصلي، بل كان السبب الأول كما قلنا، حدوث القاهرة واتخاذها مقرا للخلفاء ومركزا لحكومتهم ثم قيام المباني الفخمة التي لم يكن لأحد بها عهد من قبل، حول قصور الخلفاء .

ولست أنكر أن الشدة العظمى على أيام المستنصر كان لها أثر فعال في خراب مدينة الفسطاط . وقد نقل الينا مؤرخو العرب في موضوع حال البلاد وقتئذ روايات مزعجة . ومع غض النظر عما في هذه الروايات من المبالغة، فالظاهر ان المرور خلال الفسطاط كان خطرا على الأنفس . ومن إطلاق الأسماء على بعض الحواري والدروب التي ذكرها ابن دقاق، يقف القارئ على أن تلك الحواري كانت وقتئذ مسكنا للنهابة والقتلة ^(١) .

ولست أنكر أيضا أن مدينة الفسطاط هجر السكان على عهد المستنصر بعض خططها، ونشأ عن تركهم تلك الخطط ما يسميه المؤرخون "خراب المدينة" . وسنين فيما يجيء حدود منطقة الخراب .

ولما قدم بدر الجمالي الى مصر في سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وهم باعادة العمارة الى مدينة القاهرة، لم يكن من نتيجة عمله إلا زيادة خراب الفسطاط . ذلك : أنه أباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله ، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل في القاهرة ^(٢) وسكنوها وأخذ الناس أيضا في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم وصار موحشا . ونحرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن، ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين ... ولم يبق من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون وما حوله ^(٣) .

(١) وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة من يسرى في الطرقات ويطوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فإذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه . المقرئى أول ص ٣٣٧ ، وقد ذكر ابن دقاق في الأثرية التدافين والعكابين والقتلى . وكان يجري فيها مثل هذه الأمور (راجع ج ٤ ص ١٦ و ١٨) . (٢) المقرئى أول ص ٣٦٤ . (٣) المقرئى أول ص ٣٠٥ .

نعم، انه وقع بعد ذلك أى فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) سعى فى تعمير الخطة الخراب
تعميرا جزئيا، قال المقرئى : فلما كان فى خلافة الأمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى
أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون بن البطائى فنودى مدة ثلاثة أيام
فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه
أو يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر
يلزمه . والظاهر ان ما أمر به الوزير أتى بالغرض المقصود فى وقته و " عمر الناس ما كان
من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة ^(١) " .

ولكن يظهر لنا، أن الجانب الذى هم وزراء القواطم بتعميره، انما هى الخطة المجاورة للقاهرة،
وأن خراب القسطنطينية بقى دائرا على حاله . وانا نقول ذلك استنادا على جملة أوردها المقرئى، أبان
فيها حدود ما أعيد تعميره، حيث قال : فعمر من الباب الحديد طولاً الى باب الصفا بمدينة مصر
حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون، يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم
فى مصر ولا يزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود، من الباب الحديد خارج باب زويلة الى باب
الصفا حيث الآن كوم الجارج، والمعاش مستمر فى الليل والنهار ^(٢) .

وهذه الخطة ينطبق عليها الطريق الذى كان يسلكه الخلفاء فى ذهابهم الى صلاة الجمعة
فى جامع عمرو أو الى المقياس لحضور موسم كسر الخليج . يؤيد ذلك، أنه فى أيام الشدة العظمى
التي كانت على عهد المستنصر اضطر وزيره اليازورى أن يقيم حائطاً يستر خراب العسكر والقسطنطينية
عن عين الخليفة . قال المقرئى : ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن
نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر، فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق، وأمر ببناء
حائط آخر عند جامع ابن طولون ^(٣) . لذلك نقول : أن المباني إنما أقيمت على حافة هذا الطريق
العام . ولذلك، لا تأخذ رواية المقرئى بحروفها حينما يؤكد أن مدينة القسطنطينية عادت زاهية
كما كانت عليه قبل الشدة العظمى، حيث يقول : وتراجعت أحوال القسطنطينية بعد ذلك حتى
قربت ما كانت عليه قبل الشدة ^(٤) .

وعلى كل حال فقد أصبحت مساحة الفسطاط وقتئذ أصغر مما كانت عليه من قبل . وهو استنتاج المقرئى نفسه، حيث يقول : «وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة، حيث الكيمان الآن، الى بركة الحبش^(١)» .

٦ - حريق الفسطاط

كل من له اطلاع على التاريخ يعرف الغيرة التي وجدت بين شاور وضرغام بسبب الوزارة ثم دخول أمورى دى لوزينيان منتصرا للأول منهما فى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) كما يعرف أيضا، ان أمورى بعد سنتين من انتصاره لشاور قصد الفسطاط غازيا، فاستولى فى طريقه اليها على بليس، ثم نزل بجيشه على بركة الحبش .

وفى ذلك الوقت كان أكثر العسكر والقطائع خاليا عن السكان كما قلنا، أما الفسطاط نفسها فلانها وإن لم تكن على عهدى الأول من القوة كانت ساكنوها غير قليلين، فلما لم يسع شاور الدفاع عنها أمر باخلائها وحرقتها . قال المقرئى : «فنادى شاور بمصر ألا يقيم بها أحد وأزعج الناس فى النقلة منها فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم ، وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبأ والد بولده ولا يلتفت أخ الى أخيه ، وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا ، ونزلوا بالقاهرة فى المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ، الى أن قال : وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل فى طلب الخبائيا . ومن ثم تحولت مصر لفسطاط الى تلك الأطلال المعروفة الآن بكيمان مصر» .

٧ - في تاريخ القسطنطينية من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا

بعد أن أوقد شاور النار في القسطنطينية كما مر، التجأ الى القاهرة . أما أموري فلم يتمكن من نفاذ غرضه من الاستيلاء على مصر لأن صلاح الدين كان قد ظهر في عالم الوجود وأضحى سيد مصر واستولى على الشام .

ولما عاد صلاح الدين الى مصر، صمم على أن يجمع بين القاهرة وما بقي من القسطنطينية بسور واحد^(١) . وهو السور الذي كشف لنا المنظر القسم القائم منه بين القلعة وحدود القسطنطينية من الجهة القبلية ، ومن ثم انتقلت حركة التجارة والصناعة الى ساحل النيل حيث كانت ترسو المراكب وتكثر المخازن والمصانع التي حفظت للقسطنطينية الى درجة ما بعض عمارها . قال ابن سعيد (سنة ٦١٠ - ٦٧٣ هـ = ١٢١٣ - ١٢٧٤ م) : «وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة القسطنطينية الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبني على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر» . قال المقرئى : «يعنى، ابن سعيد، ما بنى على شقة مصر من جهة النيل» . ومن أول القرن السابع الهجرى (الثالث عشر المسيحى) شيدت من مواد انتزعت من الخطط التي هجرها أهلها من القسطنطينية ، الخطة الواقعة على ساحل النيل جنوبى دار الملك التي كانت فى أول أمرها آخر حدود المدينة من قبلها .

وفى أيام الناصر قلاوون امتدت المباني الجديدة على الخصوص فيما بين القسطنطينية والقاهرة حتى غدت المدينتان مدينة واحدة، قال المقرئى : «وفى أيام الناصر اتصلت عمائر مصر والقاهرة فصارتا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والحنانات ...^(٢) » .

وفى رأينا أن الأبنية لم تكن ليتصل بعضها ببعض بل كانت الدور تتخللها البساتين تمتد فى غير منطقة الخراب . وبالإجمال كانت تجلئ المدينة فى أواخر القرن السابع الهجرى أى الثالث عشر المسيحى على الصورة الآتية البديعة : فى شمال القاهرة، يجمعها بالقسطنطينية ضاحية مكونة من بعض

الدور والقصور تنخللها البساتين ، ويلبها الفسطاط على ساحل النيل على سمت جامع عمرو وقصر الشمع، ويلى ذلك كله من الجنوب على شط النيل خطة المناظر والقصور المتصلة ببركة الحبش .

ولقد ترك لنا كل من ابن دقاق والمقرئى والقلقشندي عن مدينة الفسطاط في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر المسيحى)، معلومات دقيقة وكلها تتفق فى أن تدهور المدينة إنما كان يزداد قرنا بعد قرن . وفى الجملة الآتية نلخص القلقشندي الحن التى نزلت بالفسطاط ، قال : ” ولم يزل الفسطاط زاهى البنيان نامى السكان الى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص، وأخذ الناس فى الانتقال عنه الى القاهرة وما حولها، فخلا من أكثر سكانه، ونتاج الخراب فى بنيانه ، الى أن غلب الفرج على أطراف إديار المصرية فى أيام العاضد آثر الخلفاء الفاطميين “ .

وقال : وبعد حريق شاور ”تزايد الخراب فيه وكثر الخلو ولم يزل الأمر على ذلك فى تقهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس أحد ملوك الترك بالديار المصرية فصرف الناس همهم الى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقضه بساحل النيل بالفسطاط والقاهرة وتزايد الهدم فيه واستمر الى الآن حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل وما جاوره الى ما يلى الجامع العتيق وما دانى ذلك ودثرت أكثر الخطط القديمة وعنى رسمها واضمحل ما بقى منها وتغيرت معالمه^(١) “ .

أما اليوم فلم يبق من الفسطاط إلا كيائها القائمة فيما بين النيل والمقطم . وما يطلقون عليه اليوم اسم مصر القديمة لا يمكن اعتباره من بقايا الفسطاط، فان الدور الحقيمة التى تتكون منها هذه الخطة حديثة العهد ، قام أكثرها على الأرض التى خلفها النيل الذى ما زال ساحله يتنقل الى جهة الغرب، ولم يتخلف من بقايا المدينة البائدة سوى جامع عمرو وقصر الشمع والمباني التى كشفها الحفر.

(١) القلقشندي ثالث ص ٢٣٧ و ٢٣٨

الباب الثاني

بحث في خطط الفسطاط

١ - في تنقل ساحل النيل

معلوم أن ساحل النيل فيما يجاور القاهرة لم يثبت على حالة واحدة بل كان يتنقل من الشرق إلى الغرب . وهذه الحركة التي يرجع عهدها إلى ما قبل الهجرة النبوية لم تقف بل استمرت حتى يومنا هذا . من أجل ذلك ، يلزمنا قبل الدخول في موضوع أى بحث يمس التخطيط أن نعين بالضبط الحدود التي كان يصل إليها ساحل النيل في تنقله مدة بقاء الفسطاط^(١) .

☆ (١) في أيام الفتح

اتفق المؤرخون على أن جامع عمرو بنى على شاطئ النيل^(٢) . وهو اليوم يبعد عنه بنحو خمسمائة متر . وكذلك قصر الشمع كان على ساحل النيل ، وكان بابيه الغربي أو باب الحديد مطلا على النيل مباشرة ومنه نرجح المقوقس حاكم مصر من بابليون ليحتفى بجزيرة الروضة ، كما رواه المقرئى . وعلى هذا الباب وجد المقوقس المراكب التي عبر عليها النيل^(٣) .

ومن هذه الرواية ، تعينت لنا نقطتان من المعالم الثابتة نشفعهما بثلاثة نحو الشمال وهي القنطرة الأولى التي أقيمت على الخليج في سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) . وقد ذكرها المقرئى فقال : إنها كانت

(١) راجع عن هذا الموضوع طبعاً في الفسطاط لكازانوف ص ٢١٧ ، واللوحه الثالثة الواردة فيه ، فانها تبين التغيرات التي طرأت على شاطئ النيل الأيمن في أزمنة مختلفة . (٢) المقرئى أول ص ٣٤٣ وقد ورد في المقرئى أيضاً « وكان بجوار الحصن (يعنى قصر الشمع) من بحريه وهي الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق » أول ص ٢٨٦ ، راجع أيضاً المقرئى ثان ص ١٣٢ (٣) أورد المقرئى خبرين مختلفين عن رحيل المقوقس (المقرئى أول ص ٢٨٦ و ٢٩٠) . وصعود للكلام على ذلك عند ذكر الروضة . وعلى كل حال ، كان النيل يمر بجانب جدار القصر .

قائمة في المكان الواقع بين قناطر السباع (حوالى المشهد الزينبي) وقنطرة السد^(١) (حوالى كنيسة مارميناء) ومن ثم يعلم أن ساحل النيل في سنة ٦٩ هجرية كان يمتد بين الموقعين المذكورين .

وقد أورد مسيو كازانوفًا نقطة رابعة نوافقه عليها حيث يقول : إن موقع دار الملك كان كالأنف يدفع تيار النيل عن القسطاٲ^(٢) . ونحن نقول : إن هذه الجهة الواقعة جنوبى القسطاٲ تبدئى منها حركة تنقل الساحل ، لأن ما بين دار الملك ودار الطين من الشاطئ بقى ثابتا على حاله لم يطرأ عليه تغيير ما .

(ب) فى : ر الخلفاء الفاطميين

وكذلك فى أيام القواطم ، استمر ساحل النيل المقابل لجزيرة الروضة ينتقل نحو الغرب ، اذ كان خليج مصر الخارج من النيل يسير والطريق المؤدى الى الحمراء القصوى . وكان على شاطئ الخليج الغربى بساتين منها بستان الخشاب القائم فى أرض المريس . أما بعد سنة ٥٥٠ هـ (١١٠٦ م) فان النيل انحسر وخلف أرضا بين ميدان باب اللوق وبستان الخشاب . وهذه الأرض غلب عليها فيما بعد اسم بستان الفاضل ، نسبةً للقاضى الفاضل الذى كان له بها بستان كبير^(٣) . ومكان ذلك يكاد ينطبق على الأماكن الواقعة حوالى مستشفى القصر العينى ومدرسة الطب .

(ج) فى عصر السلاطين من بنى أيوب

ولدينا من عهد الدولة الأيوبية المعالم الآتية :

- (١) قلعة المقس التى أقامها صلاح الدين ، قال المقرئى : «إنها كانت مطلة على النيل»^(٤) ، وإنا نحدد موقعها ونعينه فى الجهة التى تشغلها الآن محطة السكة الحديد العمومية .

(١) المقرئى ثان ص ١٤٦

(٢) راجع طبوغرافيا القسطاٲ لكازانوف ص ٢١٧ ، وقد وردت نصوص كثيرة عن حركة النيل ، ولكنها غير صريحة . من ذلك ، قول المقرئى رواية عن ابن عبد الظاهر : إن جبل يشكر كان مطلا على النيل ، دون تعيين الزمن ، وقوله أيضا : وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه ، المقرئى أول ص ١٢٥ و ٣٥٩ و ٣٦٠

(٣) المقرئى أول ص ٢٤٥

(٤) المقرئى أول ص ٣٨٠ وثان ص ١٢١ و ١٢٢

(٢) قنطرة السد التي أقيمت في أعوام بضع وأربعين وستمائة هجرية (١٢٤٢ م) على الخليج .
وهذه القنطرة التي لم تكن لتبعد عن ساحل النيل^(١)، مرة بك تحديد موقعها .

أما فيما يتعلق بساحل النيل حذاء الفسطاط ، فليس لدينا عنه معلومات ثابتة . وإنما يمكن القول بأن حركة التنقل على العموم في هذه الجهة كانت منتظمة ومستمرة .

(د) في العصر الذي أعقب الدولة الأيوبية

استمرت حركة النقلة نحو الغرب على حالها، حتى الأيام الأخيرة . ولكن مساحة الأرض التي انحسر عنها ماء النيل في هذه المدة، كانت فيما سامت القاهرة أكبر منها حذاء الفسطاط . ومن ذلك حدثت خطة بولاق جميعها بعد سنة سبعمائة من الهجرة . وليست حركة النقلة في هذا العصر مما يهم موضوعنا .

★ ٢ - تأسيس الفسطاط وتوزيع خططها على القبائل لا

لما رجع عمرو بن العاص من فتوح الاسكندرية ، قسم بعض الأرض التي قامت عليها مدينة الفسطاط على القبائل ، فاجتمع أهل كل عشيرة في ناحية .

وقد كانت هذه القسمة الأولى، الأصل في تسمية خطط المدينة . وانه وان لم يكن من الممكن أن يهتدى الانسان بمقتضى الأوصاف التي أوردها المؤرخون الى معالم تكفي لوضع خريطة مستوفاة تحدد موقع خطة كل قبيلة بالضبط ، إلا أنه من المتيسر الاهتداء الى مواقع خطط بعض القبائل بمعونة كتاب المقرئ الذي ينقل طبعا عن سبقه .

فمثلا : خطة أهل الراية^(٢)، تقع على مقربة من جامع عمرو وتمتد الى قصر الشمع ، وخطة مهرة تقع في الجنوب الشرقى من أهل الراية ، لأن المقرئى عبر بأنها في قلبها ، وكان لها خطة

(١) المقرئى ثامن ص ١٤٦

(٢) قال المقرئى : أهل الراية جماعة من قرش والأنصار ونزاعة وأسلم وغير ذلك وإنما سماها أهل الراية ونسبت الخطة اليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما يغرد بدعوة من الديوان ، فكفر كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته ، بفصل لم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد ، فقال : يكون موقفكم تحتهما ، فكانت لم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها (المقرئى أول ص ٢٩٧) .

أخرى على جبل إشكر، وخطة تجيب تجيء بعدها، فتكون في الجنوب أى الجنوب الشرقى من مهرة اذ كان من بين دروبها، درب المصوصة الذى يؤدى الى شرقى قصر الشمع، أى الشمال الشرقى منه . أما قبيلة نخم، فكان لها ثلاثة خطط : (الأولى) فيما يلي أهل الراية مباشرة، نحو الشمال فتكون في الشمال الشرقى من الجامع^(١)، (والثانية) شرق كنيسة ميكايل التى لا تزال قائمة حتى اليوم، (والثالثة) غير بعيدة منها . وخطة اللفيف كانت تلاصق خطة أهل الراية . أما خطط أهل الظاهر، فكانت تمتد شرق نخم (الشمال الشرقى) حتى العسكر . وخطة وعلان في جنوب قصر الشمع .

وهناك خطط لم تحدد مواقعها مع الدقة التامة ، مثل : خطة الفارسيين ، فانه يظهر أنهم اختاروها بعيدا عن الخطط السابقة على مقربة من الشرف الذى أقيم عليه فيما بعد جامع ابن طولون، أو الى الأرض التى أقيمت عليها مدينة العسكر . وقد اختير لخولان خطتان : (الأولى) جنوبى قصر الشمع ، (والثانية) في مكان الكوم المشرف على مصلى خولان . وخطة المعافر موقعها على الشرف المطل على بركة الحبش .

أما القبائل من غير الجنس العربى ، وهم الذين أطلق عليهم الحبراء فقد خصص لهم خطط ثلاث ، تلى الواحدة الأخرى ، من جامع عمرو حتى جبل إشكر . وهذا الجبل سمي باسم القبيلة التى سكته .

(١) طبوغرافيا القسطاط لكازانوف ص ٩٩ (٢) يغلب على الظن أن هذه القبيلة كانت كثيرة العدد لأنها اختطت في مواضع أخرى (راجع المقرئى أول ص ٢٩٧) . (٣) الظاهر أن كازانوف عين موقعها أبعد من ذلك جنوبا (راجع كتابه المذكور قبله واللوحة رقم ٣) . (٤) خطة الفارسيين عين كازانوف موقعها في الخريطة جنوبى قصر الشمع ، على أن المقرئى يقول صريحا : أنها كانت تشغل جزءا من العسكر . (٥) اكتشفنا في هذه الجهة بقايا بناء يشاهد فيه ، بالرغم من تداعيه ، صحن متسع قائم الزوايا ، زجداره قبله محكمة الاتجاه . وربما كانت هذه البقايا من مصلى خولان . (٦) وهى الحبراء الدنيا والحبراء الوسطى والحبراء القصوى . وزاد مسير كازانوف حبراء رابعة سماها الحبراء الأولى وهو يريد أن يقول أنها غير الحبراء الدنيا ولكنها ترى أن الحبراء الدنيا والحبراء الأولى يدلان على موقع واحد . وقد عين لها مواقع (راجع طبوغرافيا بول كازانوف ؛ لوحة رقم ٣) لا يمكن أن تطبق على المواقع الأصلية ، لأن مياه النيل كانت تغمر المواقع التى عينها . وقد يكون اعتمد في تخطيطه ، على ما رواه المقرئى عن ابن المتوج (ج أول ص ٢٩٨) . وإذا أردنا أن نأخذ بهذه الرواية نحتم علينا أن نفهم ، أن ما كان يحضر عنه النيل في انسحابه الى الجهة الغربية من المواقع ، كان يسمى بأسماء المواقع الأصلية التى على الشاطئ .

٣ - الكلام على المدينة الأولى

قلنا فيما سبق : ان المساكن الأولى لتماحي مصر كانت قائمة حول الجامع ، وعلى مقربة من قصر الشمع ، وان هذه المساكن كان يزاحم بعضها البعض ، في تلك المنطقة ، وكلما بعد الانسان عنها قل العمار . وأشرنا أيضا الى أن خطة كل قبيلة كانت قائمة على انفرادها منعزلة عن غيرها اذ لا يعقل أن تكون الخطط التي ذكرها المقرري وأتينا على ملخصها متصلة الدور من النيل حتى عين الصيرة ، ومن جبل يشكر حتى الشرف المطل على بركة الحبش . نقول لا يعقل ذلك ، حتى لو فرضنا أنه انضم الى الجند الذي قدم لتفتح مصر وعدده اثنا عشر ألفا ، أضعاف أضعافهم . بل المعقول أن يتخيل الانسان أن مجموع هذه الخطط ما كان لينشأ عنه مدينة واحدة . وانما كانت الخطط متوزعة في السهل ، من النيل في الغرب حتى عين الصيرة في الشرق ، ومن جبل يشكر في الشمال حتى الشرف في الجنوب ، وأكثرها التصاقا ما كان على مقربة من الجامع ومن قصر الشمع . وكلما ابتعد الانسان عنهما خف الالتصاق حتى يبلغ محيط الدائرة ^(١) . ومن بين هذه الخطط ، خطة الحمراء القصوى ، هدمت في غضون الحروب الأهلية ، ولم تعد لتعمر إلا عند تأسيس مدينة العسكر .

هذه كانت حالة مدينة القسطنطينية في القرن الأول الهجري . ولكنها بعد ذلك ، اتسع نطاقها على توالي القرون ، وركت حالها ، فاستبدلت خططها بغيرها ، واتسعت حدود الخطط وتلاصقت حتى نشأ عن مجموعها مدينة واحدة ، سنأتي فيما يلي على بيان حدودها في الوقت الذي بلغت فيه أوج كمالها ، حوالي القرن العاشر المسيحي .

(١) وما يدل على تفرق القبائل ، الخبر الذي جاء فيه : « ان همدان ومن والاها استجبت بالجزية فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا في خططهم ، وما استجبت همدان من الزول بالجزية ، فكتب اليه عمر يحمده الله على ما كان من ذلك ويقول له : كيف رضيت أن تخرق أصحابك ؟ لم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ، ولا تدرى ما يقع لهم ، فملك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره ، فأجمعهم اليك ، فان أبوا عليك وأعجمهم موضعهم بالجزية وأحبوا ما هنالك ، فابن عليهم من في المسلمين حصنا . فعرض عليهم عمرو ذلك ، فأبوا ، وأعجمهم موضعهم بالجزية ، ومن والاهم على ذلك من رهبهم يافع وغيرها ، وأحبوا ما هنالك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن في الجزيرة ، في سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه في سنة اثنين وعشرين » . (المقرري أول ص ٢٠٦) .

٢ - في حدود الفسطاط والعسكر والقطائع^(١)

قال المقرئى : " ان مدينة مصر محدودة بمحدود أربعة، فحدّها الشرقى اليوم، من قلعة الجبل وأنت أخذ الى باب القرافة، فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح، وتمر من كوم الجارح وتجعل كيما^(٢) مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث أول بركة الحبش، فهذا طول مصر من جهة الشرق . وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق . وحدّها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين، فهذا أيضا طولها من جهة الغرب . وحدّها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحد الغربى الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحد الشرقى، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها أهل مصر الجهة القبلىة . وحدّها البحرى من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربى، الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقى، فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية . وما بين هذه الجهات الأربع يطلق عليه الآن مصر^(٣) .

ولقد حدّد المقرئى المنطقة التى كانت لا تزال عامرة على أيامه حيث قال : " وهذه الجهة (يعنى الغربية) هى أعمر ما فى مصر الآن . وأما الجهة الشرقية فليس فيها شىء عامر إلا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة . ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبله، الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح، ثم خط كوم الجارح . وما بين كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيما^(٣) " .

ويجدر بنا أن نتبع حدود الفسطاط التى ذكرها المقرئى بشىء يوضحها فنقول : قد وجدنا فى سائر المواقع التى حفرت فيها على سبيل البحث حتى عين الصيرة، بقايا مبان شبيهة من كل

(١) هذا الفصل فيه بعض تعديل أدخله المرحوم على بك بهجت عند ترجمته فقلناه كما هو من خطه وقد حصل مثل ذلك فى مواضع أخرى من الكتاب .

(٢) المقرئى أول ص ٣٤٣ (٣) المقرئى أول ص ٣٤٣

وجه بالمباني التي عثرنا عليها في وسط القسطاط . ومن ذلك نستنتج : ان المدينة في أيام عمارها كانت تمتد الى حدود القرافة الحالية ، بمعنى أن حدها الشرقى كان فيما وراء الحد الذي عينه المقریزی .

أما حدها القبلي ، فكان ينتهي الى الرصد . وهذا الرصد وان كان لا يتأق اليوم تعيين موقعه بالدقة والضبط ، لأن أرباب المحاجر نسفوا مكانه كما سيجيء ، لكن يظهر انه كان قائما على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش . قال المقریزی : « هذا المكان عرفت بالرصد من أجل ان الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة لرصد الكواكب ، فعرف من حينئذ بالرصد^(١) » .

هذه نقطة من نقط الحد القبلي . وقد مرّ بنا أنه في غضون القرن السابع الهجري (الثالث عشر المسيحي) ، حدثت خطة جديدة جنوبى القسطاط ، امتدت مبانيها حتى دير الطين على ساحل النيل . أما ما سامتها في الشرق ، بين دير الطين والرصد ، فلم يكن معمورا . وهذه الخطة الجديدة ذكرها المقریزی فقال : « وأما الجهة القبليّة من مصر ، فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة ، لما أنشأ الصاحب نضر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على ابن حنا الجامع هناك ، وعمر الناس في جسر الأفرم ، وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر ، دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية^(٢) » .

وهذه نقطة ثانية من هذا الحد ، لأن المدرسة المذكورة عين مكانها مسيو كازانوفا فقال : انها واقعة في الجنوب الغربى من قصر الشمع ، شمالى باب القنطرة^(٣) . ونحن نوافق على هذا التحديد ، لمطابقته لما نعتقده من أن الحد القبلي للقسطاط ، كان ينتهى الى النيل في القرن السابع الهجرى . يؤيد ذلك جميعه ، اتجاه السور الذى أقامه السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧٥ هـ

(١) المقریزی أول ص ١٢٥ و ١٢٧ ، لما فرغوا من صب هذه الكرة وتركيبها جريوها ، فوجدوا المشرق الاول لبروز الشمس مسدودا ، فاتفقوا على

نقلها الى المسجد الجيوشى فوق المنظم . راجع أيضا مذكرة مكس فان برشم عن « جامع الجيوشى » طبع مصر سنة ١٨٨٨ (٢) المقریزی أول ص ٢٤٧

(٣) راجع ظهورها بالقسطاط لكازانوفا ص ٦ كوكب ٣

(١١٧٩ م) وكشف لنا عنه الحفر، فعثرنا على امتداده كله، عدا الجنوبي منه الذي تحت الحاجر أثره الى أبد الدهر، فان المتبع لهذا الاتجاه يحكم، ولا شك، بأن السور كان ينتهي الى النيل عند دار الملك .

أما حد مصر من جهة الغرب، فكان هو الساحل الأيمن للنيل . وهذا الحد كان يتنقل على تتابع السنين مع تنقل الجسر نحو الغرب .

بقي علينا من حدود مصر القسطنطينية، حدها الشمالى . وانا نستعين على تعيين مكانه، بتعيين مكان العسكر التى تليها من الشمال . قال المقرئى : ان حد العسكر من الجنوب هو كوم الجراح، وحدها من الشمال قناطر السباع، ومن الغرب قنطرة السد، ومن الشرق باب المجدم . فيكون حد مصر الشمالى واقعا بين كوم الجراح وقنطرة السد، ومكانهما معروف .

هذا وفي الشمال من العسكر، قامت القطائع حول جامع ابن طولون . وهذه القطائع كانت تمتد غربى القلعة وتنحصر فى الحدود الآتية : من الشمال، خط ينطبق عليه شارع الصليبة . ومن الغرب، قناطر السباع أى نواحى المشهد الزينى . ومن قبليها، العسكر . ويدخل فى هذه الحدود : سوق جامع ابن طولون، والقيبات، والرميلة، الواقع كل ذلك تحت القلعة^(٢) .

٥ - رسم تقريبي يبين مواقع القسطنطينية والعسكر والقطائع

من مقتضى البيانات المتقدمة، قد وضعنا الرسم التقريبي (شكل رقم ٢) . وهو رسم نحن فى غنى عن القول بأنه لا يطابق الحقيقة تمام المطابقة، إلا أن الغرض منه تقريب أوضاع المدن الثلاث السابقة على تأسيس القاهرة . ومنه يعلم، مع الرضوح التام، أن عاصمة مصر الاسلامية كانت تنتقل من الجنوب الى الشمال . من مكان الى مكان يليه، كما هو الحال فى الوقت الحاضر، اذ نرى المدينة تمتد خططها الحديثة نحو الشمال .

(٢) المقرئى أول ص ٣٠٥

(١) المقرئى أول ص ٣٠٥ وثان ص ٢٦٥

٦ - في خراب المدينة

في الرسم التقريبي السابق ، عينا للمدينة النطاق الذي كانت تشغله في أيام بلوغها أوج كمالها عند تأسيس القاهرة ، في القرن الرابع الهجري (العاشر المسيحي) . وليس عندنا شك في أن القسطاط من هذا الوقت وقف نموها ، ثم أخذت تتدهور . فان قيل وكم بلغ خرابها على عهد المستنصر الذي حكم من سنة ٤٢٧ الى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ الى سنة ١٠٩٤ م) ؟ نقول ان غاية علمنا ان السكان شجروها في ذلك العهد بكثرة ، وان الخراب استولى شيئا فشيئا على دورها ، ومساكنها ، حتى جاء حريق شاور .

وليس يخطر لنا على بال ، أن نحدد المنطقة المهجورة تماما . ولكن يظهر من نصوص المؤرخين التي ذكرناها فيما سبق^(١) ، أن مدينتي العسكر والقطائع كانتا في أوائل القرن السادس الهجري يبابا خرابا . كما أن المناطق البعيدة عن وسط القسطاط كانت خالية عن السكان ، بحيث كان منظر المدينة كلها وقتئذ عبارة عن صف من المباني يمتد على ساحل النيل .

وفي نحو سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، أمر صلاح الدين ، بإقامة سور يصل القلعة بجنوبي القسطاط . وقد تبين لنا من الحفر ، أن هذا السور كان يضم في باطنه بعض دور متخرية ، كما سنبينه عند ما نحدد العصر الذي ترجع اليه الأبنية التي كشفناها ، فانه جاء قاطعا لسلسلة من الدور حفر خلالها خندق رمى فيه أساسه . ولم تكن القسطاط وقتئذ تشغل المثلث المكون

(١) المقرئى أول ص ٣٠٥ و ٣٢٧ و ٣٦٥ وثان ص ١٠٠ الخ .

(٢) ذكر المقرئى : أن صلاح الدين ابتدأ في عمارة السور في سنة ست وستين وخمسة ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ «وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشي بها . الدين قراقوش الأسدي فبناه بالجارة ... » (أول ص ٣٧٩ س ٢٩) . وقال في ترجمة صلاح الدين ، انه : «قدم القاهرة في سادس عشر ربيع الأول سنة ٥٧٢ هـ فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل ، وأقام على بناة بها . الدين قراقوش الأسدي فشرع في بناء قلعة الجبل وعمل السور وحضر الخندق حوله ... » (ثان ص ٢٣٣ س ٣٢) . وعلق على ذلك فان برشم ، فرجع التاريخ الأخير وقال أن سنة ٥٦٦ هـ تعين بدء الوقت الذي تمكن فيه صلاح الدين من مصر ، لأن المقرئى أتى بهذا التاريخ على وجه الإطلاق . (الجريدة الأسبوعية سنة ١٨٩١ ص ٤٤٧ ملحوظ رقم ١) . وقال كازانوف في الجريدة المذكورة ، والمجلد السابع عشر ص ٣٢٥ - ٣٢٩ ، يحتمل أن صلاح الدين وضع مشروع بناء السور منذ سنة ٥٦٦ هـ ولم يشرع في تنفيذه إلا في سنة ٥٧٢ هـ ، وقد استمر العمل حتى وفاته ولم يتم .

من خط السور والنيل . وهو المثلث الذى تكوّن القلعة رأسه فى الشمال الشرقى ، ودار الملك رأسه الثانية فى الجنوب ، وفوهة الخليج رأسه الثالثة فى الشمال الغربى ، لأن الخراب لم يكن قاصرا على ما كان ظاهر السور ، بل كان يمتدّ فى باطنه أيضا . ولذا كان السور مستقيما ، بمعنى أنه لم يراع فى حفر أساسه سمت الخطط التى كانت لا تزال عامرة وقتها .

وقد مرّ بك فيما سبق ، أنه فى حوالى سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ، أنشئت فى المنطقة بين دار الملك وذير الطين ، أعنى خارج سور صلاح الدين على حافة النيل ، خطة أغلب مبانيها من المناظر والموادج الفانحة . وانه للحصول على مواد البناء اللازمة ، نهبت السور المهجورة من القسطنطينية ، بغض بعض العامة وأقام له مساكن فوق تلك الدور المهجورة متفعا بما أمكنه الانتفاع به من أسسها وجدرانها . ولكن هذه المساكن كانت منعزلة عن بعضها البعض ، فلم ينشأ عنها خطة كاملة ، كما أثبتته القلقشندي^(١) . ومن ثمّ يمكن الجزم بأن خراب المدينة لم يعمر من جديد .

أما المدينة التى أتى على وصفها فى القرن الثامن الهجرى (الخامس عشر للمسيح) ، كل من ابن دقاق والمقرئى ، فانما هو الجانب الغربى من القسطنطينية . على أن حدود الخراب لم تكن تتغير فى القرن الثامن الهجرى ، عما كانت عليه فى أواخر القرن الخامس . ومن مجموع النصوص المضبوطة المتعلقة بالخطط التى أوردتها مؤرخو العرب ، يمكن الوقوف على امتداد منطقة الخراب ، وامتداد نطاق المدينة المعمورة فى ذلك العهد . ويكفى للوقوف على حدودهما ، وضع النصوص الآتية بعضها بجانب بعض وتطبيقها على الطبيعة :

(أ) خراب المدينة : يشمل كوم الشقاف ، وكوم الجارح ... وكوم الجارح ، وخطة باب الصفا ، وخطة أبى السعود ، كل ذلك خراب .

(ب) كوم دينار : يسكنه بعض العامة من الناس وهو مجاور لكوم المشانيق ، وواقع فى الخراب^(٢) .

(١) القلقشندي ثالث ص ٢٣٨ (٢) ابن دقاق رابع ص ٥٣ (٣) ابن دقاق رابع ص ٥٣

(ج) رجة دار الولاية ، فيما بين حبس بنانة وسوق الغزل في الخراب ^(١) .

(د) درب المصاصة : خراب ، وهو مجاور لخط قصر الشمع وزقاق ابن بكر وهو من أزقة درب المصاصة ، ويتوصل اليه من الدرب الحديد من تجيب ، ومن درب الكرمة ، ومن درب أبي بكر بسويقة اليهود بالمصاصة ، وهذه الأماكن كلها اليوم خراب ^(٢) .

وموقع الكيان في هذه النصوص ، معروف محدود . ورجة دار الولاية ، محلها فيما بين جامع عمرو وقصر الشمع ، أما خط المصاصة فكان يمتد على ما أبانه مسيو كازانوف في شرق تجيب المعلوم موقعها ^(٣) .

وبناء على ما تقدم ، يكون حد الخراب من المعمور على أيام ابن دقاق ، هو خط مواز للنيل تقريبا مار شرق جامع عمرو وقصر الشمع . ومن ثم يمكن الجزم بأن المنطقة التي كشفناها واقعة كلها في خراب المدينة .

في جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة ، من ملحقات القسطاط الطبيعية . وعند فتوح مصر التجأ اليها الروم في خروجهم من بابلون . وكان بها بساتين ، وحدائق جميلة ، ولها في جميع جهاتها أسوار منيعة . وبعد أن حاصرها عمرو طويلا ، وهرب الروم منها ، دك عمرو أسوارها وبقيت خرابا حتى جاء ابن طولون ، وحصنها من جديد في سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) ، واتخذ فيها القصور لنسائه . ثم طغى عليها الماء فدمر تلك الدور والقصور شيئا فشيئا ^(٤) . وجاء محمد بن طغج الاخشيدي وبني فيها في سنة ٣٢١ هـ (٩٣٢ م) دارا له ، ذات بساتين . واتخذ فيها دارا للنوبة ودارا للغلمان ^(٥) .

(١) ابن دقاق رابع ص ٢٦ (٢) ابن دقاق رابع ص ١٤ وورد النص الآتي فيه رابع ص ١٦ "زقاق الزمامرة بجيب" نافذ الى المصاصة وقد سد من أوله لجهة تجيب لاستيلاء الخراب . (٣) طبوغرافيا القسطاط لكازانوف ص ١٢ كروكي ٦ (٤) هذه الجزيرة على قول كازانوف لم تكن موجودة في زمن الفراعنة وكان موقعها وقتئذ جزءا من الشاطئ الأيمن للنيل (راجع كازانوف ومقدمة طبوغرافيا القسطاط ص ٢٥ المحفوظ الثاني) .

(٥) المقرئ ثانيا ص ١٨٠ (٦) المقرئ ثانيا ص ١٨١

وعلى أيام الفاطميين، أصبحت جزيرة الروضة من المتنزهات، وأنشئت فيها المناظر الكثيرة . أما في أيام السلاطين من بني أيوب، فقد دخلت الجزيرة بما حوتها، في ملك ابن أخ صلاح الدين ثم استأجرها الملك الصالح أيوب لمدة ستين سنة، وبني فيها قلعة وكل حراستها الى المماليك من جنده وأطلق عليهم اسم البحريّة^(١) . وعلى عهد أول الملوك البحرية، وهو المعز أيبك، هجرت الروضة وهدم السلطان قلاون مبانيها ليستعملها في المارستان المنصوري . وكذلك ابنه الناصر، انتفع بما بقي من مواد بنائها .

الجسران الموصلان بين الروضة وساحلي النيل :

يظهر أن الروضة، كانت متصلة قبل الفتح الاسلامي بساحلي النيل بجسرين من المراكب . وقد أورد المقرئزي، عن خروج المقوقس من بابلون، روايات مختلفة . فقال في الرواية الأولى: «لما رأى القوم (القبط) الجند من المسلمين على فتح الحصن والحرص، ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب الحصن القبلي، ودونهم جماعة يقاتلون العرب، فلاحقوا بالجزيرة موضع الصنعة اليوم وأمروا بقطع الجسر^(٢)، وذلك في جري النيل^(٣)» . وفي الرواية الثانية أغفل ذكر الجسر، فقال: «وكان هذا الحصن مطلا على النيل، وتقبل السفن الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد . ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل، من بابه الغربي قبالة مصر» .

وفي الرواية الثالثة، عند الكلام على شروط الصلح بين المقوقس وعمرو بن العاص، قال: «أجاب الثاني الأول الى ما طلب على أن يضمنوا (القبط) له الجسرين جميعا» . وهذان الجسران، كما هو المفروض، كانا يصلان الروضة بالساحلين .

(١) ابن دقاق رابع ص ١٠٩ و ١١٠ وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي كانت هناك بقايا من الأبنية المهمة لا تزال قائمة (راجع كتاب وصف مصر، ج ١ لوحة ٥٣، والمجلد الثاني (المتن) قسم ثان ص ١٥٩ وما بعدها . (٢) سيأتي فيما بعد بيان المواضع التي أقيمت فيها دارالصناعة . وقد ذكر المقرئزي هنا أحد الروايات ولم يأت بالاسم ولا التاريخ . (٣) المقرئزي ج ٢ ص ١٧٨ (٤) المقرئزي أول ص ٢٨٦ (٥) لم يكن موجودا في القرن الحادي عشر الميلادي غير جسر واحد مكون من ٣٦ مركبا بين الروضة ومصر (ناصر خسرو "سفرنامه" ص ١٥٣) . وورد في هذا الكتاب النص الآتي: "ومن المدينة قسم على الشاطئ المقابل من النهر (البحيرة) ولا جسر هناك والعبور بالسفن أو القوارب" .

٨ - دار الصناعة

كان لبناء المراكب عدة دور ينشأ فيها الأسطول ، يسمونها دار الصناعة . فأول دار للصناعة أنشئت كان مقرها الروضة . قال الكندي : انها أنشئت سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٣ م)^(١) وكانت تبني فيها السفن حتى أيام ابن طولون . وهذه أحرقت في سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) أحرقتها أسطول محمد بن طغج الاخشيد . ولما رأى في وجودها على شاطئ الروضة خطراً على الفسطاط، نقلها إليها في سنة ٣٢٥ هـ . وبني في مكانها داراً^(٢) أحاطت بها البساتين الفيحاء . ولكن يظن أن دار صناعة الروضة بقيت ، أو بقي بعضها ، يبنى بها الأسطول ، لأن المؤرخين اتفقوا على القول ، بأنه كان هناك داران للصناعة على عهد الفواطم : احداً في الروضة ، والآخرى في الفسطاط . وهذا الظن يؤيده التاريخ ، لأن الظاهر بيبس أنشأ في الروضة أسطولاً كاملاً ليعوض به ما دمره له فرسان القديس يوحنا المقيمون في القدس في محاربتهم إياهم عند جزيرة قبرس^(٣) ، وابتنى الخليفة المتز لدين الله الفاطمي ، دار صناعة في المقس^(٤) ، بحيث أصبح حينئذ عدد الدور التي تنشأ فيها المراكب ثلاثة . ولا شك في ان دار صناعة الفسطاط منذ انشائها في سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) ، كانت أكبر الثلاثة وأكثرها انشاء . وقد ترك لنا المقریزی نصاً حدد فيه مكانها حيث يقول : «ان البستان الذي قام على أرض دار الصناعة، هو بستان الطواشي . وهو في أول مراغة مصر حذاء غيط الجرف على يسار الذهاب من المراغة الى باب مصر»^(٥) . وفي هذا الوصف كفاية لتحديد موقع دار الصناعة في المنطقة الواقعة قبلي مجرى العيون .

٩ - في مينا الفسطاط

لم يمض زمن طويل على تأسيس الفسطاط، حتى غدت ميناء عظيمة على النيل، بل أعظم ميناء في مصر كلها . استمرت فيها حركة الوارد والصادر حتى في الأيام التي زاحتها القاهرة ، فأربت عليها . وفي أواخر أيام بني أيوب زارها ابن سعيد المغربي ، فاندعش من حركتها حيث

(١) المقریزی ثان ص ١٧٨ (٢) المقریزی ثان ص ١٨١ (٣) المقریزی أول ص ٤٨٢ (٤) ابن دقاق رابع ص ١١٠

(٥) المقریزی أول ص ٤٨٢ و ٤٨٣ (٦) المقریزی أول ص ٤٨٢

يقول : « ثم انفصلنا من هنالك (يعني عن القسطنطينية) الى ساحل النيل ، فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ، ولا متسع الساحة ، ولا مستقيم الاستقامة ، ولا عليه سور أبيض ، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار الأرض والنيل . ولئن قلت : اني لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل ، فاني أقول حقا . والنيل هنالك ضيق ، لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قاعته ، قد توسطت الماء ومالت الى جهة القسطنطينية . وبحسن سورها المبيض الشاخ ، حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل ... » ، الى أن قال : وأما ما يرد على القسطنطينية من متاجر البحر الاسكندراني ، والبحر المجازي ، فإنه فوق ما يوصف . وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد ... » ^(١)

وغنى عن البيان ، ان الجزيرة التي ذكرها ابن سعيد في الجملة الأولى ، انما يقصد بها جزيرة الروضة التي اتخذها السلطان الصالح أيوب قلعة لجيوشه من الممالك البحرية كما مر . ومن عبارات المؤرخين يعلم أن المراكب كانت ترسو في الميناء في أماكن معينة لها حسب شحنتها . فمثلا : المراكب المشحونة بالحبوب كانت ترسو في موردة الحلفاء من الساحل . وفي ناحية أخرى منه ، كانت ترسو المراكب المشحونة بالأخشاب المخصصة لبناء المراكب أو لأشغال التجارة . وفي أخرى منه كانت موردة السمك التي كانوا يطلقون عليها من باب التغليب اسم ساحل البورى ، وهو نوع خاص من السمك . ^(٢)

١٠ - في القرافة

ان أول قرافة للمسلمين ، كانت تمتد فيما بين مصلى خولان الى المعافر . وخصص في جنوب هذه القرافة جهة لدفن موتى الأقباط ^(٣) .

ولقد كان الخلفاء الفاطميون ، يدفنون موتاهم في تربة الزعفران من القصر الكبير . أما الرعية فكانت تقبر في قرافة مصر . واذ كانت مدينة مصر انحطت منزلتها حينئذ ، امتدت حدود

(١) المقرئى أول ص ٢٤٢ (٢) المقرئى أول ص ٢٤٥ (٣) المقرئى أول ص ٣٢٢ (٤) المقرئى أول ص ٣٤٤

(٥) المقرئى ثان ص ٤٤٣ و ٤٤٤

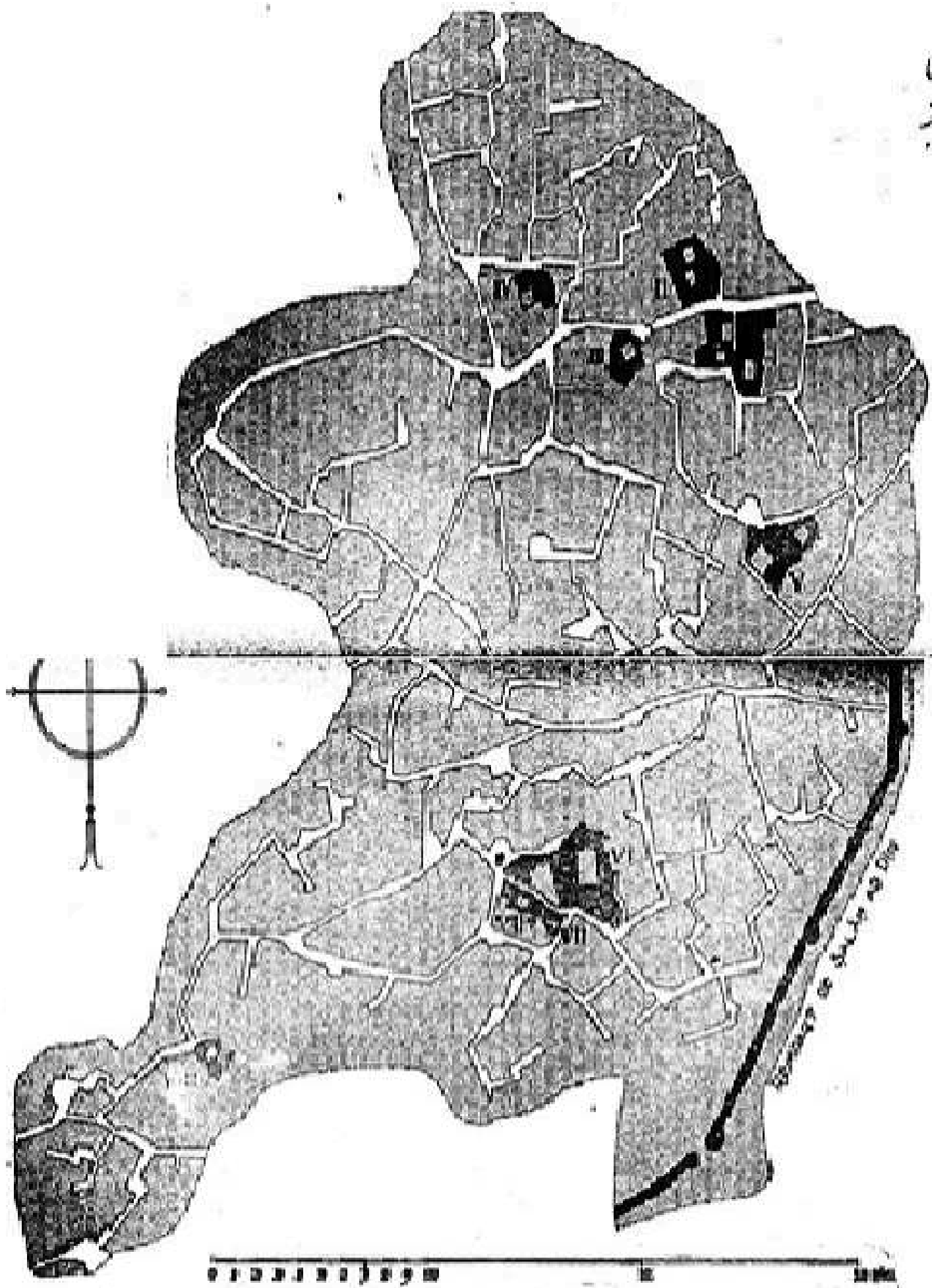
القرافة حتى عدت على ما خلا من ساكنيه من خطة المعافر، وعلى الخصوص من خطة
بنى قرافة، التي هي فرع من الأولى . ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن بتلك الجهة
أولاً، ثم عم سائر المدافن . وفي أيام سلاطين بني أيوب، أنشئت حول تربة الامام الشافعي،
جملة قبور أطلق على مجموعها اسم القرافة الصغرى، وقل الدفن في القرافة الكبرى، الى أن
عاد اليها على أيام الناصر بن قلاوون^(١) .

وبعد سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م)، أخذوا يقبرون الموتى تحت المقطم، فيما يلي قلعة الجبل .
وبعدئذ انتشرت القرافات في شرقي القاهرة وشماليها^(٢) .

خندق القرافة — ويجدر بنا قبل أن نختم الكلام على القرافة، أن نذكر الخندق الذي حفر
حولها في القرن الأول للهجرة . ذلك، أن عامل ابن الزبير على مصر لما خشى أن يأخذه
مروان على غرة في عاصمة ولايته أمر في سنة ٦٥ للهجرة، بحفر على الفسطاط خندق .
وكان هذا الخندق، يبتدئ من المكان الذي دفن فيه فيما بعد الامام الشافعي ويخترق أرض
القرافة الى بركة الحبش . وفي سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) كان هذا الخندق قد انطم، فأعيد
حفره عند وقوع الشقاق بين الأمين والمأمون ولدى الرشيد . وقد ذكر ابن زولاق : أن هذا
الخندق جدد حفره على يد جوهر القائد سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) خشية من القرامطة الذين
كانوا يكثرون الغارة على مصر^(٣) .

(١) المقرئى ثان ص ٤٤٣ و ٤٤٤ (٢) المقرئى أول ص ٣٦٥ وثان ص ٤٤٤ (٣) المقرئى ثان ص ٤٥٨ و ٤٥٩

مخطط
المنطقة



0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

شكل ٢ - الخطة العامة للمنطقة

الباب الثالث

بـ الخريطة العمومية للفسطاط وهيئتها

١ - مميزات عملية التنقيب على الآثار في الفسطاط

أشرنا فيما سلف إلى الحن التي نزلت باطلال الفسطاط حتى أيامنا هذه، وصرحنا بأن جمع مواد البناء منها وخصوصا الآجر قد أزال بقايا الأبنية القديمة من بعض جهاتها ومحي جدرانها إلى الصخر . نقول بعض إنبات ، لأن تخريب الأبنية التي كانت باقية لم يحصل على السواء ، فبينما نرى دارا من دارين متلاصقتين بهت جدرانها قائمة على ارتفاع متر ومترين فأكثر ، نرى الدار الأخرى محيت جدرانها إلى الصخر بحيث لا نجد ملصقا به إلا بعض قطع من الآجر أو أثر المونة فقط . وقلنا ، ان زوال الجدران إلى هذا الحد سببه الترخيص بالجمعي الآجر باقتلاع الجدران من أساسها^(١) . وقلنا أيضا ، ان الترخيص باستخراج الحجر من وسط المدينة البائدة بفتح المحاجر في قلبها ، قد أدى إلى نتيجة لم تكن في الحسبان : ذلك ، لأن هذا الترخيص اقتضى ضرورة المحافظة على الطريق المؤدى إلى المحاجر ، والمحافظة عليه أدت إلى حفظ المباني القائمة تحته . فكان ما كشفناه من الدور على طول هذا الطريق أتم من غيره حفظا .

وهناك بيان الطريقة التي اتبعناها في كشف الأبنية : كنا نثابر على العمل حفرا كان أو ردما حتى نبلغ مستوى أرض تلك المباني والحواري ، ومتى وصل الحفر إلى هذا المستوى ووجدنا علامات ثابتة بكلاط الدور أو عتب أبوابها ، نوقف العمل حتى يكشف البناء الكشف النهائي

(١) من المحتمل جدا أن بعض البيوت هدمت من أعلاها إلى أسفلها بعد أن هجرت المدينة زمن قريب . وكان ذلك على كل حال قبل أن

تتكون الكيان .

بالطريقة الفنية . أما اذا تعسر الحصول على شيء من بقايا جدران الأساس، فقد كنا ننزل بالحفر الى الصخر . هذا، ولم يؤد بنا الحفر في كثير من المواقع إلا الى الأسس المنهكة من الحجر أو الآجر^(١) . وفي بعضها لم يكن ليقع نظرنا فوق الصخر كما قلنا، إلا على بقايا قطع من البناء لا يفهم الغرض منها . وفي البعض الآخر، كان لا يقع على شيء أصلاً سوى المجارير والآبار المنقورة في الصخر التي هي من الأدلة على وجود الأبنية القديمة . ومما سيق يتبين أن سائر المواقع التي كشفت ليست في درجة واحدة من حفظ مبانيها ولا فائدتها الأثرية . وهذا هو السبب في عدم وضوح تخطيط الطرقات في بعض المواقع، كما هي واضحة بجملة في تخطيط مدينتي بومبي وديلوس .

٢ - خريطة الفسطاط لعمومية (شك)

(١) الشوارع والدروب

اتبعنا في رسم شبكة الشوارع والدروب الطريقة الآتية :

لما كان كثير من الجدران لا يزال قائماً وكانت جدران الدور الخارجية واقعة على حافة الحواري والدروب، فقد كانت لنا من هذه الجدران معالم يهتدى بها في التحديد . أما في المواقع التي أزيلت منها الجدران، فقد لاحظنا أن الآبار التي تصب فيها قصبات المراحيض وتتصل بها مجارى تصافى المياه المنزلية كلها إلا النادر، قائمة على حافة الدروب . واذ كانت هذه المجارير كثيرة العدد وباقية على أصلها لأنها منقورة في الصخر، فقد أضحت لدينا معالم ثابتة لم يكن علينا إلا أن نوصلها ببعضها البعض للحصول على مجموع شبكة الشوارع والدروب، ولا يبقى لدينا مما يشك فيه من الخطوط إلا القليل الذي لا يغير شيئاً في هيئة الرسم العمومي .

(١) يشاهد مثلاً في اللوحة ١٥ تحت رقم ١، بقايا أساس من الحجر . وقد اندثر الجدار وكان من الآجر ولم يبق منه إلا بعض قطع متفرقة . ويشاهد

في اللوحة ١٦ تحت رقمي ٤ و ٦، قطع من أساس من الآجر . ومن خص الرسوم المبينة بها حالة الدور الآن يتضح أننا في أعادتها في الرسم الى حالتها الأولى،

كان اعتمادنا على بقايا الأساس . (٢) راجع اللوحين الحادية عشر والثانية عشر الموضوعين عن الدارين الثالثة والسادسة اللتين تكلنا عليهما في الباب

الرابع . (٣) راجع اللوحة الثالثة عشر . وهي مواقع يتعذر فيها بالمرّة محاولة تخطيطها على ما كانت عليه .

(ب) هيئة الدروب وخصائصها

لم تتبع في رسم الشوارع والدروب طريقة يشترك فيها الجميع ، بل هي عبارة عن تيه من الطرقات المختلفة الاتساع والامتداد ، فأكبرها لا يزيد عرضه عن ستة أمتار ، وأضيقها لا يتجاوز مترا ونصف متر . ومجاميع الدور التي تحيط بها تلك الدروب تختلف في المساحة عن بعضها البعض . وفي بعض الأحيان نرى المتسع منها منقسما بخوخة أو عدة خوخات .

ولما كانت المنطقة التي كشفناها خرابا ، وقت أن كتب ابن دقاق والمقریزی كتابيهما في خطط الفسطاط ، كما سبق ، لذلك لا يتأتى البحث في تقريب الدروب والحواري التي كشفت مما ذكر في كتابي هذين المؤلفين . ولذلك أيضا ، أدى التقريب الذي عمله مسيو كازانوف و برهن به على قوة الصبر على العمل ، الى نتيجة لا تنطبق على الواقع في بعض المواقع .

وقد كان يطلق على الطرقات في الفسطاط ، بنسبة عرضها واتساعها ، إما اسم شارع أو حارة أو درب أو زقاق . وكانت الأسواق بمغزل عن بعضها البعض ، ويطلق عليها اسم أرباب الحرفة والصناعة التي تباع فيها مصنوعاتهم ، فيقال مثلا : سوق العطارين ، وسوق السباكين ، وسوق القشاشين ، وسوق الغرابلين ، كما هو الحال اليوم في الشرق كله .

وكانت الخطط تنسب الى صناعة من الصنائع ، أو تجارة من التجارات . وقد تنسب لبعض الجوامع أو الكنائس . وليس غريبا أن تكون طريقة التسمية هذه باقية من العصور القديمة ، فيصح تطبيقها على المنطقة التي نحن بصدد الكتابة في موضوعها^(١) . ومن ثم يلتبس لنا العذر اذا نحن لم نتمكن من العثور على اسم بعض الشوارع أو الخطط المكشوفة ، خصوصا ، اذا روعي

(١) الجهات التي تكلم عنها ابن دقاق والمقریزی من المدينة تختلف عن المواقع التي جرى فيها الحفر ، لأنها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) كان قد مضى عليها زمن طويل وهي مردومة تحت الكيان . ولا يخفى أن ابن دقاق والمقریزی كانا يفتلان عن غيرها من كان قبلهما معاصرا للعهد الذي كانت فيه الفسطاط زاهيا زاهرا . ولما كانت العادة والنقل بالتوازي لها في الشرق الأثر الذي نعلمه من قوة البرهان ، فان ذلك يكفي لأن يبرر استنباطنا بابن دقاق والمقریزی .

عدم النصوص الدقيقة في المؤلفات التي كتبت في الخطط والآثار . ولذلك لا يسعنا القول بأن هذا الدرب كان به قبو أو سقفة^(٢) إلا بالتقريب على سبيل التخمين .

أما الدروب المسدودة ، التي عندنا منها أمثلة كثيرة ، فيظهر أنه لم يكن لها أسماء خاصة ، وابن دقاق يسميها زقاق غير نافذ^(٣) .

(ج) أبواب الدروب

كانت القاعدة المتبعة في الشرق ، منع السير في الطرقات ليلاً بواسطة إغلاق أبواب الدروب ، إلى أن كانت سنة ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) ، رأى الأمير يحيى بن داود ، عامل مصر ، أن يبطلها^(٤) من الفسطاط . ويظهر لنا أن عتبة الباب التي كشفناها غربى الدار نمرة ٣ من قبيل عتبات الأبواب التي كانت تغلق في ذلك العهد (راجع شكل ١٤) . وكان لهذا الباب مصراعان بدليل بقاء سكرجتيه على أصلهما منقورتين في الحجر .

(د) الرحاب

يرى المتأمل في الرسم الذى وضعناه للفسطاط ، رحاباً صغيرة ، تقع أحيانا عند تلاقي بعض الشوارع . وهى عبارة عن اتساع ملتقيات بعض الدروب ، لارحاب حقيقية . والرحاب التي ذكرها ابن دقاق لم تكن على ما يظهر أوسع ولا أفصح^(٥) .

- (١) ذكر منها ابن دقاق كثيراً : وكان البعض يحمل المجارى والفنادق ومخالف الحمامات (ابن دقاق رابع ص ٥٤) .
- (٢) كانت السقائف يقام عليها أيضا بعض الأبنية العظيمة . من ذلك سقفة الزوايا كان يعلوها مسجد كبير وله سكن حسن (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . وكانت هناك سقائف حاملة لدار ابن ناصر الدين الشرايى (ابن دقاق رابع ص ٤٦) ، ودار ابن العجان السمار (ابن دقاق رابع ص ٥٠) ، وأخرى أسفل مسجد عماد الدين والزبير وشجاعة (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . وكان البعض على هيئة أروقة على الشارع ، ومن ذلك : سقفة الربع العادلى ، وكانت ساباطاً مستطيلاً بطول الربع المذكور من بحريه إلى شرقيه ، محمولة على سور الربع المذكور . وهى على عمد صوان تقابلها (ابن دقاق رابع ص ٥٠) . ومن هذا القبيل قول ناصر بن عسرو : ان بعض الأسواق والشوارع تضاء بالنناديل ، لأنها مسقوفة لا يصل إليها النور ، ويمر الناس فيها (ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شبير ص ١٤٧) .
- (٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٧٤ و يطلق على ذلك عتبة غير نافذة (ابن دقاق قبله) . والظاهر أن بعض الدروب المسدودة كان مسقوفة ، كسقفة الكجاد . وكان أسفلها كجاد عنده أقواس يعلم بها الرمي وبصدره أوماج يرى فيه وعلوها دار كانت قديماً للرفق بن المهدي (ابن دقاق رابع ص ٤٦) .
- (٤) كان ابن داود من أشد الناس ، وأعظمهم هبة ، وأقدمهم على الدم ، وأكثرهم عقوبة ، فنع من غلق الدروب والحوائط (المقرئى أول ص ٣٠٧) .
- (٥) ابن دقاق رابع ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ وما كان أوسع وأفصح من ذلك يسمى «ميدان» .

(هـ) طبقة أرض الفسطاط

بنيت المدينة على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا، ووهادا. وتتبع الشوارع والدروب على العموم اختلاف وجه الأرض القائمة عليها. وفي غالب الأحيان ترى بين أرحبة الشارع والصخر طبقة غير كثيفة من الرمل. وفي بعض المواقع يرى الصخر ظاهرا مكونا لأرض الشارع. ولقد أشار الى هذه الميزة، السائح العجمي ناصر خسرو، حيث يقول: بنيت مدينة مصر خشية طفیان الماء عليها فوق هضبة من صخور كبيرة، وسميكة. ولما خططت الشوارع والدروب ومهدت أرضها كسرت تلك الصخور، فنشأ عن كسرها عقبات^(١) آه.

نقول: وهذه العقبات قد أبان لنا الحفر في أطلال الفسطاط عن كثير منها. ويظهر أن أرض الدروب وغيرها من الطرقات لم تكن مبلطة، فانا لم نعر مطلقا في أى موقع من مواقع المدينة المكشوفة على أثر للبلاط أو أن الأرض مفروشة بمادة أخرى.

(و) الآبار السابلة

ذكر ابن دقاق بعض الآبار السابلة^(٢)، وقال: ان بعضها قائم في وسط الطريق^(٣). وقد كشف الحفر بئرا من هذا القبيل، واقعة في وسط رحبة صغيرة. وسيجىء لنا، أن هذه البئر كانت تمتد بمائها حوضا في احدى الدور القريبة منها، يجمعه بها عقد^(٤). وهى أول بئر عثرنا عليها من هذا القبيل. وليس ذلك بالغريب لأن البيوت التي تحوى الآبار كثيرة العدد^(٥).

٣ - منظر بقايا المدينة

كل من زار أطلال الفسطاط التي كشفها الحفر، يشق عليه، أن يتصور أن هذه الكتل من الآجر القديمة الشكل، قائمة في مكان عاصمة كان لها شأن عظيم، وان هذه الدروب والحواري الضيقة التي ترى على جانبيها قطع من بقايا الجدران، ازدحمت في غابر الازمان بالمارة

(١) ناصر خسرو سفرنامه طبع شيراز ١٤٦

(٢) ابن دقاق رابع ص ٣٦ و ٤٧

(٣) ابن دقاق رابع ص ٤٨

(٤) راجع الدار السادسة في الباب الرابع. (٥) من المعلوم، أن المياه التي في باطن الأرض تزيد ملوحتها كلما ابتعدت من النهر. ولذلك

كان يؤتى للشرب بالمياه من النيل ويوزعها السقاؤون في أنحاء المدينة بالقرب (ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شيراز ١٥٢).

من الناس، من كل الأجناس، وان هذه البقاع الخالية كان يسمع فيها لغط أكبر الأسواق المصرية المشحونة بالبضائع، مع أن المؤلفات التاريخية تقدم لنا في هذا الباب نصوصا لو طبقناها على هذه البقايا التي انكشف عنها الحفر، لساعدت على تصوّر الحال التي كان عليها الفسطاط قديما . وانا ندرّد هذه النصوص مبتدئين بما ذكره ابن حوقل، الذي ساه في مصر في القرن الرابع الهجري سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م)، حيث يقول : والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ، على غاية العمارة والطيبة واللذة، ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ومتاجر نخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الأيام خضرة^(١) .

ولما قدم ناصر خسرو مصر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٦ م)، كانت الفسطاط لا تزال في غاية العمارة، فانه وصفها بقوله : "حينما يرى الانسان من بعيد مصر الفسطاط، يظن انها جبل، فيها دور من أربع عشرة طبقة، وأخرى من سبع طبقات . وقد سمعت من ثقة : أن بعض الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات، فأصعد الى هذا السطح عجلا صغيرا، وغذاه حتى غدا ثورا، وركب في السطح ساقية يديرها الثور، فصعد الماء الى السطح الذي غرس فيه شجر البرتقان، من الحلوى، والمالح، والموز، وأشجارا أخرى مثمرة، وزرع فيه الأزهار، والرياحين من سائر الأنواع" . ولكن ما يلفت النظر من وصف هذا السائح الفارسي^(٢)، انما هو كثرة الثروة في الأسواق، والازدحام فيها وجمال الأعياد التي حضرها، حيث يقول : "لو وصفت هذه الأعياد لما وسع كثير من الناس أن يصدق كلامي، ويرمى بالمبالغة والاغراق، فان حوانيت القصارين والصياغ والحوانيت الأخرى، مفعمة بالذهب، والحلى، والبضائع، والأقشة من الحرير والقصب، لدرجة لا يجد فيها المشتري محلا يجلس فيه" . وختم هذا الوصف، بقوله : "رأيت بمصر ثروة جسيمة، وأموالا جمّة، لو هممت بوصفها، لما صدق أحد من سكان بلاد العجم كلامي"^(٣) .

(٢) ناصر خسرو طبع شيفر، ص ١٥٥

(٢) ناصر خسرو طبع شيفر، ص ١٤٦ و ١٤٧

(١) ابن حوقل ص ٩٦

ومع ذلك، لم تكن هذه المدينة التجارية تصلح للسكنى ، فان ابن رضوان المصرى الطيب الذى كان طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر المسيحى)، قابل بينها وبين القاهرة من حيث "نصحة والنظافة فقال : "وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة ، وأبنيتها عالية ... ومن شأن أهل الفسطاط ، أن يرموا ما يموت فى دورهم من السناير والكلاب ونحوها، من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم ، فتعفن وتخالط عفتها الهواء . ومن شأنهم أيضا ، أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم، وجيفها ، وخرارات كفهم ، تصب فيه . وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العقونة باختلاطها بالماء . وفى خلال الفسطاط، مستودعات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط . وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها، حتى أنك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس، ويتسخ الثوب التنظيف فى اليوم الواحد . وإذا مر الانسان فى حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير . ويعلوها فى العشيات ، خاصة، فى أيام الصيف بخار كدر أسود وأغبر، سيما إذا كان الهواء سليما من الرياح^(١) ... " .

وهذه الصورة المنفرة، ربما كانت هى السبب فى تنقل العاصمة، من مكان الى مكان، نحو الشمال، والبحث وراء الموقع الذى يمكن أن تهب فيه الريح الشرقية^(٢) . على أن بعض خطط الفسطاط لم تكن لتخلو عن الرياح الطيبة ولا تجرد عن العقونات، كما يصفها ابن رضوان، فان الجانب الذى يصفه يوافق وسط الأسواق ، وحركة التجارة ، حيث يبلغ فيها السكان أقصى الزحام فيما جاور الجامع والنيل^(٣) . أما الخطة الجميلة التى يذكرها ابن حوقل ، فلا شك فى انها كانت تمتد الى الشرف ، وإلى حافة بركة الحبش التى كانت على أيام خلفاء الفاطميين مفعمة بالمناظر العديدة البديعة^(٤) .

(١) المقرئى أول ص ٣٣٩ و ٣٤٠

(٢) ولقد انتقد الخليفة المعز جهرًا على اختياره موقع القاهرة لأن مكانها لم يعجبه فقال له : « فأتلك ببناء القاهرة على النيل فها كنت بنيتها على البحر » .
يعنى الشرف الذى عليه الرصد ، يريد بذلك مكانًا أطيب هوا . من موقع العاصمة القديمة (المقرئى أول ص ١٢٨ وعن المواضع التى كانت تعرف بالشرف تراجع

ص (١٢٥) . (٣) ابن حوقل ص ٩٦ (٤) المقرئى أول ص ٤٨٦

أما ما جاور الفسطاط، فكانت تكثر فيه البساتين الواسعة : كبستان بنى مسكين، على مقربة من بركة قارون^(١)، وبستان بنى سنان البصرى، خارج مدينة الفسطاط . وهذا البستان الذى أعجب به المأمون بن هارون الرشيد، حينما جاء مصر فى سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م)^(٢)، كان فى غاية السعة، فإن مالكه كان يؤدى عنه فى كل سنة خراجا يقدر بعشرين ألف دينار، ويحجب منه غلة سنوية مقدارها مائة ألف دينار^(٣) .

وما سبق من وصف الفسطاط، إنما ينطبق على زمن سعادتها . وبعد أن هجرها السكان قليلا، بقيت أسواقها على حالها من الضخامة . وقد أتى ابن سعيد المغربى على وصف ما بلغته المدينة من عظم التجارة، وكثرة الصناعة، وقت مروره بها حيث يقول : "وبمدينة الفسطاط مطابخ السكر ومطابخ الصابون ومسالك الزجاج ومسالك الفولاذ ومسالك النحاس والوراقات مما لا يعمل فى القاهرة ولا غيرها من الديار المصرية"^(٤) .

ولقد كانت كثرة الميرة والحبوب، فى مطامير الفسطاط، سببا فى رخاء العيش فيها، رخاء يزيد على ما كان عليه الحال فى القاهرة، لأن القاهرة كانت مسكنا للكبراء ومقرا للأمرء . وفى ذلك الوقت، كانت ترى أطلال الخطط التى هجرها أهلها من الفسطاط فى شمال أسواقها وشرقيها .

ولقد زار ابن سعيد المغربى الفسطاط، كما يزور سياح الوقت الحاضر آثار القاهرة، فركب إليها من باب زويلة حمارا . ولكنه لم يبلغها حتى شاهد منظرا محزنا، قال : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة، وتأملت أسوارا مثلبة سوداء، وأفاقا مغبرة . ودخلت من بابها^(٥)، وهو دون غلق، مفض الى خراب معمور، بمبان سيئة الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن، والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة . وحول أبوابها من التراب والأزبال

(١) المقرئى أول ص ٢٩٧

(٢) قدم المأمون الى مصر فى سنة ٢١٧ هجرية كما ذكره الكندى فى تاريخ مصر وولاتها ص ١٩٢ عكوش

(٣) المقرئى أول ص ٢٣٤ (٤) ابن دقاق رابع ص ١٠٨

(٥) يحتمل أن يكون باب الصفا، لأنه كان على الطريق عند الخروج من باب زويلة الى الفسطاط فمر الخليج .

ما يقبض نفس النظيف ، ويعض طرف الظريف^(١) . وفوق هذه الأطلال الدارسة، أُلقيت شيئاً فشيئاً الأنقاض، بحيث أنه لم يمس غير قليل، حتى تكونت على خطة "الخراب" هذه الكيان العالية . ومن هذه الكيان كانت تؤخذ مواد البناء التي يمكن الانتفاع بها في الأبنية الجديدة من آجر وخشب وأبواب وبلاط وغير ذلك ، حتى أدى إخراج هذه المواد من باطن التلال في بعض المواضع التي كشفناها ، الى أن الباقى من المباني كان عبارة عن ككل لا يفهم أصلها كما سنثبت في هذا الكتاب .

(١) ذكر ذلك المقرئى أول ص ٢٤١

الباب الرابع

الدور ذوات الحيشان المتوسطة ووصفها

الدور التي نتكلم عليها في هذا الفصل متفرقة في عدة نقط بمنطقة الحفر، كما يتبين من الخريطة العمومية (شكل ٣) . وهي نوع من المساكن ان لم يكن قد عم مدينة ^(١) لانا، فانه عام في المنطقة التي تم كشفها . وما جمعناه من الأمثلة قد انتقيناه من بين دور كثيرة، وضعت تصميماتها على أصول متشابهة .

المجموعة الأولى من الدور

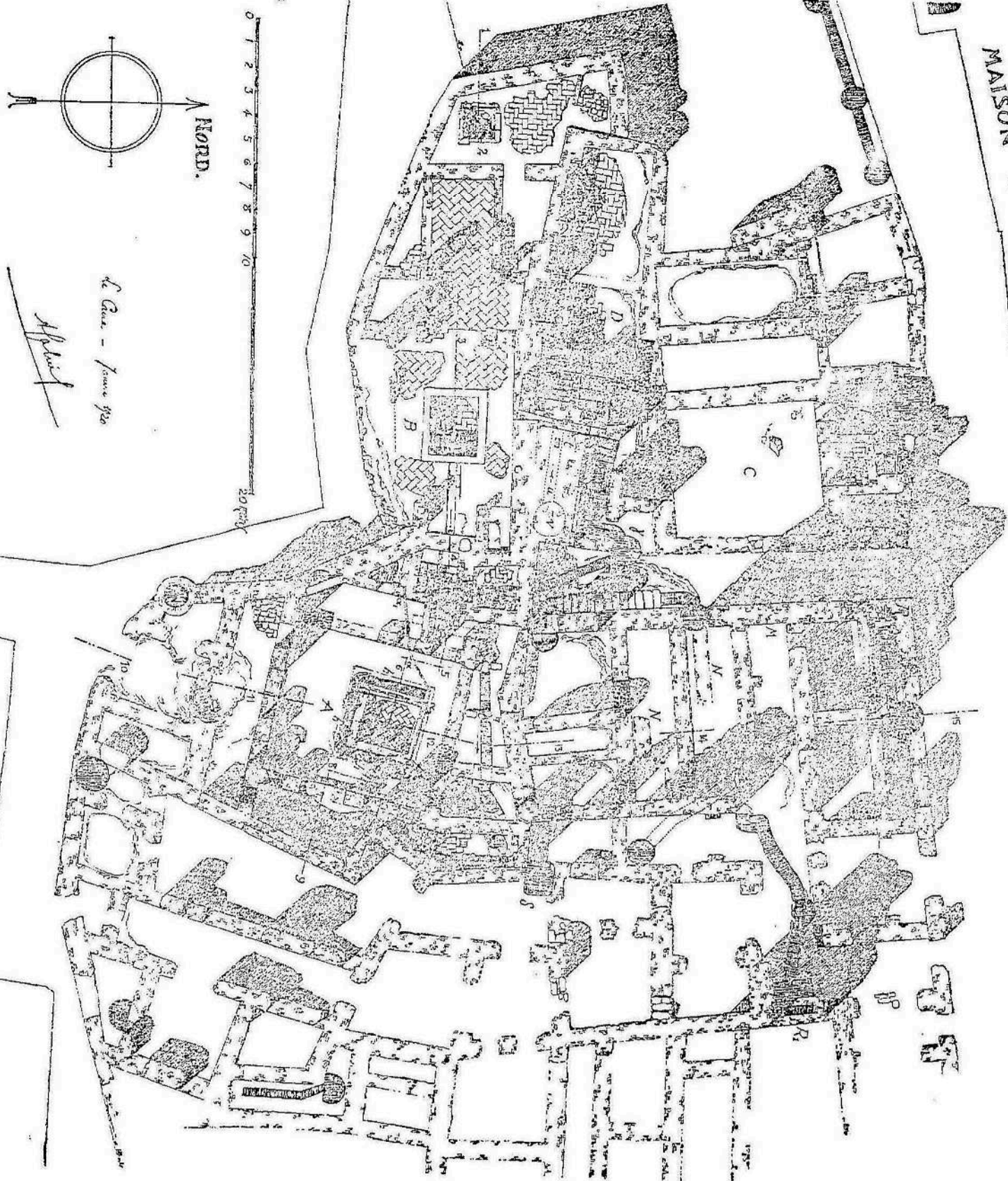
(راجع اللوحات السابعة ٢ والثامنة ٢ والتاسعة والأشكال ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩)

اجتمع في هذه الدور من الجدران ما زاد في الارتفاع على غيره، في المنطقة التي كشفناها حتى الآن . وبعض هذه الجدران ما زال محفوظا بارتفاع خمسة أمتار (راجع اللوحة ١٩ - ١) . ولكن ذلك في نقط متقطعة . وقد اندثر من المباني المجاورة أكثرها حتى الصخر . ومن الاطلاع على المسقط الأفقي للدار (شكل ٤)، تدبّر هيئتها العامة .

وغنى عن البيان، أنه ليس من السهل، في مثل هذه الأحوال، الاهتداء الى أوضاع الرسم الأفقي، وتعيين عدد الدور المنفردة، وحدودها . وما نحن بصددده منها، واقع على طريقين : أحدهما في الشمال، والآخر في الجنوب . ويظهر أن الطريق الشمالى، كان من أهم طرق المدينة، يخرج منه زقاق غير نافذ، ويختلل الدور .

(١) سيرد في سياق كلامنا في هذا الكتاب، بجانب الدار ذات الحوش المائلة للدار الرومانية دروس (domus) وسواها، دور أخرى ذات طبقات عديدة من قبيل الدار التي يدعوها الرومانيون أنسولا (insula)، أى جزيرة، لأنها تكون من عدة دور مجتمعة تابعة لمالك واحد وتحيط بها الطرق من جميع الجهات فتكون في وسطها كالجزيرة . وسبغ هذا الموضع في محله بما فيه الكفاية . والآن نكتفى بأن نقول : أن ما يتبين لنا طرزه غريبا في هذه الابحاث الأولية، لتكون منه طائفة مخصوصة من دور القساط .

MAISON II



MAISON II

RUE

RUE

IMPASSE

RUE

RUE

Nord.

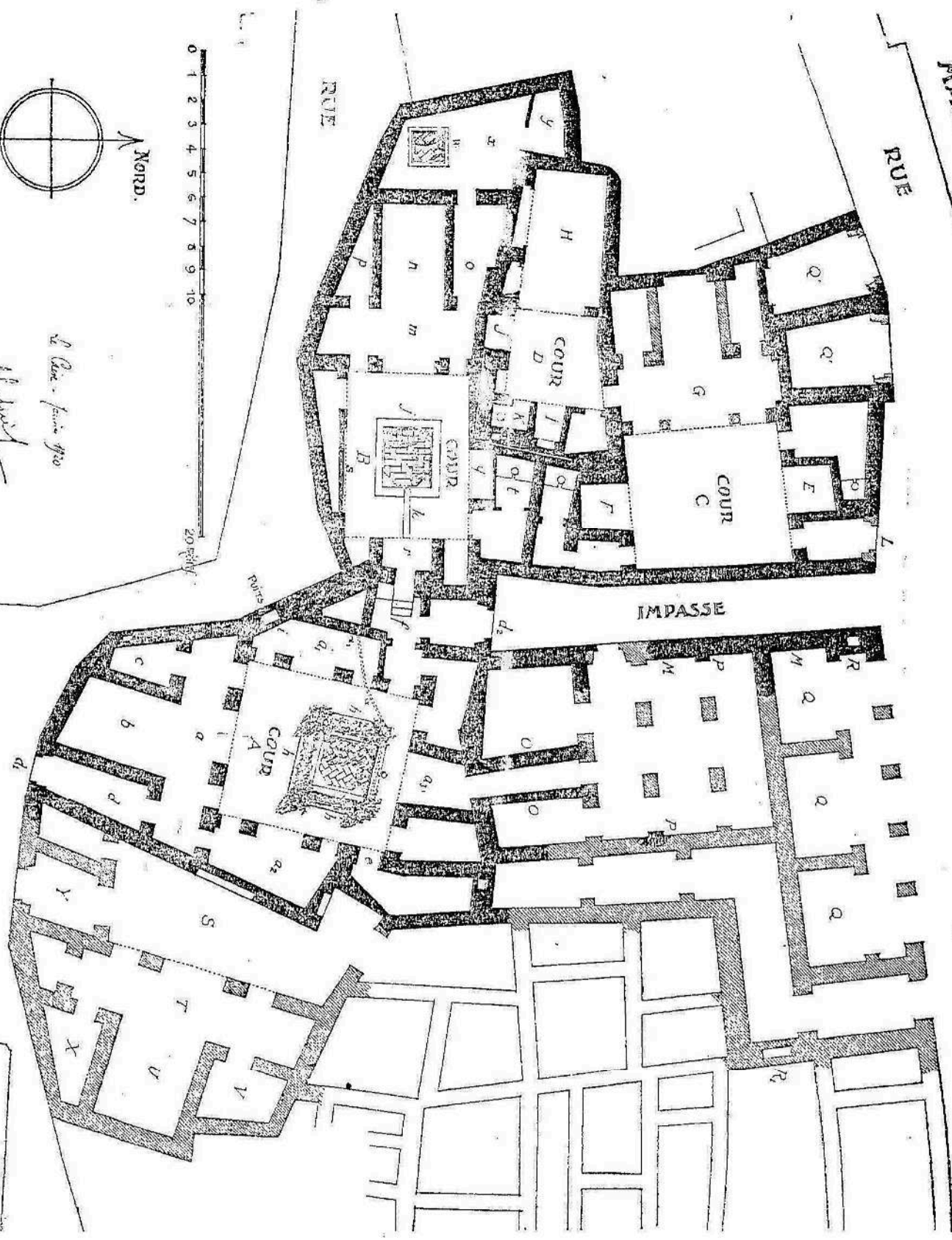
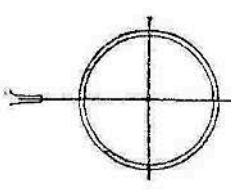
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

20 m

de l'axe. finis 1910

M. L. L.

شكل هـ - المجموعة الأولى من الدور (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)



وفي الجنوب الشرقى الحوش الأول A ، تحيط بثلاثة من جوانبه الأروقة a_2, a_1, a (راجع شكل ٥) وربما كان هناك إيوان في a_3 ، كما يستدل على ذلك من أثر الأساس^(١) .

ومن الرواق « ، يتوصل الى قاعة كبيرة « ، تكتنفها من طرفيها حجرتان « د » ، كما يتضح ذلك من الوضع العمومى الذى نجده فى عامة الدور .

وكان لزوال بعض الجدران، أثر عظيم فى الصعوبات التى تحول دون الوصول لمعرفة التخطيط الأصيل ، واعدته سيرته الأولى . ولذلك كان تعييننا لموقع المدخل فى نقطة d_1 ، على سبيل التخمين .

وإذا حاذينا جانب الرواق الشرقى فى سيرنا ، نجد بابا على حجرة صغيرة « ، يقابله فى الجهة الأخرى من الصحن ، باب يؤدى الى سلم « ، بعض درجاته مازالت باقية فى مكانها .

وفى الصحن فسقية « من النوع المعروف ، مربعة الفتحة ، مئنة الجوف ، تحيط بها من الجهات الثلاث : القبلىة ، والشرقية ، والغربية ، حفرة (أو حوض) « ، وجدت عند فحوصها مملوءة بالطمى مما يدل على أنها كانت مزروعة بالزهور وغيرها . وسنرى علينا ذكر عدة فسقيات من هذا القبيل .

وأما مياه هذه الفسقية ، فتزد فى براج من الفخار « . وهذه البرائج يمكن تتبع اتجاهها ، فهى تجاز « ، بعد أن تخرج من خزان مثلث الشكل ، فى صلب الجدار الذى على الطريق الغربى . وهذا الخزان يكاد يكون على أصله ، إذ لا تزال نرى بعض قبوه ، وأرضه المبلطة بالحجر ، وملاطه المصنوع من الجير والرماد . وفوق ذلك ، بقية من بلاط آخر ، يستدل منها على أن الخزان الأول ، كان فوقه خزان آخر منفصل . وسنرى عند فحص الجهة القبلىة الغربية من هذه الدور ، أن ظننا هذا له مبرر . ويجاور الخزان بئر « ، يمكن ملء الخزائين منها ، ومن

(١) يطلق الايوان فى العارة العربية على ما هو معروف بهذا الاسم وعلى الجزء الداخلى فى جوانب الجدران على هيئة الصفة وهو مانع عنه هنا بلفظ ايوان .

وقد أطلق فى بعض الرقفيات على هذه الصفت اسم « مصطبة » .

المحتمل ، ان الماء كان يرفع بالطريقة المعتادة أى بواسطة البكر والرشاء والدلو ، ويصب في مجار موضوعة وضعا مناسباً ، يساعد على جريان الماء بموازنة السطوح أو الطبقة الأولى .

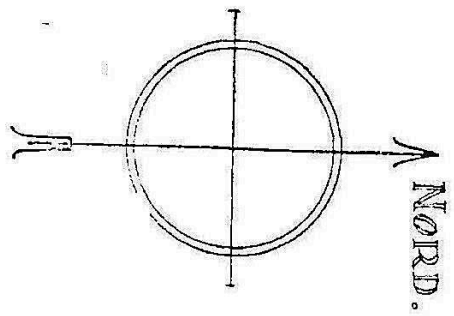
والسلم r ، لم يبق منه إلا درجتان سفليتان ، وبسطة . وهو ينعطف نحو الجنوب ، على شكل زاوية قائمة . وتحت الدرجتين قبو مكسور في مبدئه . وقد ذكرنا هذه التفاصيل عن السلم والحوض ، لنبرهن على تبعية الأبنية القائمة في الجهة القبلية الغربية للأبنية التي وصفناها .

وفي الواقع ، ان أول قلبة من السلم ، تؤدي الى حوش ثالث نرسم له بحرف B ، بوسطه فسقية r ، وهذه الفسقية تأتيها المياه بواسطة القناة k ، من الخزان الأعلى الذي أشرنا اليه فيما سبق . ومن ثم تتحقق الصلة بين الحوشين B و A .

ومما ينبغي التنبيه عليه ، أنه لا يزال هناك بقية طيبة من البلاط ، في الحوش المرموز له بحرف B ، وفي الأروقة والقاعتين المجاورتين لها ، مما يدل على أن مستوى أرض هذا الجناح كله ثابت على أصله تماماً . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان محور درج السلم r على سمت محور الحوش B وهناك بلاطة من الحجر مبيتة في الجدار المبنى بالطوب (٤ من الشكل ٦) يستدل منها على أن هذا الجدار كان به باب بمستوى البسطة العليا . ومن ذلك يظهر أن الحوشين B و A كانا تابعين لبيت واحد .

وحول الحوش B ، الرواق m ، والقيعان p, o, n ، والايوانان r, q . ومحور الايوان s يقابل محور الايوان q . والمراحض t ، مركبة على المجرور u ، المنتهى بالبيارة v (شكل ٦) . وفي الغرب من هذا الحوش ، فسقية صغيرة w ، لا تصل اليها المياه من جهة ما ، في أرض الحجر (أو الحوش) x الملحقة بها حجرة صغيرة y .

والظاهر ، أن هذا المكان كان قاصراً على الحوشين B و A بمرافقهما ، فكان محتوياً على جناحين متشابهين من البيوت . ويغلب على ظننا أن الحوش المنخفض A ، وهو أوسع الحوشين واليه يسلك من الخارج ، قد كان يتوسط قاعات الاستقبال .

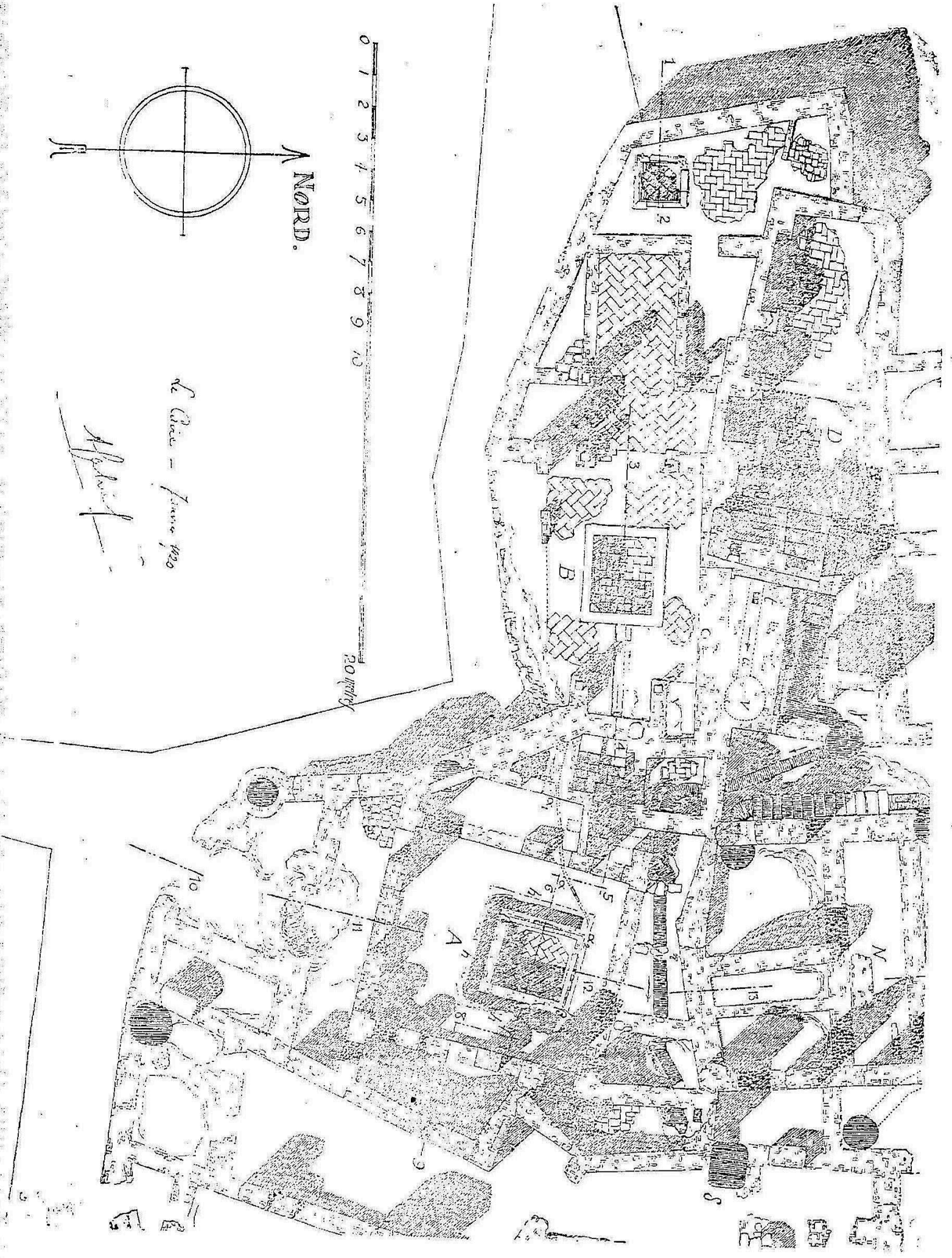


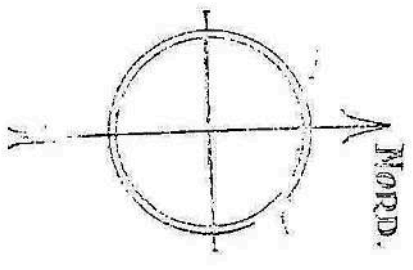
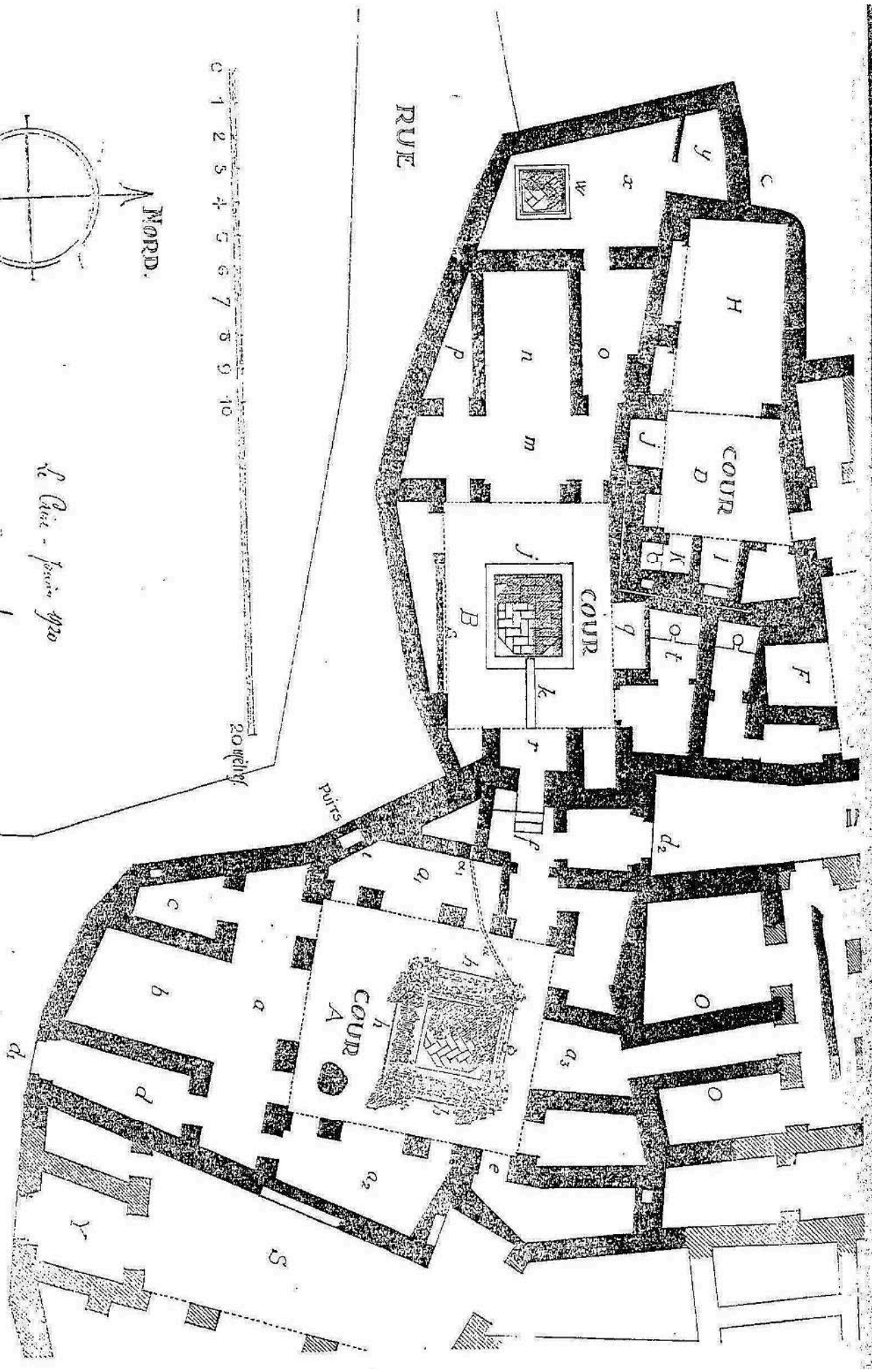
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

20 m

de Cécile - France 1920

Alfred





0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

20 mètres

puits

RUE

de Caire - Paris 1920

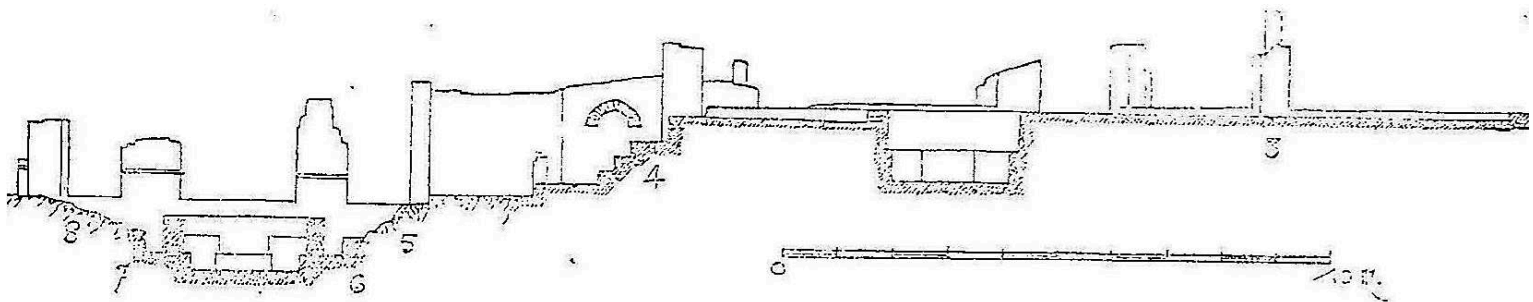
Handwritten signature

شكلا V - المجموعة الأولى (تفصيل عن القسم A-B) بعد إضافة إلى أصلها

أما الحوش المرفع، فكان مخصصا للحريم . وربما، ان كلا من الجناحين كان له مدخل خاص . فكان الرجال يدخلون من الجهة القبليّة من d_1 وتدخل الحريم من نهاية الزقاق الغير نافذ ^(١) . فبل يسوغ لنا مما توضح أن نعتبر جميع الأبنية بالحوشين شمالي الدار مستقلة عنها؟ وفي الواقع، ان وجود البيارة γ والبيارة δ يربطهما مجرور واحد (شكل ٦)، دليل على أن الجهات البعيدة كانت تابعة لدار واحدة، أو على الأقل في حيازة مالك واحد . ولكن القاعتين الكائنتين في الجهة البحرية الغربية حول الفضاء C ، كانتا على استواء أرض الحوش A ، وهي متحدة مع الشوارع في مستواها العمومي . ولم يكن لهذه الأرض اتصال بالحوش B المرتفعة أرضه . ولذلك نعتبر هذه المنطقة البحرية الغربية كدار مستقلة .

أما الحوش C ، فيتصل به إيوانان E و F (شكل ٤) . ولا بد من وجود رواق معهما في G وقد وجد في الحوش تاج كورنثي، يظهر أنه كان مستعملا في الرواق . وكان بالدار عدّة غرف ومراحيض وحوض للغسيل وغير ذلك .

وقد رسمنا في D حوشا حوله قاعة H وإيوانين صغيرين I و J ومراحيض K وكلها صغيرة المقاس ومنظرها على غاية البساطة . ويظهر ذلك من أثر البلاط المركب بغير نظام .



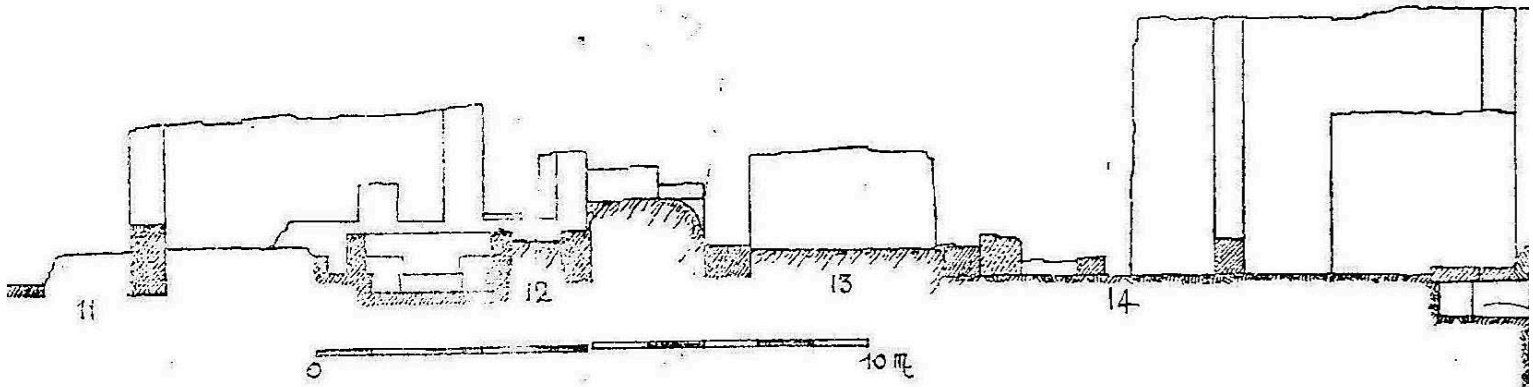
شكل ٨ - قطاع من ١ - ٩ من الشكل ٤

• ويجوز أن يكون الحوش D ، واقعا أمام قاعات الاستقبال . أما الحوش C ، فـ خاص بالحريم . وقد جعلنا في L على الشارع العمومي، مدخل الدار .

(١) هذا القول لا يخرج في الحقيقة عن الفرض والتخمين؛ فقد حفرتنا عند قعطي d_1, d_2 حتى وصلنا إلى أرض الشارع، ولكنا لم نعر إلا على أساس جدران

ليس فيها أبواب ولا أعتاب .

ولم يبق إلا أن نفحص الجزء الشمالى الشرقى من المباني ، مع ملاحظة أن بعض الجدران المرموز لها بحرف N ، معدودة من أكثر الجدران ارتفاعاً بين ما تم كشفه . وما عداها مما يجاورها ، زال أثره حتى الصخر كما سبق ذكره .



شكل ٩ - قطاع من ١٠ الى ١٥ من الشكل ٤

ويلاحظ من جهة أخرى ، ان بقايا الأبنية الأكثر قدماً وهي المرموز لها بحرف N,N ، يصعب تمييزها عن غيرها . وقد رسمناها بهذا الوضع على سبيل الظن والتخمين . ويدل وجود الكتفين المربعين P,P على أنهما كانا مستعملين كدعائم متوسطة . أما الجدران O,O ، فيدلان على أن هناك دهليزا يؤدي الى الحوش A . وكل ذلك يحملنا على الظن بأن هذا الجزء من مرافق البيت B,A .

وما سبق بيانه جئنا به احتمالاً . وهناك مسألة لا تقبل الشك ، وهي أن القاعات التي من قبيل Q,Q كانت حوائط مفتوحة على الشارع ، فوقها مقعد معقود . ويستدل على ذلك بأثر الأتلاف المبنية بالطوب . ومنها جزء قد تحول عن أصله . ويحملنا على التأكيد بوجود هذه الدكاكين المصقوفة على حافة الطريق ، وضع مماثل لهذا لا تزال نتذكره في شوارع بومبي وديلوس . وقد أتيج أسيو هرزقلد رؤية شيء من هذا القبيل في سر من راى (سامرا) .

بقيت مسألة تعرض لنا كلما بحثنا في دار من الدور ، وهي مسألة الطبقات ، فأننا لم نلاحظ بين المباني التي سبق لنا وصفها ، وهي لا تحتوى على أقل من مسكنين مختلفين ، غير

مبدأ سلم . وقد قلنا أنه ذو قلبتين بزاوية قائمة ، ولكن هذا الوضع لا يكفي لأن يتخذ دليلا على أن هذا السلم كان يوصل لدور عال ، اذ ربما كان الغرض منه الوصول الى الأحواض والمحل الذى تستخرج منه المياه من البئر .

وفى بعض الجدران ، قنوات مستطيلة القطاع شبيهة بالمداخن التى تستعمل الآن . وهى مدهونة من داخلها دهانا متقنا . وكانت واصلية الى المجارير أو البيارات^(١) . ومن الصعب تحديد وظيفتها . ولا يسعنا التسليم بسهولة بأنها كانت مخصصة لتصريف المياه من السطح الى المجارير، لأنها كبيرة القطاع . ولا يمكن أن يكون المراد منها مثل هذا فقط، لقلة نزول الأمطار فى هذه البلاد . ولو كان القصد تهوية البيارات والمجارير، لكان مقاسها أقل مما هى عليه .

- ويغلب على الظن ، أن هذه الأقنية مصارف مراحيض الطبقة العليا . وهذا دليل على أن جزءا من الطبقة السفلى، على الأقل ، كان فوقه طبقة أخرى . وترى فى الجدران العالية ، مواضع ركوب أطراف العروق . وهذه المواضع منحطة قليلا عن قمة الجدران . ومن وضعها هذا ، يعلم أنها كانت تحمل سقف الطبقة العليا ، أو على الأقل سقفا متوسطا بين الطبقتين السفلى والى تليها . ولكن هذه المعالم لاتساعدنا على ترجيح أحد الرأيين على الآخر . ولما كان أسلوب البناء والمواد المستعملة فيه واحدا ، من الأساس الى القمة، فلا يسعنا، كما هى الحال فى ديلوس مثلا ، أن نحكم أن كذا من الأوضاع لا يصح اتخاذه فى غير الطبقة الأولى . وعلى كل حال ، ان ماتخيلناه فى رسم الطبقة السفلى توجد به البيانات الكافية، لتكوين المرافق التى تكفل الراحة لسكنى إحدى الأسر .

ومما يلاحظ ، ان هذه الدور التى أتينا على وصفها كانت تسكنها أسرة واحدة من متوسطى الناس . وليست من محال الاستغلال التى كانت تبنى على شكل مغاير لهذا .

أما البيت الملاصق للحوش A ، من الشرق ، فيمكننا تصور مشتملاته كما يأتى : حوش S ، ورواق T ، وقيعان U, V, X ، ومدخل فى Y .

(١) راجع الشكل الرابع R وفى اللوحة التاسعة عشر رقم ١ رمنا القناة واتصالها بالمجرور .

والمباني التي في الجهة البحرية من هذه الدور، إنما هي، من بقايا أساس ولا تكفي للوقوف على الوضع الأصلي .

الدار الثانية

(اللوحة العاشرة ١ و ٢ والأشكال ١٠ و ١١ و ١٢)

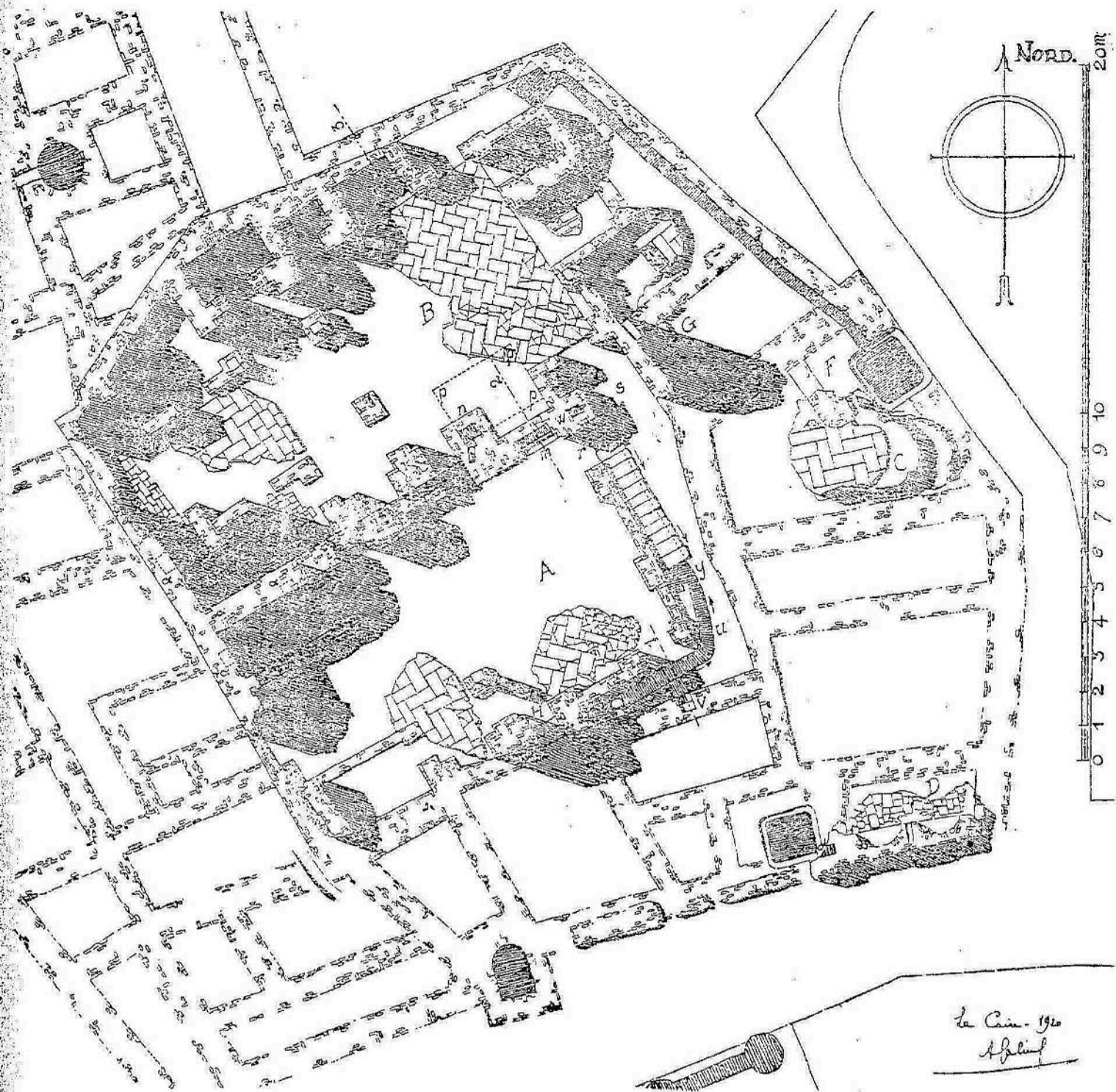
يتعذر تعيين حدود هذه الدار على وجه قطعي . والحدود التي أوردناها، إنما أخذت من واقع معالم مختلفة، فهي من الفروض غير مقطوع بصحتها، ومن الصعب الاهتداء منها إلى أدلة حاسمة .

ويلاحظ أن هذه الدار لها نظام غريب، انفردت به عن غيرها مما كشف حتى اليوم من القساطر (راجع الشكلين ١٠ و ١١) . فهي تحتوي على حوشين متجاورين A و B ، كل منهما بمعزل عن الآخر ومساحتهما تكاد تكون واحدة، والفاصل بينهما جدار بسيط . وقد بنيت الأجزاء الداخلة في الحوش B غير مرتبطة بالجدار الفاصل . ولذلك، يغلب على الظن أن المباني الغربية متأخرة عن المباني الشرقية .

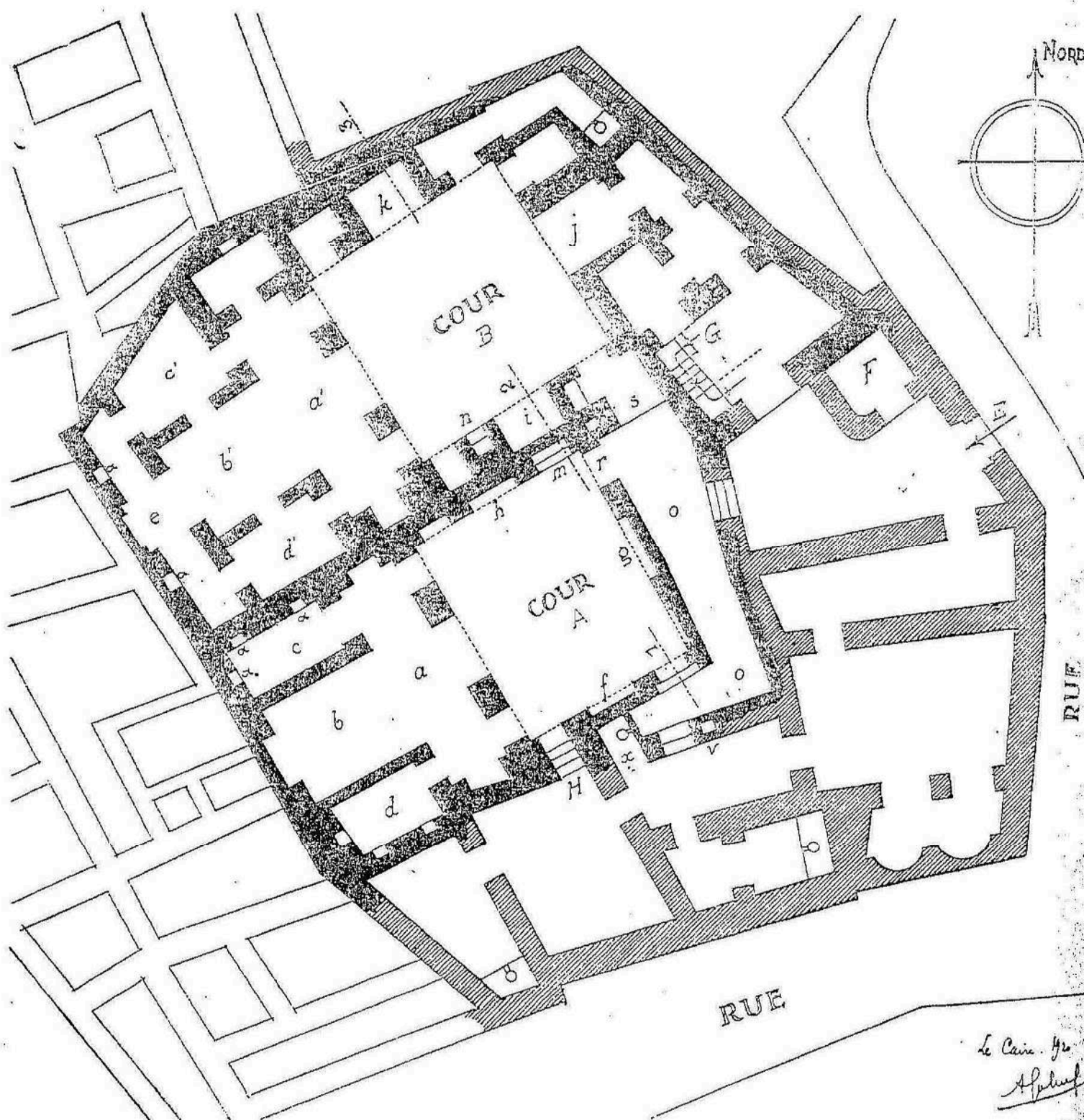
وليس هناك فسقية في كل من الحوشين . وإنما هناك بر قطاعها مستطيل، محفورة تحت الجدار الفاصل^(١) .

وهي نازلة إلى ما استواء الماء تحت الأرض، وعاليها قبو معقود عقدا دائريا . ولأخذ الماء منها، ينزل إليها الإنسان من الحوش A ، بثلاث درجات منحوتة في الصخر . وفي قبو البر من جهة الحوش B ، في نقطة n ، فتحة مربعة كانت عليها نحرزة . ولم تزل بهذا الحوش بقية من بلاطه . والأوضاع متماثلة في الجهة القبلية من الحوشين، حيث يشتمل كل حوش على : رواقين بكل منهما ثلاث فتحات في a و a' ، وقاعتين b و b' ، وجحر c, c', d, d' ، وخلف القاعة d' ما يشبه الدهليز e . وفي الجدران عدة صفوف a, a, a . (راجع اللوحة العاشرة ٢)

(١) راجع القطاع في الشكل ١٢ ومحل هذه البر المستطيل P, P, P, P من الشكل ١٠



شكل ١٠ - الدار الثانية (المسقط الأفقي كما هو الآن)



شكل ١١ - الدار الثانية (المسقط الأفقي بعد أعادته الى أصله)

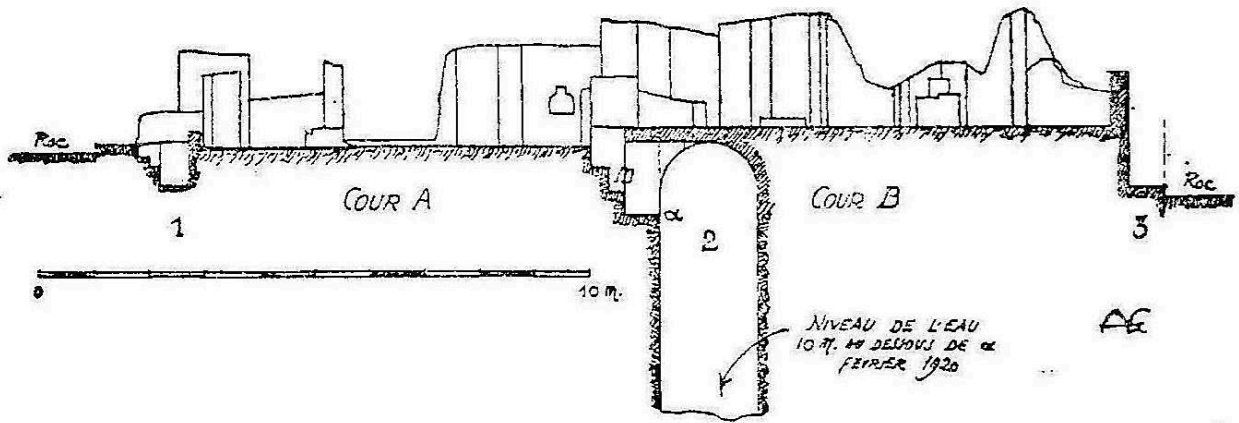
أما الجوانب الثلاثة الأخر من الحوش B ، ففيها ثلاثة أواوين k, j, i وبعض حجر صغيرة . ولا يوجد في الحوش k ، أواوين ، وإنما بعض صفوف h, g, f في الجوانب متماثلة الوضع ، في كل جانبيين متقابلين .

ويحيط بالحوش A دهليز n يؤدي إلى حوشين من باين sr وتحت مجرى مبلط u ، تنصرف إليه في w, v مياه السطوح أو الطبقة العليا . وما زال في w ، حوض لغسل الأيدي بمكانه الأصلي وقناة صرف تصب في المجرى .

وكانت البيرة v ، لا تستعمل إلا لصرف مياه المطر والغسيل لصعوبة نزحها .

على هذا الوجه ، تبين لنا نظام البيت فيما يلي الحوشين ، لأن الجدران في هذه المنطقة ما زالت باقية بارتفاع كاف يصل في بعض المواضع إلى $٢,٥٠$ م وبها عدة صفوف .

أما باقى أجزاء الدار فقد عفت معالمها ، إلا النذر . فلم تبق منها إلا قطع متفرقة من أساس مبنى بالآجر لا يدل على شيء . وكنا نعزل أحيانا في رسم الجدران على ما نجده من أثر المونة اللاصقة بالصخر .



شكل ١٢ - الدار الثانية (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٠)

وقد اعترضتنا بقية من أبنية، رمزنا لها في الرسم بحرف DC ، بحار العقل في تعليلها، لأن بينها أثر بلاط يدل على وجود سطح أعلى من الحوشين A و B وهما ليسا باستواء واحد، فضلا عن وجود بعض درجات، مرموز لها بحرف H كانت معدة للصعود إلى مكان عال عن أرض الحوش .

لذلك اكتفينا بالبحث عن تخطيط الطرق ورسم الجدران الفاصلة، بالاعتماد على ما شاهدناه من أثر البقايا، فرسمنا المدخل في E، حيث يوجد أثر بلاط متقن الصنع بمكانه الأصلي، ورسمنا حجرة صغيرة في F. والظاهر أنها كانت تستعمل للبواب.

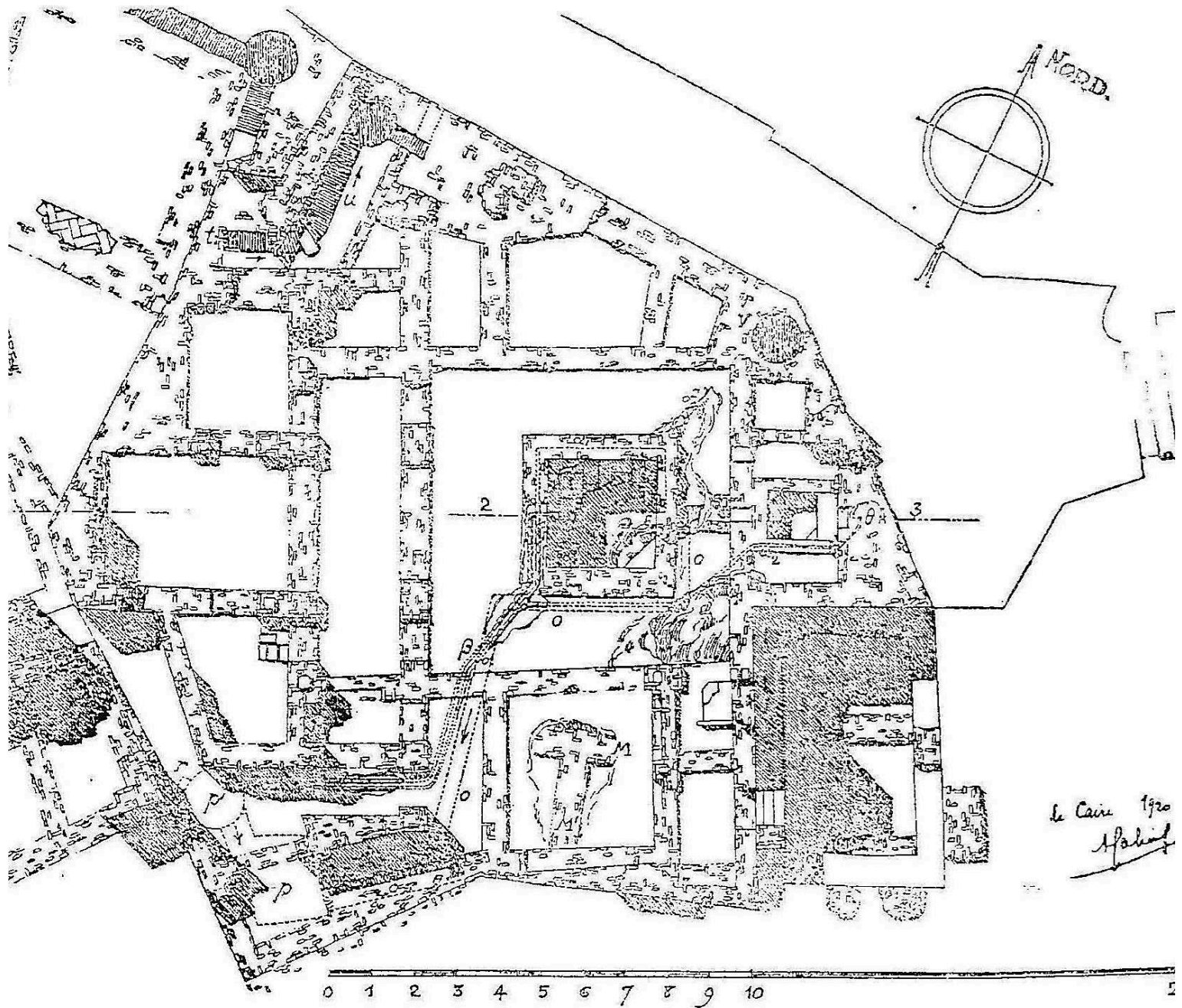
وقد بينا على الرسم بالهاشور، المحال التي عينها بالظن والتخمين. أما الخطوط السوداء، فقد جعلناها للخوشين وما حولها.

وفي G، ست درجات سفلى من سلم يصعد به الى طبقة عليا. وهي لقلية عددها، لا تكفى كما في الدور الأخرى، لتتخذ برهانا على وجود الطبقة العليا لأن هذا السلم ربما كان معدا للصعود الى السطح دون غيره. على أننا نعد هذه الدرجات أهم أثر وجدناه من هذا القليل. ولا يبعد، أن السلم كان ينعطف، ويمتد، في مكان متسع مستطيل. وفي هذه الحالة يكون جزء من الدار على الأقل فوقه طبقة عليا.

الدار الثالثة

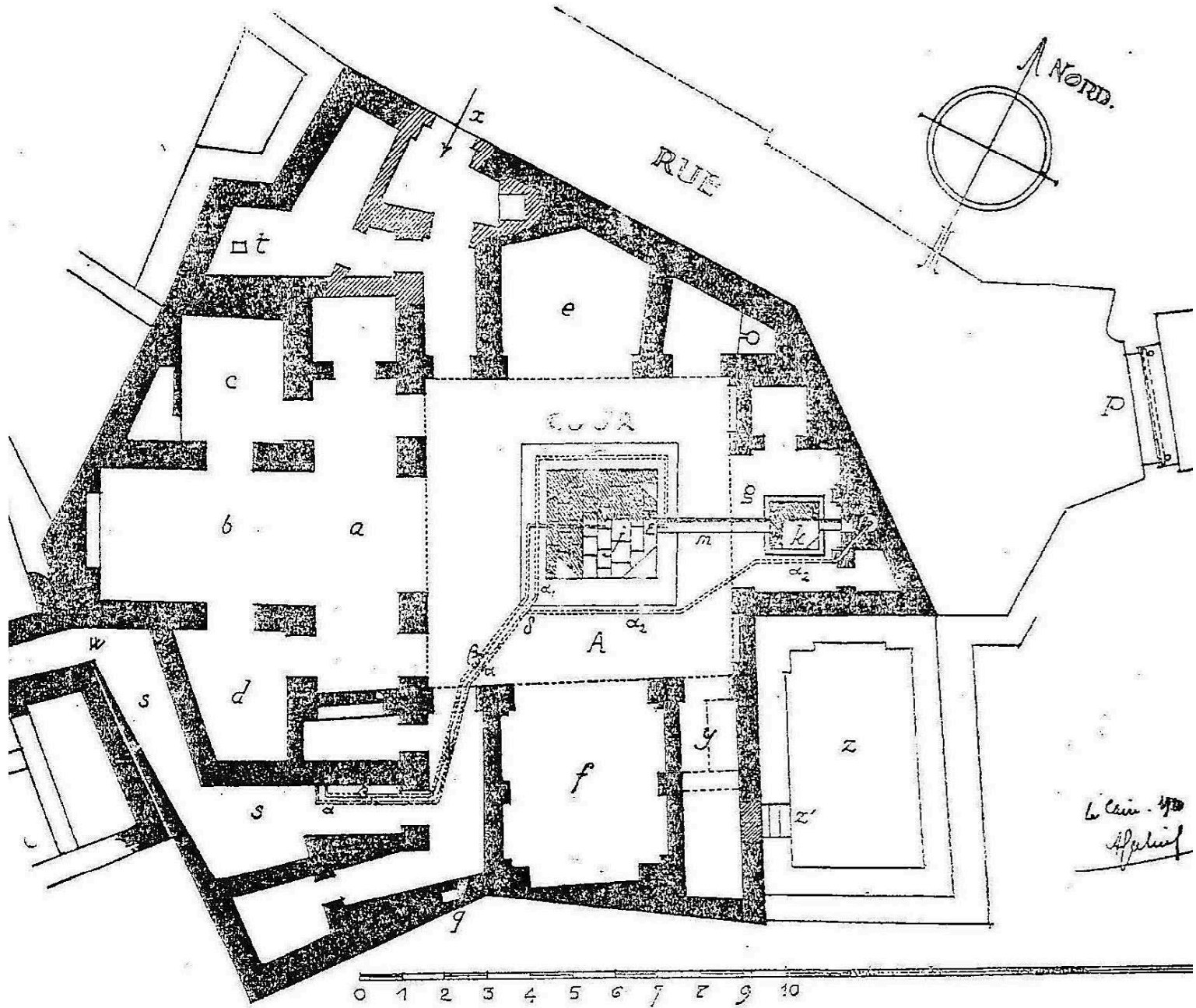
(لوحة ١١ والأشكال ١٣ و ١٤ و ١٥)

هذه الدار قائمة على رقعة من الأرض محدودة بنخط كثير الأضلاع، غير منتظم. وفي تركيبها الأفقي ما ينم عن محاولة تنظيم أوضاعها حول الحوش المتوسط تبعا لمحوريه المتعامدين. والظاهر، ان الجزء المين بالأسود في المسقط الأفقي الذي رددناه الى أصله (شكل ١٤) كان دارا قائمة بذاتها. وهي محل البحث في هذا الفصل. ويستدل من أثر التعديل، والتغيير، وانقطاع الارتباط بين الجدران وبعضها، ان هذا المكان كانت به دار قديمة، فسيحة الجنبات. ويظهر أنه حوّر فيها وحوّلت الى عدّة مساكن مستقلة عن بعضها. وهو أمر مازال غامضا. وعلى كل حال، فهو قليل الأهمية. ولذلك نقنصر في التوضيحات الآتية على الكلام عن أوضاع الدار الأصلية من واقع الأسس المكتشفة فنقول:



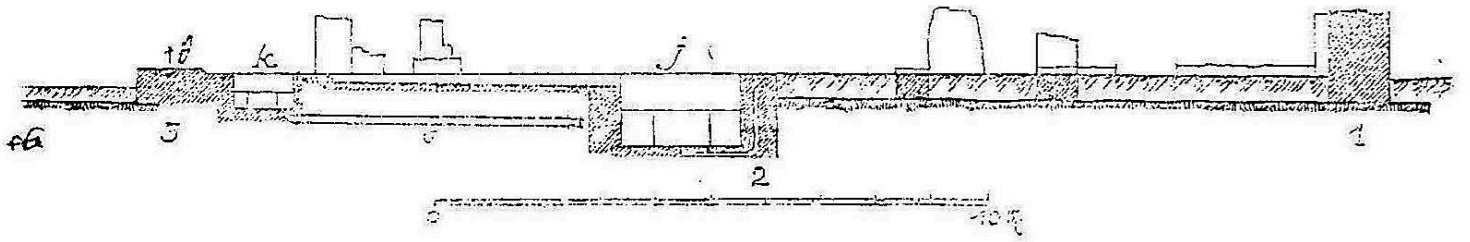
شكل ١٣ - الدار الثالثة (المسقط الأفقي كما هو الآن)

في الحوش A فسقية مربعة r من الطراز العادى . وبجوانبه الأربعة أماكن، نظامها متشابه
 وفي a ، رواق له ثلاث فتحات . وقاعة كبيرة b ، وغرفتان صغيرتان d و e وفي f ايوانان فسيحان
 وتجاه الرواق a ، ايوان g ، فيه فسقية صغيرة h .



شكل ١٤ - الدار الثالثة (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

وكانت الفسقيات تأتيها المياه في مجار متخذة من براج α و β منصلة بنجار أخرى من نوعها ومقاسها، نازلة من أعلى جدار الطرقة الى أسفله، من خزان مركب في القسم الأعلى من البناء. ومن الصعب تين الطريقة التي كان يملأ بها هذا الخزان لانعدام الآبار في جواره. وكانت المياه تجميعه في مجار ممتدة على السطح من بر من الآبار القريبة، مركب عليها بعض الالات. ويخامرنا الشك في أن الخزان كان يملأ بالقرب.



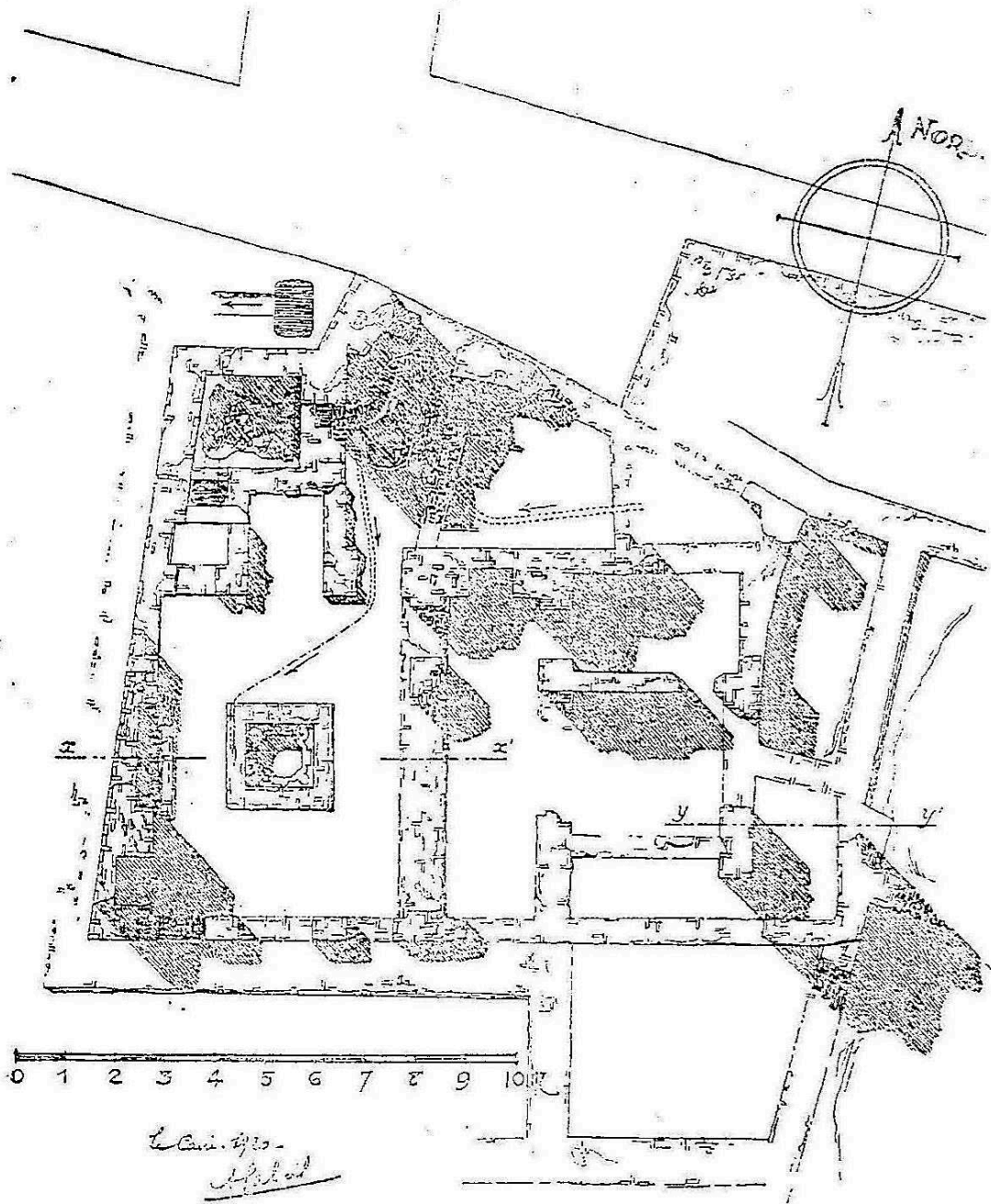
شكل ١٥ - الدار الثالثة (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٣)

وفي δ ، تنفرج المجرى α ، الى فرعين α_1 ، α_2 ، فيدور الفرع α_1 حول الفسقية z ، وينصب فيها المياه في نقطة ϵ أما الفرع α_2 ، فانه ينتهى بماسورة رأسية θ ، كانت متخذة لملء حوض صغير في صلب البناء . وهناك تنحدر في شاذروان، تجرى منه الى الفسقية k ، ومنها تمر في مجرى مكشوفة m ، الى الحوض المتوسط z ، والمجرى الثانية β ، تغوص في الأرض تحت المجرى الأولى وتفرغ مياهها في الحوض المذكور . وما يفيض من مياه الفساق ينصرف في المجرى o ، ومن البرنج q ، تنزل المياه من السطوح أو الطبقات في المجرى المذكورة التي تنتهى الى البيرة p ، المنصرفة فيها أيضا مياه البيرة p' .

ويلاحظ في r ، برنج آخر . والمظنون، أنه لما قسمت الدار دعت الضرورة الى ايجاد المجاز s وعند ذلك أبطلت المجرى المنتهية بهذا البرنج . وفي t ، برنج من هذا القبيل متصل بالمجرى u ، المغطاة بالبلاط وممتد لغاية الشارع . وهناك بيرة مستديرة في v .

ولا نعلم كيف كان يتوصل من هذه الدار الى الطريق العمومي . والظاهر، أن المدخل كان في w ، في نهاية حارة صغيرة . ومن الممكن أن نقول بوجود باب على الطريق العمومي في x ، ولا توجد آثار سلم ظاهرة . ويجوز أن يكون الفضاء y ، بئر السلم وما بقى من البناء المشيد بالآجر في هذا المكان لا يكفي لاثبات ذلك .

أما الفضاء المستطيل ٤ فالظاهر أنه كان مستقلا عن المنزل . ويغلب على الظن أن يكون ذلك شكله في آخر عهده . وكانت هناك حفرة واسعة، على هيئة كهف، محفورة في الصخر تتصل مع ١١ بواسطة بعض درجات وباب ٢ . ثم أبتل الباب وغيّرت معالم الكهف بمجدران زيدت بالآجر فألحقته بالدار المجاورة .

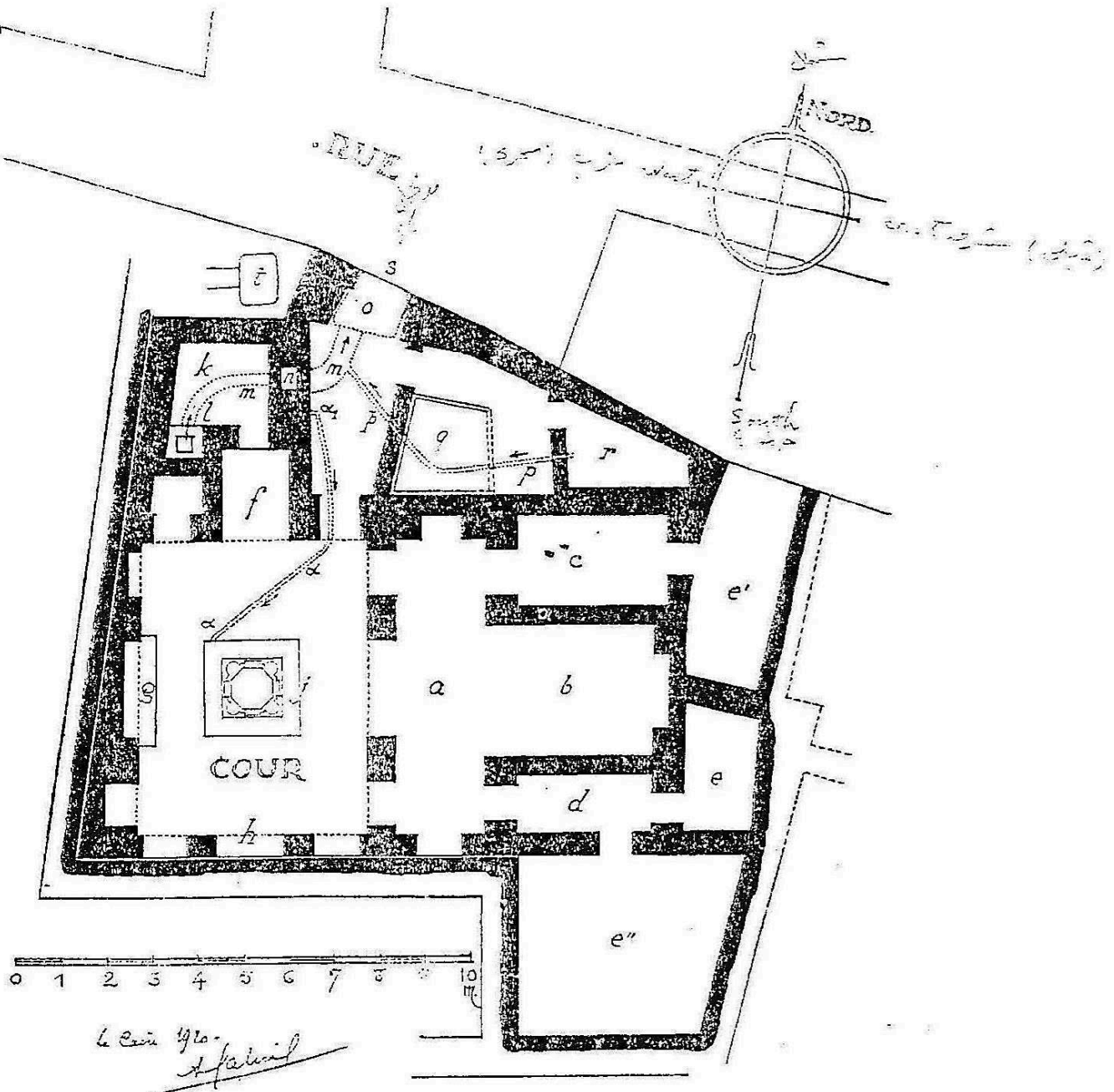


شكل ١٦ - الدار الرابعة (المسقط الأفقي كما هو الآن)

الدار الرابعة

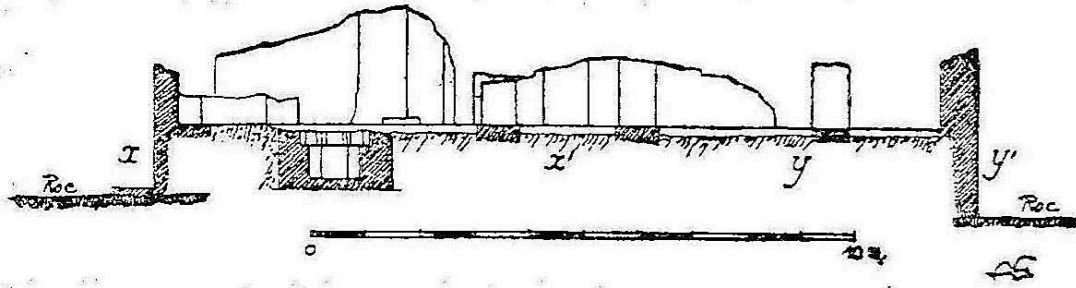
(اللوحة الثامنة عشر، ٥، والأشكال ١٦ و ١٧ و ١٨)

هذه الدار، حوشها مقاسه ٥×٤ أمتار، وتحده من الجهتين القبليّة والغربيّة جدران بسيطة تفصل بينه وبين المباني المجاورة. وبجانيبه صنف وانكاف تماثل في النظام الجانبيين الآخرين حيث يشاهد الترتيب المعتاد: رواق a ، وقاعة b ، وغرف صغيرة c, d, e ، وإيوان f ، وفي g ، بناء بالآجر على هيئة مصطبة. ويظهر لنا أن القاعة e ، كانت تابعة لهذه الدار. ولكنا لا ندرى كيف كان النور والهواء يصلان إليها.



شكل ١٧ - الدار الرابعة (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

وفي الفسقية J ، تفاصيل كثيرة تخالف الرسم المعتاد ، لأن جوفها مثنى . وفي جزئها العلوى صفى دائرية بالأركان الأربعة مرتبطة بالشطف . وكانت المياه ترد إليها من قناة من الفخار α ، ممتدة حتى α_1 . ولا يبعد أن المياه كانت تجميعها من خزان مرتفع لم يبق له أثر . وما نلاحظه أنه لا توجد هناك آبار قريبة .



شكل ١٨ - الدار الرابعة (قطاع حسب $xx'yy'$ من الشكل ١٦)

وكان المدخل في s ، ولكنا لانحكم بصحة ذلك لأن تخطيط الطريق العام في هذه المنطقة غير واضح . والظاهر أن المراحيض ، كانت في k . وفي l ، بالوعة متصلة بالمجرور m ، الذى يؤدى الى البيرة o . كذلك الماسورة n ، فانها نازلة في المجرور . وكانت هناك قناة أخرى من الفخار p ، متصلة بالبيرة وتنصرف إليها مياه الغرفة r . وهى غرفة لم نهتد الى الغرض الموجودة من أجله . وفي q ، بقايا حوض مفروش بالجر . أما البيرة t ، فانها تابعة للدار المجاورة . ولم نثر على أثر للسلم . ولذلك ، يغلب على ظننا أن هذه الدار كانت مكونة من طبقة واحدة سفلى .

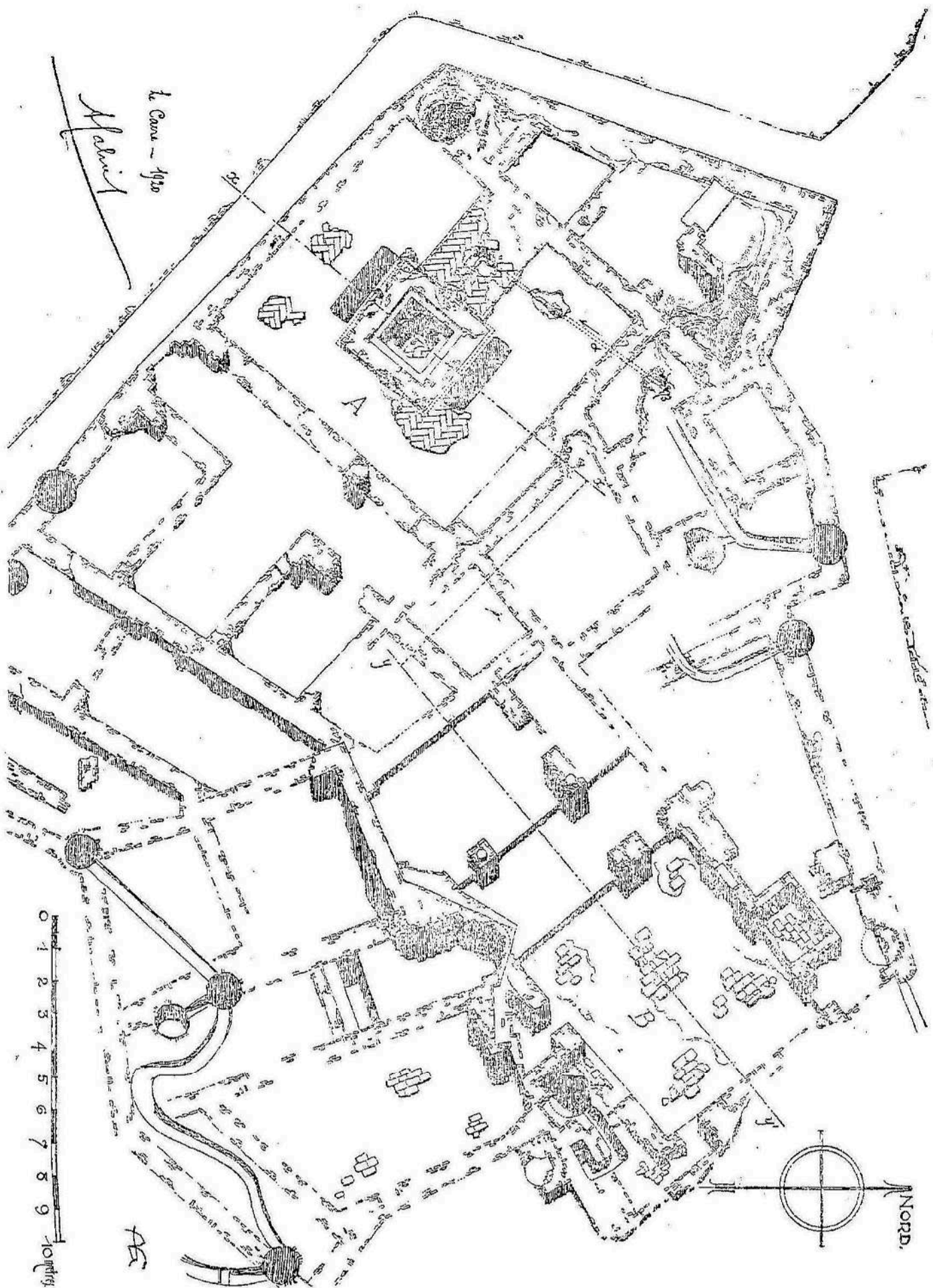
الدار الخامسة

(اللوحة الثامنة عشر ٩ والشكلان ١٩ و ٢٠)

في الموقع الذى عيناه فيه حدود هذه الدار ، نرى الحوشين A و B ظاهرين ، غير أن معظم الجدران لم يبق منها إلا الأساس . وقد زال أثر البناء تماماً في بعض المواضع . وكان اعتمادنا في وضع الرسم (شكل ٢٠) على ما لاحظناه من التفاصيل الفنية للبناء ومن الطريقة المتبعة في ربط الجدران بعضها ببعض . ومن ذلك استنتجنا أن الحوشين ^(١) كانا تابعين لدار واحدة .

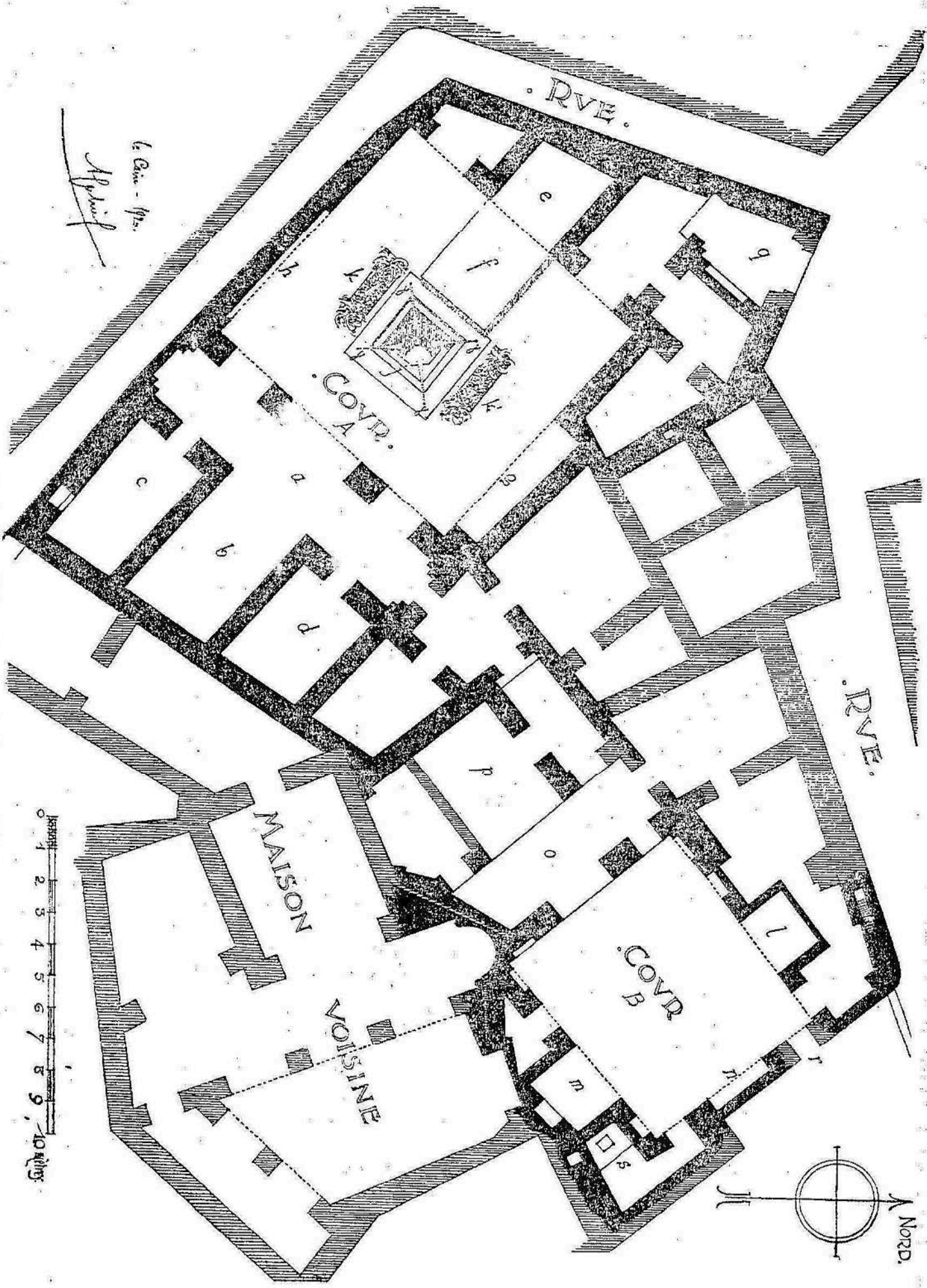
(١) يلاحظ أيضاً أنهم كانوا يصعدون من γ' الى γ (شكل ١٩) ببعض درج حتى يصلوا الى المستوى xx' بالحوش A . ويؤخذ من ذلك أن الاتصال بين الحوشين كان ممكناً إن لم يكن موجوداً .

شكل ١٩ - الدار البيضاء (المخطط الأثري ك هو الآن)



شكل ٢٠ - المار الحاسمة (المسقط الأفقي بعد إعادة إلى أصله)

Hydrant
L. Bain - 1920.



Nord.

أما الحوش الغربى A ، فانه واقع على زقاق \bullet وفى واجهته المقابلة للغرب ، رواق ، ذو ثلاث فتحات ، مرموز له بحرف a . وهو بين يدى القاعة b ، والغرفتين c, d . وفى الواجهة المقابلة لايوان e موضوع وضعا غربيا لم يشاهد له مثل ، فان بلاطه يبرز فى الحوش حتى يتصل بالفسقية ، فيتكون منه مستطيل f يعلوه نحو ١٠ سنتيمترات عن بلاط الأرض المجاورة له . وفى كل من أرض الحوش وأرض الايوان ، بقايا كثيرة من البلاط (راجع شكل ١٩) الكلسى المتماثل . وهو مستطيل الشكل ، متوسط مقاسه 0.25×0.60 ، ملصق متواترا (دالات) . ولست نعرف هل كان يعلوه هذا الجزء المرتفع المسامت للايوان شئ من الأبنية ، لأننا لم نجد لها أثرا مطلقا . ويجوز أنه كان معدا لأن تنصب فوقه خيمة ، أو مظلات على قوائم خشبية خفيفة . أما الجزآن المرتدان الجانبيان h, g (شكل ٢٠) فان أولهما يمكن اعتباره إيوانا أو صفة معدة لأن توضع بها دكة أو تنشأ بها مصطبة ، وثانيهما h ، لا يتجاوز دخوله فى الجدار العشرة سنتيمترات ، وانما وجد لحفظ التناسب .

والفسقية z المربعة الفتحة المثلثة الجوف ، وهى من الطرز المعتاد ، كانت المياه تأتيها من القناة α التى تنقطع عند β (شكل ١٩) ، ثم تعود فتتصل بخزان موضوع بمكان عال من الدار بواسطة قناة رأسية . وكانت القناة تدور حول الفسقية . ونظامها معقد جدا ، حتى أنه لعسر علينا التلليل على بعض التفاصيل . وقد وجدنا فى كل زاوية من الفسقية ماسورة صغيرة من البرونز قطرها سنتيمتران ، مثبتة فى قطع من رخام تختلف أضلاعها بين خمسة وستة سنتيمترات . والظاهر أنها كانت متصلة بالماسورة الفخار فتتكون منها فؤارات $\gamma, \gamma, \gamma, \gamma$ تتصاعد مياهها ثم تعود فتسقط فى الفسقية . وعلى كل من جانبي الفسقية حوض مستطيل ، كان مملوءا بالطمى ، وجعل لزرع الزهور والشجيرات k, l (شكل ٢٠) .

ولا يوجد بالحوش الثانى B ، فسقية ، وانما فيه نظام الايوانين الجانبيين m, l ، وصُفَّته n ، لا تخرج عن كونها إيوانا صغيرا . والرواق الذى رسمناه فى o ، أمام قاعة p ، غير مقطوع بوجوده ، لأن الجدران هناك زالت حتى الطبقة الصخرية ، ولم يبق شئ من الغرف التى كانت متممة للدار فى الجهة الشمالية

الشرقية . أما الغرف أو الدكاكين (؟) الواقعة على الطريق جهة الشمال ، فلا يسعنا إلا أن نرسمها رسماً إجمالياً من واقع الأساس . وكذلك الحال في المدخل العام المرموز له بحرف *q* ، والبواب الصغير المرموز له بحرف *r* ، المؤدى للحوش *B* ، والمراحيض *s* ، وأكثر الأبواب الموصلة بين الأماكن . كل ذلك ، وصفناه على سبيل الفرض والتخمين . أما ما أردنا بيانه هنا ، فهو النص على أن هذه الدار من الدور ذوات الحوشين : حوش *A* ، نفح وكان مخصصاً لاستقبال الضيوف ، والحوش الثانى المرموز له بحرف *B* ، كانت الغرفة المطلة عليه معدة لسكنى أهل الدار .

وليس في هذه الدار أثر لسلم مطلقاً . ومن ثم يكون موقفنا هنا ، كما كان عند البحث في الطبقات العليا من الدور السابقة .

وقد رسمنا للنزل المجاور من الجهة القبلية رسماً تقريبياً ، لأننا لم نعثر هناك إلا على بقية غير واضحة من أساس الجدران . ومن فحص المبنى التى نجمت من الحفر ، فى هذه الجهة ، تبين ، أنه من المتعذر الوصول الى معالم صالحة بسبب تداخل الأبنية بعضها فى بعض من التجديدات والزيادات التى طرأت عليها .

مجموعة الدور السادسة والسابعة

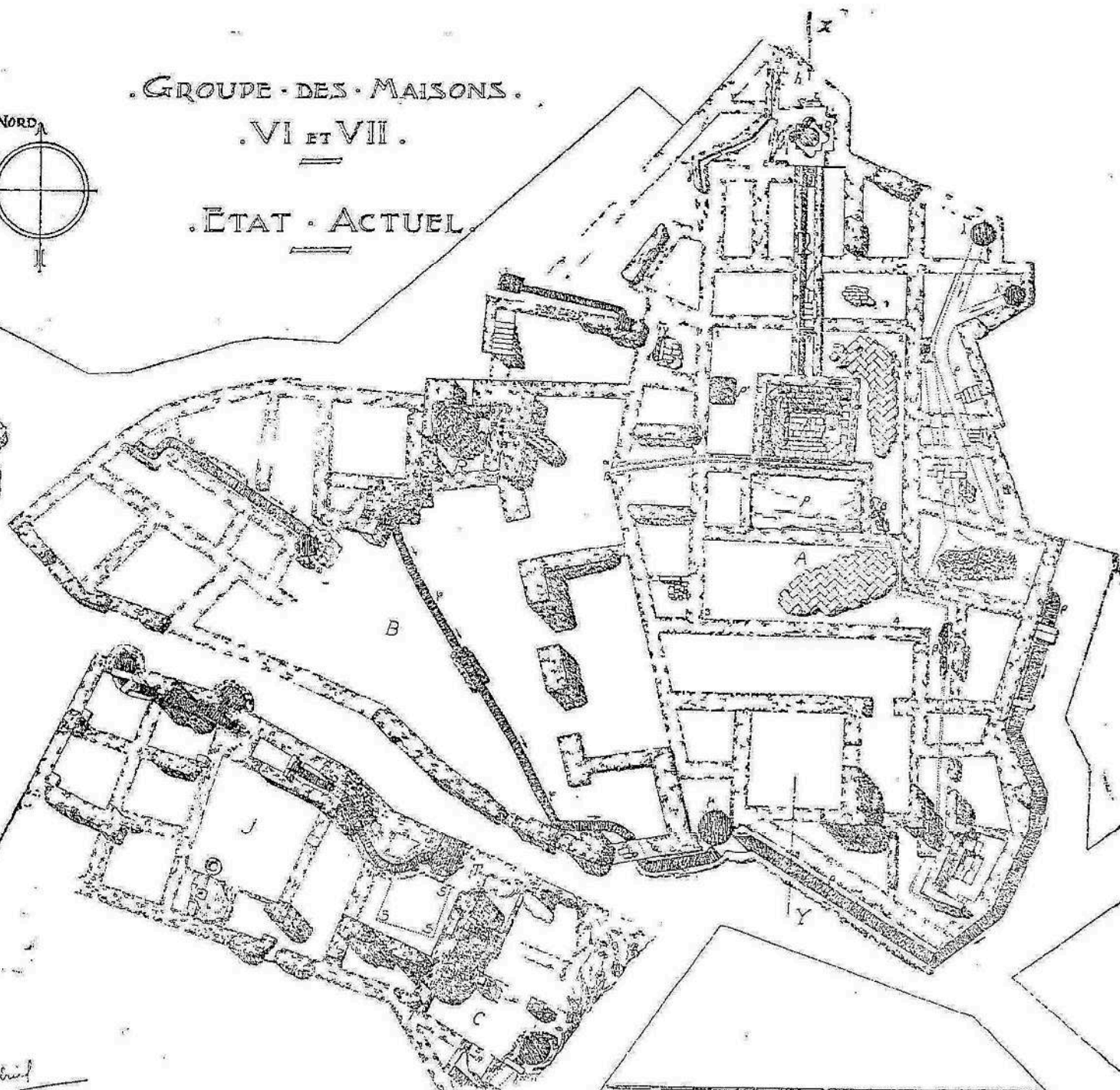
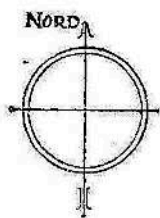
(الشكلا ٢١ و ٢٢)

هذه الدور ، واقعة فى الجهة القبلية الشرقية من المنطقة التى أزيلت عنها الأتربة (راجع الشكل ٣) . وبالنظر الى مساقطها الأفقية المبينة بشكلاها الحالى وإلى القطاع (ش ٢١ و ٢٥) والصورة الفتوغرافية (لوحة ١٢) ، يتبين أنه لم يعثر فى هذه المنطقة على غير أسس الجدران . وأول ما يظهر ، استحالة تعيين عدد الدور التى تتكون منها الأبنية المختلطة بعضها ببعض ، إذ لا يوجد هناك غير فسقية كبيرة وبعض أجزاء البناية . ويزيد الأمر تناساً ، أثر تجديدات وأبنية سابقة . والرسم الذى وضعناه للمكان بشكله الحالى يغنينا عن وصف هذه البقايا وصفا مفصلاً . ومن مجرد النظر إليه يفهم ، أن مجموع هذه الأبنية يتكون من قسمين ، كل منهما قائم بذاته . والفاصل بينهما زقاق . وإلى الجنوب من هذا الزقاق ، داران صغيرتان تذكرهما تحت رقمى ٧ و ٧ « مكرر » .

. GROUPE · DES · MAISONS · .

. VI ET VII .

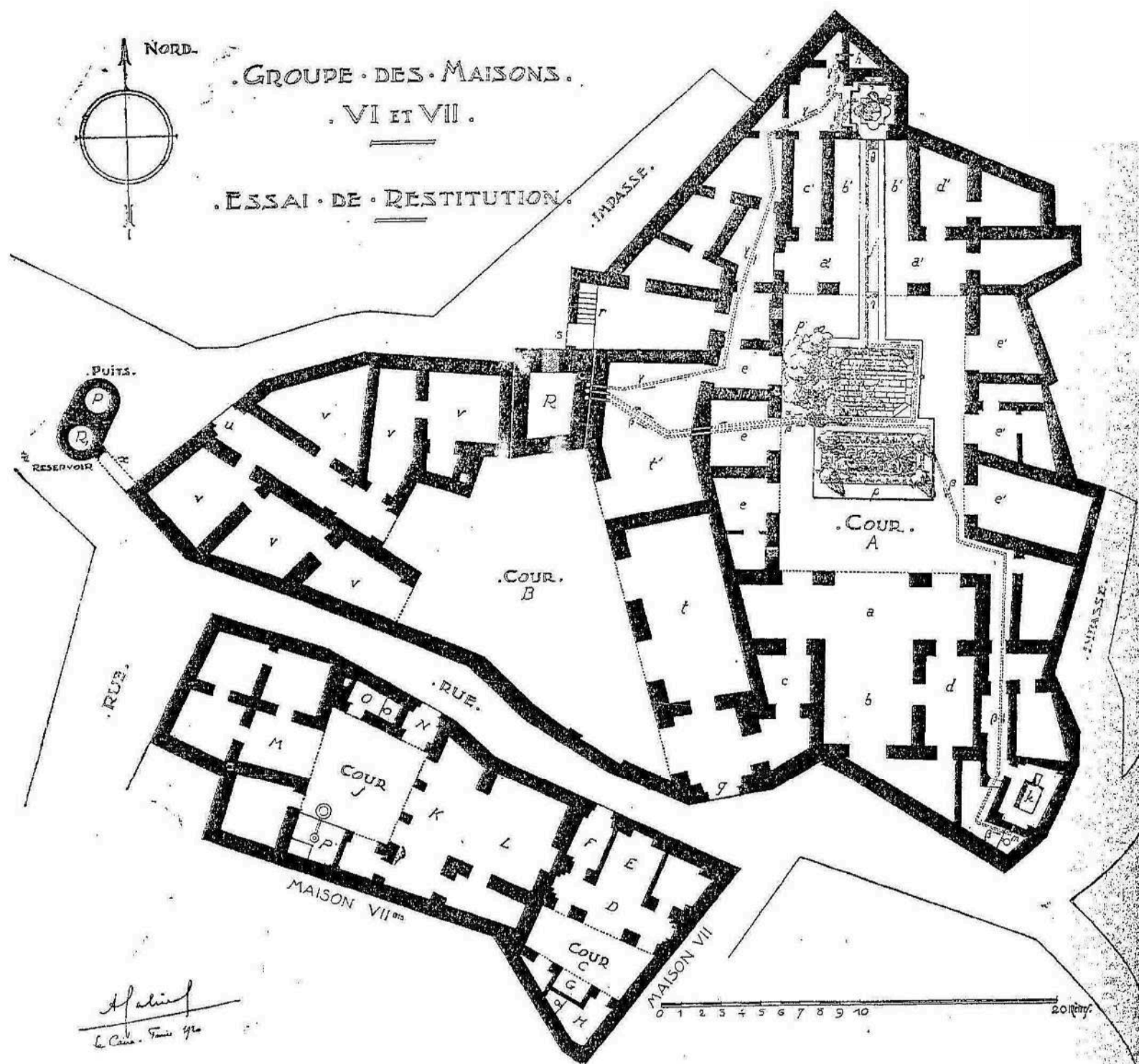
. ÉTAT · ACTUEL .



Alfred
Le Caire. Finis 1910.

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 20 mètres

شكل ٢١ - مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأفقي كما هو الآن)



شكل ٢٢ - مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

الدار السادسة

(اللوحة الثانية عشر والأشكال ٢٣ و ٢٤ و ٢٥)

يظهر أن الباقي من الأسس في هذه الدار، كان في الأصل تابعا لدار واحدة : يدل على ذلك نظام توزيع الماء فيه .

توزيع المياه - يوجد ثلاث قنوات رأسية من الفخار α, β, γ لا تزال بمكانها من الجدار الشرقى من غرفة صغيرة مستطيلة الشكل R ، معقود عليها قبو من الآجر لم يبق منه إلا بعضه . ومن المحتمل ، أن هذا القبو كان فوقه خزان ، تأخذ منه القنوات الثلاث المياه . وكانت البئر القريبة P (ش ٢١ و ٢٢) ، منعزلة في وسط الطريق العمومى . وإذا فرضنا أن هذه البئر كانت تؤخذ منها المياه للماء الخزان R ، يتعين أن الماء كان ينقل من هذه البئر الى الخزان المجاور لها المرموز له بحرف R_1 ، على ارتفاع مناسب . ومنه ينقل الماء الى قناطر تخرق الطريق فى (ش ٢٢) . وهى قناطر تمحاذى السور الخارجى للدار من الشمال ، الى أن تصب فى الخزان R .

نقول ذلك ، باعتبار أنه من الافتراضات المقبولة ، لأن الخزان R ، كان ممكنا ملؤه بطريقة أخرى . وكانت القنوات الثلاث α, β, γ الخارجة من هذا الخزان تصب قناتها الأولى α, α, α فى الفسقية الواقعة فى وسط الدار . أما القناة الثانية β, β, β الغير الكاملة من طرفها القبلى ، فكانت تؤدى المياه الى الحوض المستطيل K ، الكائن بالزاوية القبلىة من الدار، ولا يزال جانب من بلاطه باقيا على أصله . والقناة الثالثة γ, γ, γ ... ، متجهة الى الشمال ، وتتفرع فى δ ، الى فرعين : الأول γ يملا منه الخزان h ، فتتحد مياهه فى شاذروان ، ومنه الى الفسقية . ويجوز أن المياه كانت تؤخذ للفسقية من الفرع الثانى γ ، من القناة . وبواسطة المحبس المتخذ فى ϵ ، كان يمكن حبس المياه .

ويستدل من توزيع المياه على هذا النظام، أن القنوات كلها تابعة لدار واحدة . وهو استنتاج يؤيده تخطيط الجدارير . وكانت المياه فى هذه المنطقة تصرف ، بعد الاستعمال ، فى البيرة الكبيرة m ، فكان مسلطا عليها من الجهتين الشرقية والشمالية ، المجروران m ، المتخذان للبيارتين المساعدتين λ, λ ،

والمجرور ϕ ، الذى كانت تنصرف اليه مياه الجانب الغربى . ويلاحظ هناك أيضا، بيارة مستقلة ω ، ومجرور ψ فى الجهة الغربية .

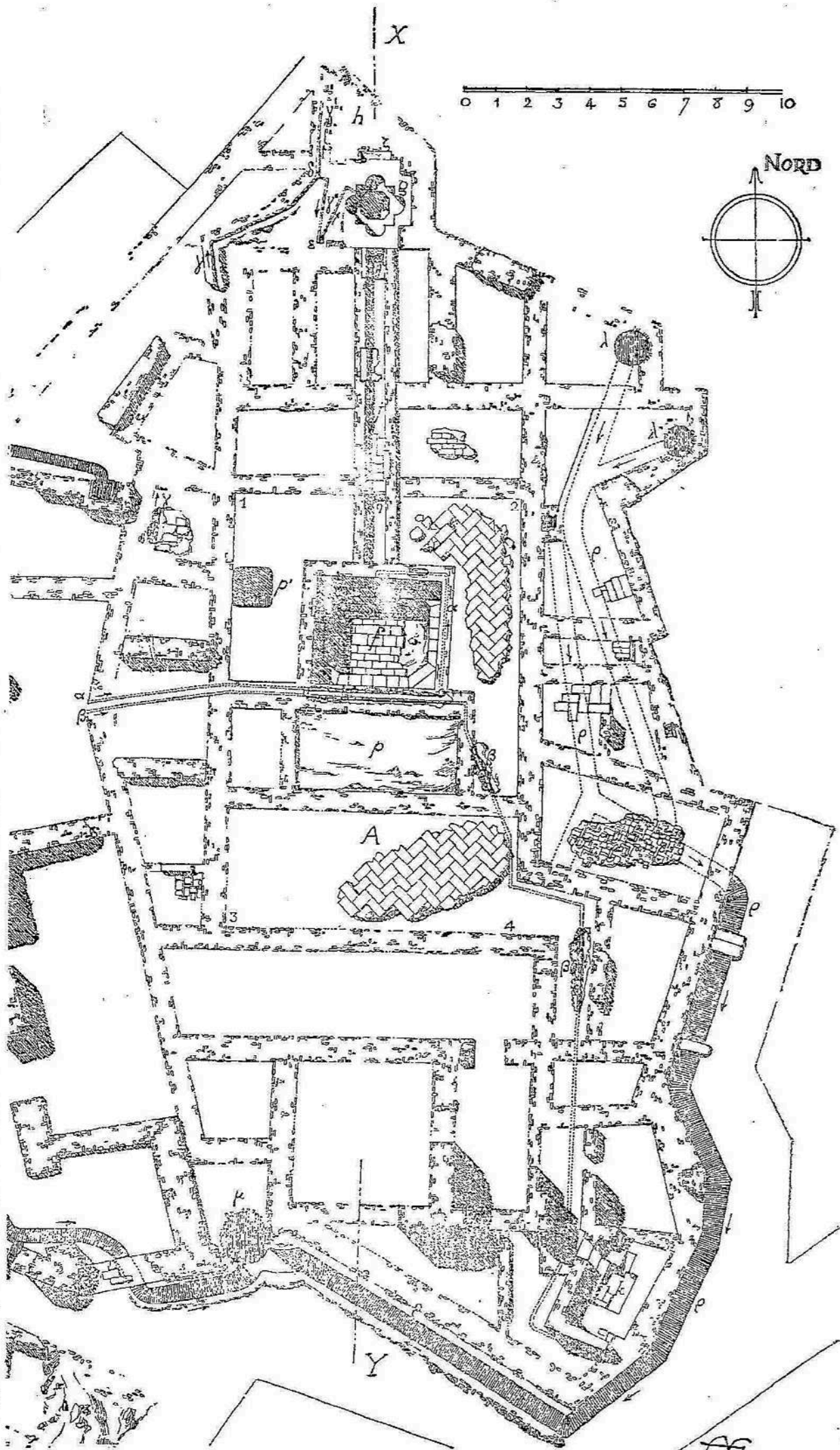
والآن ، نبحث عن توزيع الغرف فى هذه الدار الكبيرة . أما الفسقية الوسطى r فكانت فى حوش يمكن تطبيقه على الشكل المستطيل المرموز لزواياه بالأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ (شكل ٢٤) . ونسبة العرض الى الطول فى هذا الشكل كنسبة ٢ الى ٣ . ولا يبعد، أن تكون الجدران التى فى الجهة القبلىة من الفسقية مخلفة من أبنية سابقة ، لأنها منخفضة عن بقايا البلاط التى لا يمكنها . وتحيط الجدران المذكورة بحفرة P ، وجدت وقت الحفر مملوءة بالطمي . وهذا، يحمل على الظن أنها معدة لغرس بعض الشجيرات والأزهار ، كما يجوز أن الحفرة P المنقورة فى الصخر، كانت معدة لشجرة فى الحوش .

وكانت مياه الفسقية g ، تنحدر فى الجهة القبلىة من شاذروان h ، الى قناة مكشوفة i ، مبلطة بالجوف، تنهى الى الفسقية الوسطى r . ولا تزال هناك بلاطة رأسية « ، بها ثقب تنحدر منه المياه الى الفسقية الوسطى .

وبالجهة الغربية ، قطعة فضاء كبيرة خالية من أسس المباني . ولذلك رسمناها على شكل حوش غير منتظم B ، يحده من الجنوب جدار يفصله عن الشارع ، وتحده من الجهات الثلاث الأخرى أبنية مختلفة . والظاهر أن هذه الأبنية لم يراع فى توزيعها نظام التماثل .

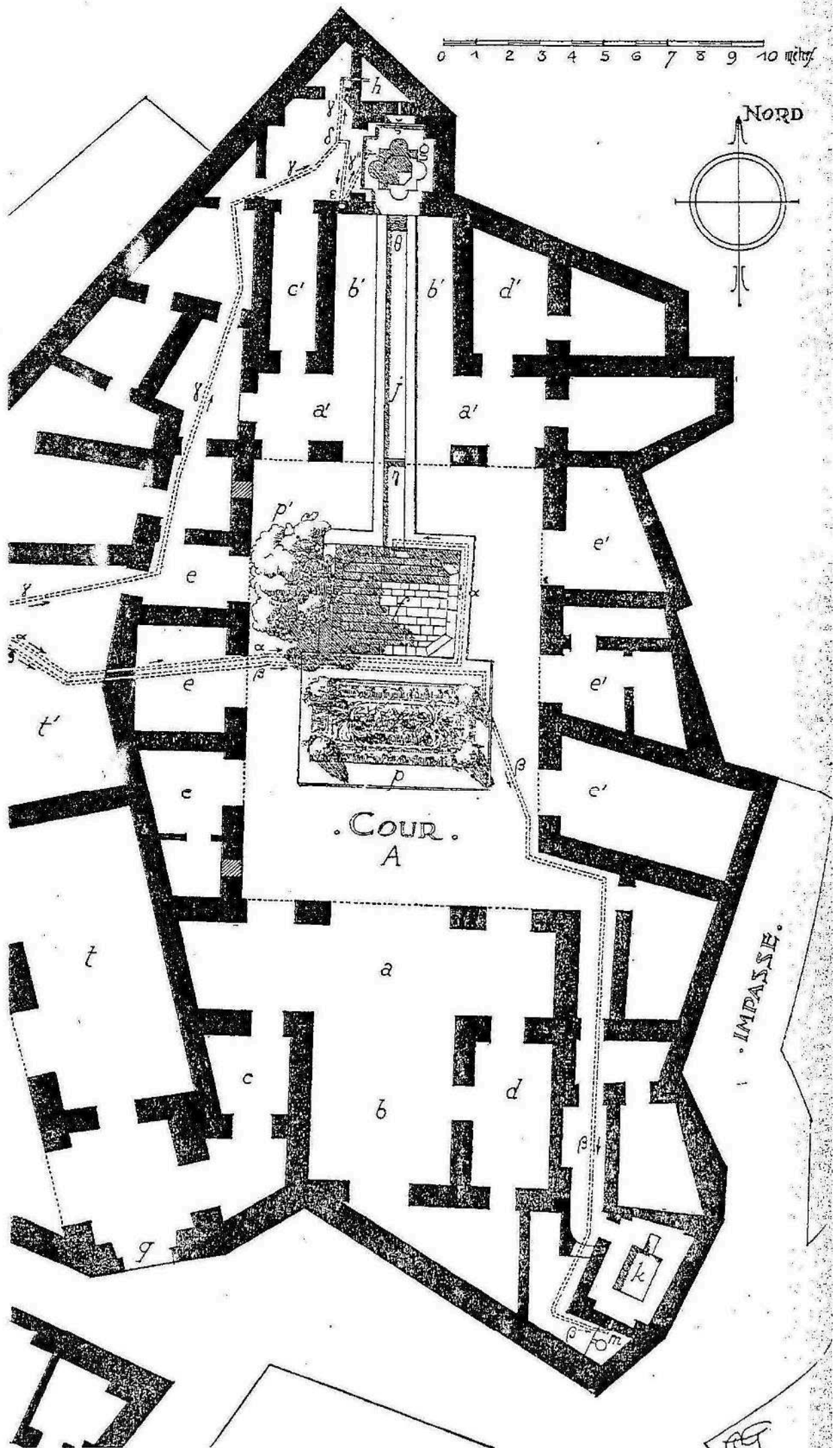
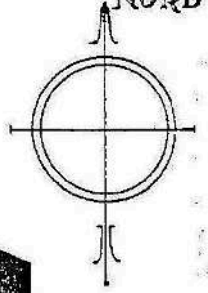
ولم يثبت فى الرسم من التفاصيل إلا القليل الذى يساعد على فهمه ، على أن هذه التفاصيل فى الغالب خيالية ، كما يتبين من مقابلة الرسم الذى تخيلناه لهذه الدار بالحالة التى وجدت عليها . ومن بين هذه التفاصيل التى تخيلناها، المدخل المرموز له بحرف « . وفى v, v, v أماكن مختلفة تخيلنا لها أبوابا .

وفى t و t' مناطق مستطيلة ، محدودة بجدران لها فتحات كبيرة على الحوش . وربما كانت اصطبلات ومخازن ، ونحو ذلك ، اذا قلنا بوجود مراقب الدار فى هذه الجهة . ولكن الظاهر



0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 mètres

NORD



مسكن ٢٤ - الدار السادسة (المسكن الأفق بعد إعادة إلى أصله)

يخالف ذلك . ومن الجائز أن يكون بين هذه الأماكن القسم المخصص للحريم أيضا ، يقابل غرف الاستقبال المحيطة بالصحن المستطيل A . ولا داعي لأن نقول ، إننا لم نجد أثرا يدعم هذه الفروض . وما ينبغي التنبيه إليه ، أننا لما عينا في الدور السابقة محل الحريم ومحل الرجال (السلامك) ، كان المحلان على اختلاف وظيفتهما ، يحتويان على أبنية ، إن لم تكن في أوضاعها تماثل بعضها بعضا ، في الأقل لتقارب في الشبه .

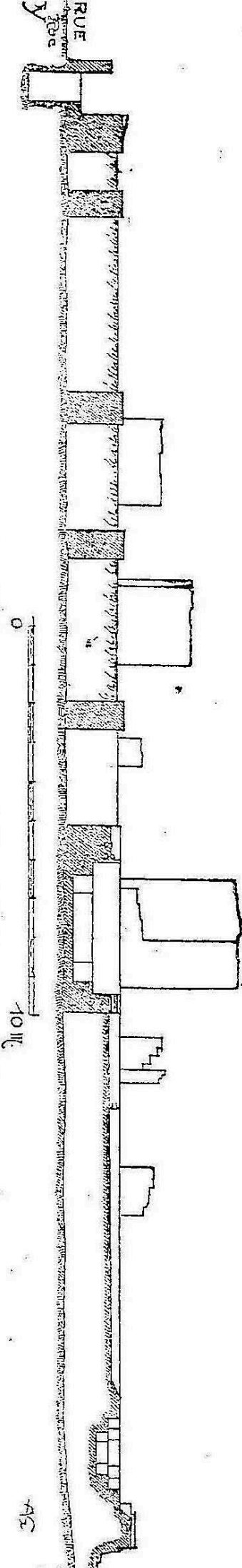
أما في هذه النار ، فإن احاطة الحوش B ، بأبنية غير منتظمة ومتباينة الشكل ، يحل على الظن بأنه كان لرافق لا للسكن .

مما تقدم يؤخذ ، أن الدار السادسة كانت مستعملة على قسمين مختلفين يقابلان الحوشين A, B . ولترك الآن القسم الغربي ، لأنه من الوجهة الفنية عديم الفائدة . ونجتهد أن نبين كيف كان نظام الأبنية حول الحوش A ، من واقع بعض الأوضاع المتماثلة من أسس الجدران . ولسنا نخفي أننا عند تخطيط الرسم (شكل ٢٤) ، كنا نرجع في ذلك إلى الاستقراء . وسيوضح أن هذا الرسم ينطبق على المعالم التي أظهرها الحفر (شكل ٢٣) ، وأن استنتاجنا إن لم يكن أقرب إلى الحقيقة في التفاصيل ، فإنه كذلك من جهة الأوضاع العامة ، لأن تخطيطه من واقع الأسس جاء ببعض المميزات المعروفة في دور القسطاط .

ففي A ، الحوش المتوسط وفسقته f ، يحددها من الجنوب حوض للزهور والأشجار P ، وتظلها من جهة الغرب شجرة P' .

وفي الجنوب ، رواق ذو ثلاث فتحات a ، يسلك منه إلى قاعة b ، تكتنفها من طرفيها غرفتان صغيرتان c, d . وفي الشمال ما يماثل

شكل ٢٥ - الدار السادسة (قطاع حسب xy من الشكل ٢٣)



ذلك : رواق 'a' ، وقاعة 'b' ، وغرفتان 'c' ، 'd' . وكانت الفسقية 'g' ، تزين داخل القاعة 'b' ، التي تخترقها القناة ز .

ومن ثم نلاحظ فرقا كبيرا بين هذه الدار وبين الدور التي سبق الكلام عليها، التي لا يوجد بها غير رواق واحد ذي ثلاث فتحات ، في جانب واحد من الحوش . أما في هذه الدار ، فالظاهر أنه كان بها رواقان متماثلان بالجانين البحرى والقبلى، على عكس الجانين الطويلين الشرقى والغربى، فإنه تم تنن بهما أروقة ، إذ لا يوجد ما يدل على ذلك ، وإنما كانت فيهما غرف تختلف في المقاس $e, e, e \dots e, e, e \dots$

وليس في وسعنا أن نؤكد اذا كان الرسم فيما يتعلق بذلك يقرب من الحقيقة أم لا . على أن وضع الجدران الوسطى (القواطع) يفهم منه، أن التماثل وان لم يكن موجودا في الجهتين الشرقية والغربية، فإن الفتحات على الأقل كانت موزعة فيهما توزيعا منتظما . وقد حاولنا توضيح ذلك في الرسم بكيفية معتولة .

على أن عنايتنا بالتفاصيل ، كانت أقل من اهتمامنا بالشكل العام في هذه الدار . وهو شكل يغير في نقط عديدة ماشاهدناه في الدور التي سبق وصفها . فليس الأمر قاصرا على أن مقياس الحوش ونسبته مخالفين للعتاد ، بل أن واجهاته على خلاف القاعدة العامة، تقابل الجهات الأربع الأصلية .

وإذا راعينا تعدد الأروقة والقيعان بجانبى الحوش البحرى والجنوبى وانعدام الأواوين الجانبية، ذكرتنا هذه الدار بنظائرها من الدور العراقية في سر من رأى (سامرا) والأخضر . ولكننا لا نميل للخوض في هذا الموضوع الآن، وسنعود اليه بعد الفراغ من الكلام على ما اكتشفناه من الدور .

وقد تعذر علينا التوسع في رسم البناء الأصلي، وتعيين نظام واجهات الحوش، ولو برسمها رسما اجماليا، كما أنه يتعذر علينا أن نقول، اذا كانت هذه الدار مكونة من طبقة واحدة «أرضية»، أو من

عدة طبقات . وليست الدرجات الموجودة من السلم المجرى في r ، من الأدلة على وجود دور علوى ، لأن السلم قد يكون لصعود السطوح أو للوصول الى الخزان R ، المجاور له .
ولنذكر هنا بعض التفاصيل التى تخيلناها وهى : مدخلات q ، ومواقع أكثر الفتحات والأبواب . وربما كان هناك حمام محل الحوض k ، الواصلة اليه المياه من المجرى β . ونظن أن المكان المجاور للحمام المرموز له بحرف m ، كانت به المراحيض ، وإن لم يبق أثر لذلك . وتدل المصارف العديدة المرتبطة بالمجارير المساعدة، على وجود مراحيض أخرى من هذا القبيل ، كما هو مبين على الرسم الأفقى .

وقد عثر فى هذه الدار، وهى السادسة، على قطع كبيرة من الخزاف لها شكل خاص، ومصنوعة على نمط واحد؛ على طريقة الخزاف التى عثر عليها فى الدار الخامسة . وقد أجلنا وصفها والكلام عليها، الى الباب السابع .

وبين القطع المذكورة، قطعة من طراز مكتوب عليها بالكوفى "قصورا" تتكون حروفها من قطع من الطوب، مثبتة فى كتلة من الجبس (اللوحة العشرون ٢٠-٢) . والظاهر، أنها بقية من كتابة قرآنية، قد يكون قوله تعالى : (تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا^(١)) .

وقد جرت العادة، أن يختار من الآيات القرآنية ما يكون مناسباً للمكان المراد كتابتها عليه . ويستنتج من ذلك، أن هذه الدار كانت قصرا يمتاز بكثرة زخارفه واتساعه عن الدور التى كانت تبنى فى المدينة، ولكنه يعدّ وسط بينها وبين قصور الأمراء .

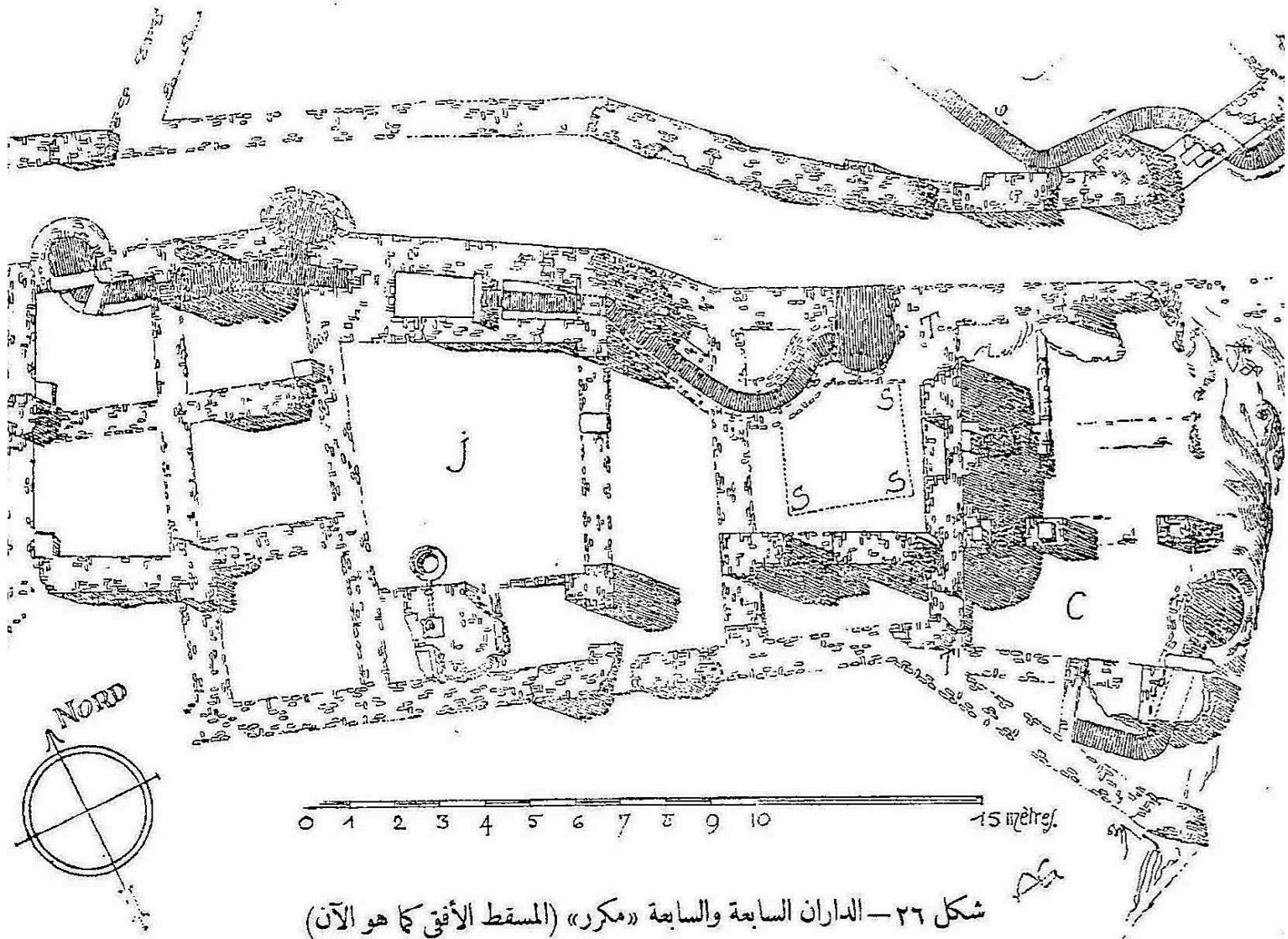
الداران السابعة والسابعة «مكرر»

(الشكلان ٢٦ و ٢٧)

هذه المباني التى درجناها باسم الدار السابعة، والسابعة «مكرر»، يفصلها عن الدار السابقة زقاق ضيق، متوسط عرضه متران . وهى باقية بحالة جيدة، خصوصا فى الجهة الشرقية حيث يبدو للنظر انعدام الفتحات فى الجدار TT . ويتبين من ذلك، أننا أمام دارين منفصلتين :

(١) القرآن الشريف، ص ٢٥ آية ١١ وفى الآية ٧٢، من السورة السابعة لفظ «قصورا» .

منهما الدار السابعة يسهل الاستدلال فيها على موقع الحوش الضيق *C* (شكل ٢٧) ، والرواق ذي الفتحات الثلاث *D* ، والقاعة *E* . ومن المحتمل ، أن يكون المدخل عند *F* . وفي *G* ، بقايا إيوان . وفي *H* ، موضع المراحض ، كما تدل عليه القناة والبيارة المتصلتان بهذا المكان . وهذه التفاصيل يمكن التثبت منها ، بمراجعة الرسم الممثل لهذه الدار ، بالحالة التي هي عليها . ومع أن هذه الدار زالت حتى الصخرة في نهايتها الشرقية فإنه لا يزال باقيا من معالمها ما يساعد على تكميل الرسم الأفقي بالمقياس والمضاهاة .

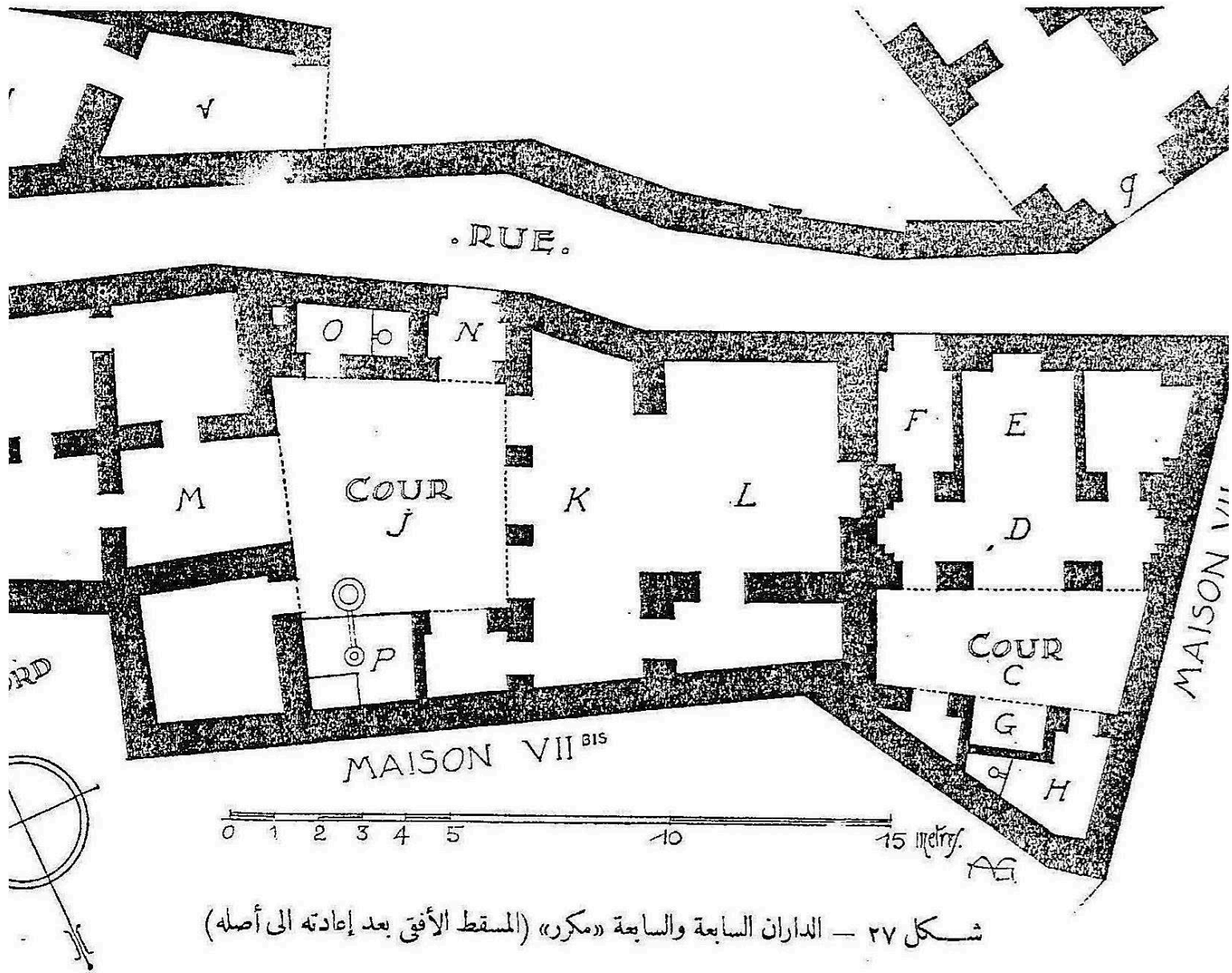


شكل ٢٦ - الداران السابعة والسابعة «مكرر» (المسقط الأفقي كما هو الآن)

وليس الحال كذلك في الدار السابعة «مكرر» ، فإنها أوسع ، ولكن بقاياها أقل وضوحا . ولذلك كان الرسم الذي وضعناه لها أكثره تخيليا . فتصورناها دارا تشتمل على حوش *J* ،

ورواق K ، وقاعة كبيرة L . وقد يكون بالجهة المقابلة إيوان M . وفي P ، بقايا حوض ماء وزلعة نفار تملأ بالمياه .

ولم تجر العادة بوجود خمسة محال كهذه ، متساوية تحديق بالايوان M . والظاهر أن الدارين ولا سيما الدار السابعة كانت الواحدة منهما لا تسع أكثر من أسرة واحدة .



شكل ٢٧ — الداران السابعة والسابعة «مكرر» (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

وقد خلت الدار من الفساق والآبار ، وهو أمر لا يعد من الشواذ . ولكن يلاحظ أن المواد المستعملة في البناء هي من نوع ما في الدار السابقة . ولذلك يرجح أن الدارين المذكورتين من ملحقات الدار الكبيرة ، وأنهما كانتا متخذتين للضيافة . والعادة أن الأغنياء من

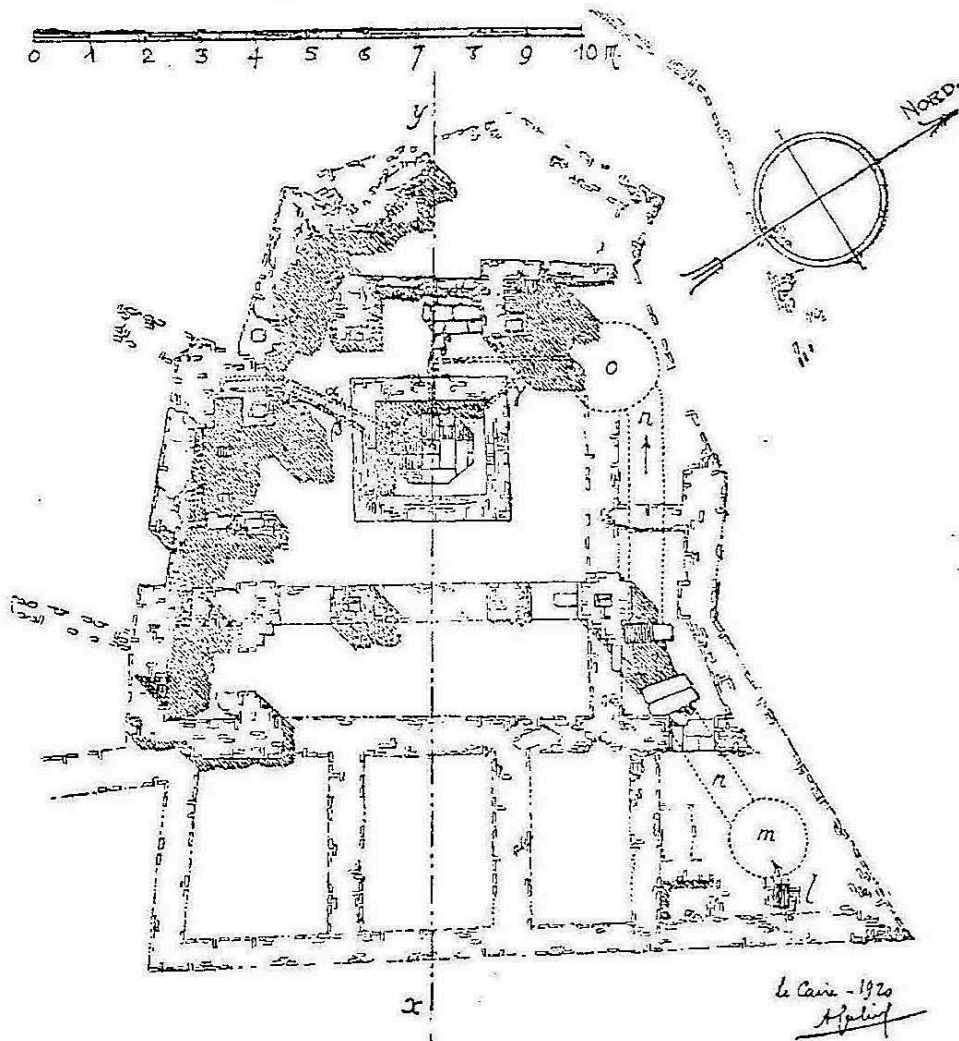
ذوى الأملاك يخذون دورا يخصصونها لنزول الضيوف ، ويجعلونها بمعزل عن البيوت التي يسكنونها . ومن قبيل ذلك ، دار الضيافة التي بناها عبد العزيز بن مروان بالخشابين^(١) .

ومهما كان الغرض من الدارين ، فإن الصغرى منهما (نمرة ٧) ، وهي التي تشغل من المساحة نحو ٧٠ مترا مربعا ، كانت تحتوى على مشتملات ومميزات الدور الكبيرة الواسعة الأرجاء .

الدار الثامنة

(الأشكال ٢٨ و ٢٩ و ٣٠)

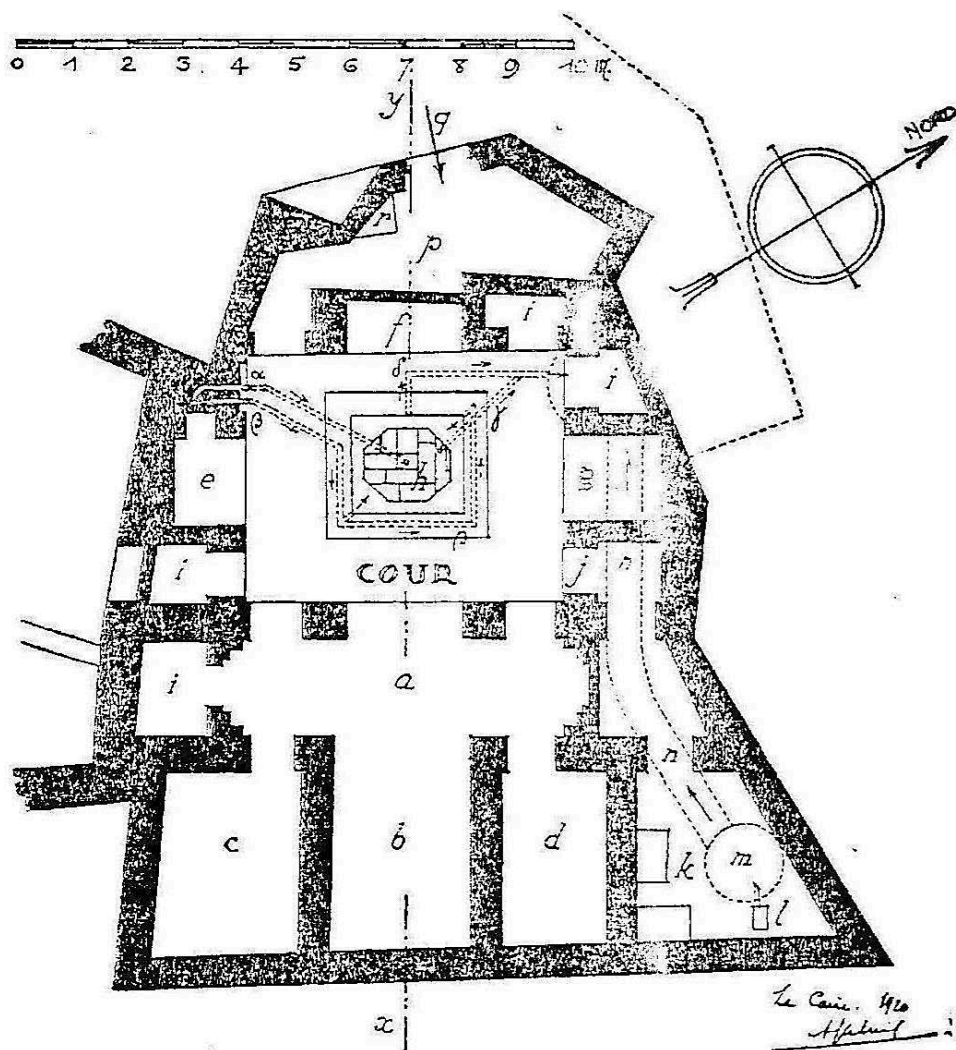
هذه الدار قائمة على أرض غير منتظمة كما في الدارين الثالثة والرابعة . ولكن بانيها تمكن من أن يجمع كل ما يلزم للسكنى في جناحين متماثلين ، فيشاهد في الرسم الممثل لحالتها الحاضرة (شكل ٢٨) ، محتويات الدور المعتادة كما بيناه في الرسم (شكل ٢٩) ، فهي تشتمل على الحوش A ،



شكل ٢٨ — الدار الثامنة (المسقط الأفقي كما هو الآن)

(١) ابن دقاق ، رابع ص ١١

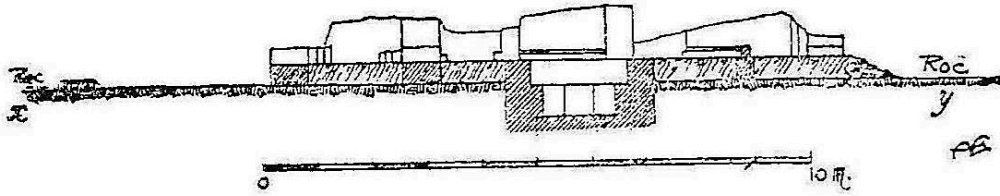
وفسقيته h ، والرواق ذي الفتحات الثلاث a . والقاعة الكبرى b ، والغرفتين d, c ، والاواوين الثلاثة g, f, e .



شكل ٢٩ - السار الثامنة (المسقط الأفقي بعد إرجاعه إلى أصله)

وفي الزاوية القبلية الشرقية، بالمكان المرموز له بحرف K ، بيارة مستديرة m ، بها برنج l .
وقد يكون هذا المكان معداً لمراحيض. وبجوار ذلك بعض كُتَل مبنية بالآجر، ربما كانت
أسس بعض الأحواض، لأنها متصلة بالمجورور n بواسطة أقنية صرف تمتد من البيارة m وتنتهى
ببيارة أخرى o . وكان موجودا بزوايا الخوش، الخلاوى الصغيرة i, i, i, \dots . وتختصر المجارى
في قناتين من الفخار α, β صاعدتين رأسياً في صلب الجدار فكانت المياه تنزل من حوض مرتفع.
وليس في وسعنا أن نقول كيف كان يملأ، لأن البئر القريبة منه واقعة على بعد خمسة عشر
متراً، وهى بالمنزل الذى يليه في الجهة القبلية الغربية.

وهناك قناة α ، غائرة في الأرض ، تؤدى الى وسط الحوض ، وفي نهايتها فوهة من نحاس وجدت بمكانها الأصلي .



شكل ٣٠ - الدار الثامنة (قطاع حسب y/x من الشكل ٢٨)

وتدور حول الفسقية ، قناة رمزنا لها بحرف β في الزاويتين البحرية والقبلية . ويلاحظ هنا ، وجود قناتين اختصت بهما هذه الفسقية لصرف المياه . احدهما y تخرج من بطن الحوض ، وهي تستعمل اذا أريد تصفيته من كل مياهه . والأخرى q ، فتحتها باستواء سطح الماء ، وتستعمل مع القناة الأولى لصرف ما يفيض من مياه الفسقية الى البيرة o .

ولم نعثر على ما يدل على باب الدخول . وقد يكون في q ، بالقرب من البناء الذى على شكل مصطبة مثلثة المرموز له بحرف r ، ولا يزال على حاله الى الآن . واذا تحقق ذلك يكون المدخل في الدركاة P ، منعظا على شكل كوع ، وهو من الأوضاع المألوفة في الآثار العربية . وليس هناك أثر لسلم يستدل منه على أن الدار كان بها دور أول .

الباب الخامس

مميزات الدار التي بوسطها حوش

إذا صرفنا النظر عن بعض الشواذ ، يستنتج : الأوصاف التي أتينا عليها في الكلام على الدور، أن الغرف كانت تحيط الحوش بنظام متماثل ، في كل دار . اللهم ، إلا في بعض الأحوال ، فإذا استثنينا الدار السادسة التي تمتاز من بعض الوجوه بشكلها الخاص^(١)، يمكن حصر الدور التي تكلمنا عليها في أشكال بسيطة متحدة في النسب اتحادا تاما .

ويجلى ذلك من رسم هذه الأشكال بجانب بعضها ، وبمقياس واحد ، على لوحة واحدة (شكل ٣١) . فيرى في جميع هذه الدور، أنها تتكون من نظام هندسي قائم على محورين متعامدين ، يلتقيان في وسط حوش تختلف الغرف المحيطة به في المقاس والنسب . وفي كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات ، تختلف في الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى أوسع من الفتحين الجانبيين ، ويفصلها عنهما ككتفان مبيان بالآجر . وفي سمت الرواق ، القاعة . وهي قاعة كبيرة يزيد طولها عن عرضها . وتكتنفها من جانبيها حجراتان صغيرتان ، منعزلتان عنها .

وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش في محور كل جانب ، أواوين تختلف في الامتداد إلى الداخل ، فتتكون منها تارة قاعات (٦ من الشكل ٣١ الدار الثالثة) وطورا وهو الأغلب ، أواوين صغيرة أو صفوف .

(١) يراجع في الفصل الرابع ، وصف هذه الدار مع الأشكال ٢١ إلى ٢٥ وستين فيما بعد ، إلى أي درجة ، تختلف هذه الأبنية عن القواعد المعمول بها .

١ - النسب

لم نقف على الطريقة التي كانت متبعة في تخطيط الرسم الأفقي للدور . هل كانت بالطرق الهندسية أو الحسابية ؟ كما أننا لا نعلم ما هي الوسائل التي كان يستعملها البنّاءون في ذلك . ولقد جاء في الرواية المتواترة عن بناء الجامع الطولوني^(١)، أن مهندس القبطي صورته على الجلد . ولا يبعد ، أن البنّائين كانوا قبل وضع أسس الدور يرسمون البناء رسماً مختصراً على الجلود، أو على ألواح من الخشب . وكانوا يخصصون للدار مساحة محدودة . ويضطرون في تقسيم البناء إلى الأجزاء على مقتضى الضرورة ، مراعين في ذلك حالة الطرق والجوار وغيره . ويعاينون ذلك بالاستقراء والتصرف في ترتيب الرسم الأفقي ، بالزيادة والنقصان . حتى يتوفقوا إلى تركيب منظم . وهذا سبب الاختلاف في عدم النسب الذي ما كان يتأتى لو طبقت القواعد الهندسية^(٢).

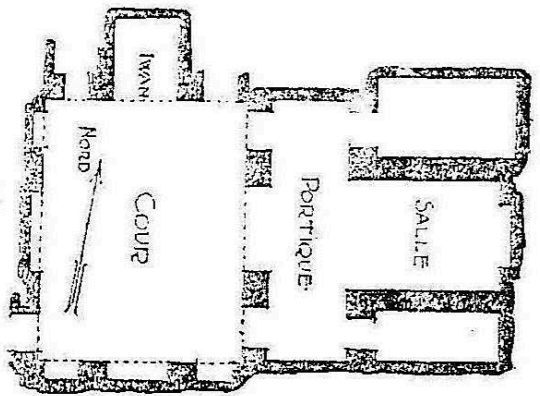
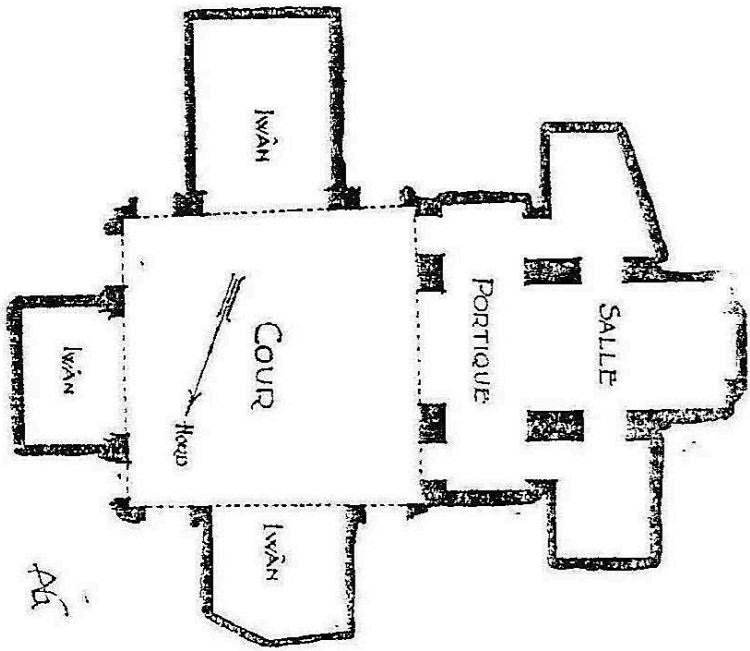
وكانت الأبعاد الأصلية للحوش والأروقة والقاعات تحسب في الغالب بواسطة المضاعف البسيط لوحدة الطول وكسورها . على أن البحث في ذلك بسبب عدم انتظام البناء لا يؤدي إلى نتائج حقيقية واضحة^(٣) . ولا بأس ، أن نأتي هنا ببيان بعض الأبعاد التي استخرجناها من الدار الثامنة ، حيث يظهر لنا استعمال وحدة تقرب من ٠٫٦٤^(٤).

(١) أحضر أحمد بن طولون ، النصارى الذي تولى له بناء العين ، واستشاره في بناء الجامع . فقال : "أنا أصوره لأمر حتى يراه عياناً بلا عمد إلا عمودي القبلة ، فأمر بأن تحضره الجلود ، فاحضرت . وصورة له . فأعجبه ، واستحسنه ، وأطلقه ، وخلع عليه ... " المقرري ج ٢ ص ٢٦٥ ، وفي القرن الرابع الهجري ، رغب محمد بن طنج ، أن ينشئ بستاناً وداراً بجيزة الروضة ، فطلب تخطيطهما وتقدير الفكة عليهما فصورهما ووضعوا التقدير . المقرري ج ٢ ص ١٨١ .

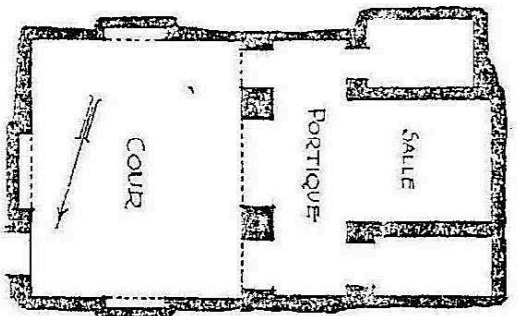
(٢) يلاحظ أن أبعاد بعض الحيطان بنسبة ٤ إلى ٥ . ويظهر من ذلك ، أنهم كانوا يستعملون في التخطيط المثلث المصري الذي يساوي ضلعا زاوية القائمة ٣ و ٤ والوتر ٥ ؛ ولكن العمل بالطرق الهندسية غير متحقق تماماً ، لأنهم ولو اتبعوا مثلاً خاصاً في تعيين الأقسام الكبيرة من الدار فقد كانوا يوفقونه حسب الظروف . راجع عن التخطيطات الهندسية ما كتبه فيتروف Vitruve (طبع شواذى) ، وملاحظات مسيودى فوجيويه في «سورية الوسطى» .

(٣) متى كانت الوحدات المستعملة منها ما لا يبلغ مقاسه غير بعض سنترات تعذر الوصول من المقاسات الموجودة إلى أى استنتاج ، لأن الأغلاط التي يقع فيها البناء ، تزيد في الواقع عن مقدار هذه الوحدات .

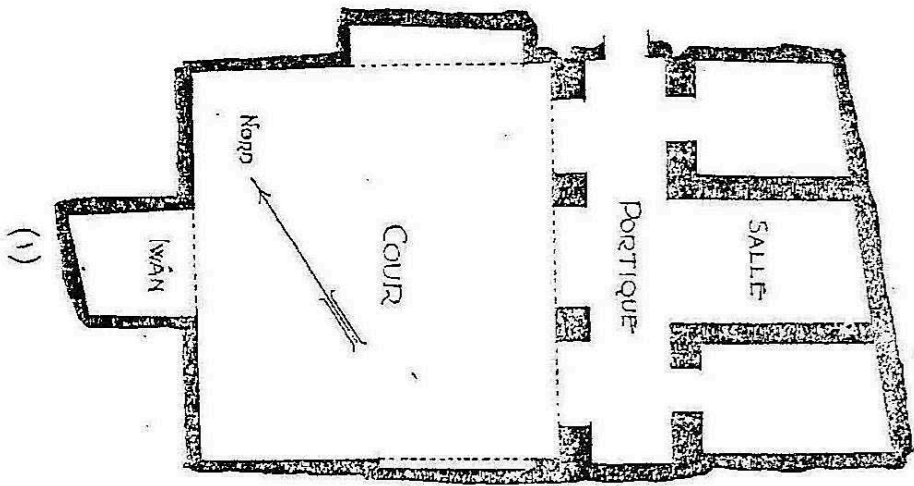
(٤) اختلف مقدار الذراع بمرور الزمن في كل جهة . وكانت تستعمل عدة أذرع متفاوتة في المقدار في الوقت الواحد مثله ذراع الآدمي وهو ذراع إلا ثمن من الذراع الحديد المستعمل بمصر وبمكة . وكان ذراع الحديد أصغر من ذراع العمل وهو ذراع وثلاث بالذراع المذكور أى ذراع الحديد المستعمل بمصر (راجع «نزهة الناظرين» للبر زنجي ص ١٤١) . وقد لاحظ مستر هرزفيلد في سامرا استعمال ذراع مقاسه ٠٫٥١٨ . (راجع "نظرة بسيطة في بلكاوارا" Erster vorläufiger Bericht. Balkuwara تأليف El. Herzfeld) وقد حقق ذلك : بمقارنة عدة أقيسة دقيقة في أبنية كثيرة من الدور الفسيحة يتدفق الفسطاط الوصول إلى مثلها من حيث الضغط . وقد أوردنا هذه الملاحظة ، ولا نقصد بها إلا التبريق في عمل مباحث من هذا القبيل إذا سمحت الظروف .



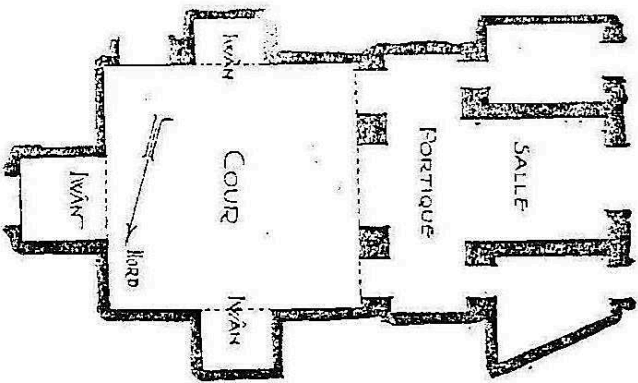
(7)



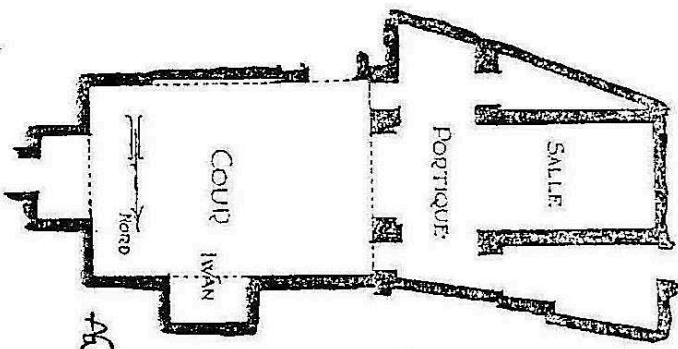
(1)



(1)



(0)



(3)

شكل ٣١ - جدول مقارنة للمساقط الأتية (مقاس ١:٢٠)

في الطول ٧ أمتار الى ١٠ تحتاج الى دعائم متوسطة . وهو ما لم نعثر له على أثر في الحيشان التي تكلمنا عليها .

فضلا عن ذلك ، فان الرواق ذا الفتحات الثلاث لم يكن ممكنا فتحه إلا على قضاء طلق الهواء ، حتى يتوفر للقاعة الكبيرة الظل والظراوة . أما اذا كان الحوش مسقوفا ، فلا تكون لهذا الرواق فائدة . وكذلك أحواض الزهور التي حول الفسقية ، فانها تتطلب وصول النور اليها مباشرة . ويجوز أنهم كانوا يتخذون الخيم أو المظلات لتغطية جوانب الحوش ، فيصبح الحوش والفسقية في وسطه على هيئة الایمپلوفیوم Impluvium في البيت الروماني ^(١) .

— ولأجل أن نوفي الكلام حقه من التفصيل في هذا الباب ، تنقصنا معالم من البناء لم نعثر على شيء منها بعد .

(ب) الرواق والقاعة . هما المحلان المهمان من البيت . وقد يلاحظ أنه لم نعثر في نقطة اتصال القاعة بالرواق على عماد ، ولا أكتاف ، بمعنى أنه اذا قصر النظر على المسقط الأفقي ، رثى قضاء على شكل L تحده الجدران . وقد عثر مسيو هرزفيلد في سر من رأى على مثل هذا الوضع فسماه ^(٢) L förmiger Saal .

والحقيقة أنه لم يبق ، في سر من رأى ولا في القسطنطينية من الجدران إلا ارتفاع قليل ، لا يسمح بمحاولة وضع قطاعات واضحة للدار ، تبين ما كانت عليه في الأصل . والأصوب عندنا أن يقال عنها إنها مجموعة مكونة من رواق داخله قاعة ، جعل مدخلها في كامل عرضها . وليس فيما اصطلاح عليه ما ينقض أن الدار كانت تتألف من مجموعة تكون قطعة واحدة . ولكن رأينا يرجح بوجود الشبه بين الرواق والپروستاس *προστας* (الصدر من قسم الحرم)

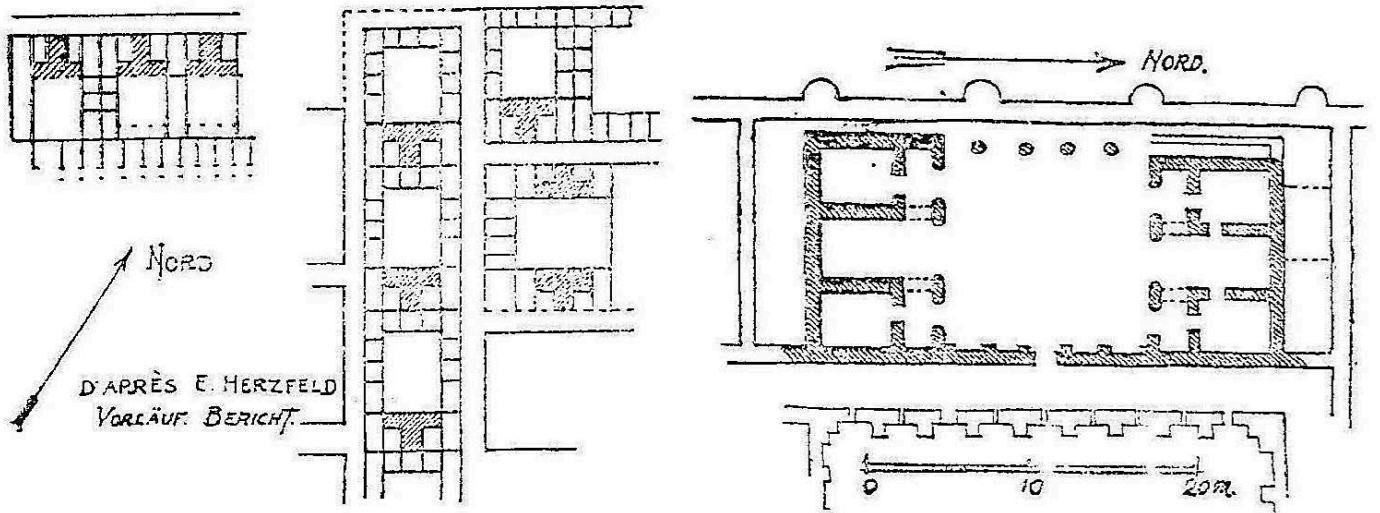
(١) في حالة ما يكون الایمپلوفیوم ليس لهيئة نقط ارتكاز متوسطة كما في الحوش المسقوف التوسكاني أو الذي تصرف مياه الأمطار خارجه ولا تخدريه *Cava aedium tuscanica*, ou *cava aedium displuviata*. (Vitruve éd. Choisy t. IV, PL. 60 et texte, liv. VI, chap. III, 2, 11.)

والایمپلوفیوم عند الرومان فسقية مربعة في وسط حوش مسقوف تسقط فيه الأمطار من فتحة في وسط السقف كانت تسمى كومپلوفیوم . (عكوش)

(٢) أي قاعة على شكل حرف تاء مقلوبة L. - راجع E. Herzfeld, *Erster vorläufiger, Bericht*, ص ١٧ و ٤٧

في البيوت الهلنستية، من جهة • وبين القاعة والايكوس *oikos* (غرفة الاستقبال) من جهة أخرى •

— وهذا الشبه متوفر أيضا في المجرتين فانهما شبيهتان بالثلبوث *thalptos* ، والانتيلبوث *antithalos* ^(٢) ، وهما جرتان للنوم •



(شكل ٣٣)

(شكل ٣٢)

ويلاحظ ، أن هذا النظام المتخذ في الدور لا يزال الى الآن مستعملا في عدّة جهات من العالم الإسلامي • وقد وجد منذ بدأ الفن الإسلامي في الأخيضر (شكل ٣٢) وفي سامراء ،

(١) راجع ما كتبه فيثروف عن البروستاس والايكوس طبع شواذى أيضا ك ٦ باب ٩ ص ١١١٠ ، وما كتبه فيجاند Wiegand وشراذر Schrader عن برين شكل ٣٠١ وما يليه • وليس من المستلزمات المحتمة في البيت الهلنستى وجود الأروقة الداخلية المتواصلة بجوانب الحوش الأربعة *péristyle* ففى برين على الخصوص ، بعض بيوت يقتصر وجود الأروقة فيها على ثلاثة جوانب ، أربانيين أو جانب واحد • (برين ص ٢٨٥ شكل ٢٩٨ وما يليه) وزيادة على ذلك في الأحوال التي تكون فيها الأروقة مطردة على هيئة منى ، ليس من الضروري قيام القائل في الجهات الأربع • وهناك نظام غريب أورده فيثروف في الطبعة الرابعة ك ٦ باب ٩ وهو الرواق الرودى المسمى *peristylum rhodiaceum* ، ومنه أمثلة في برين Priene, p. 297, fig. 316 ، وفي بيت تريدان بديلوس نموذج خاص (راجع art. Couve B. C. H. 1895, p. 400-516 Pl. IV-V) وهو يتكون من رواق في أحد جوانب الحوش مرتفع عما في الجوانب الأخرى وله واجهة تقابل الجنوب كما ذكره فيثروف ولكن الاتجاه يختلف تبعا للواقع •

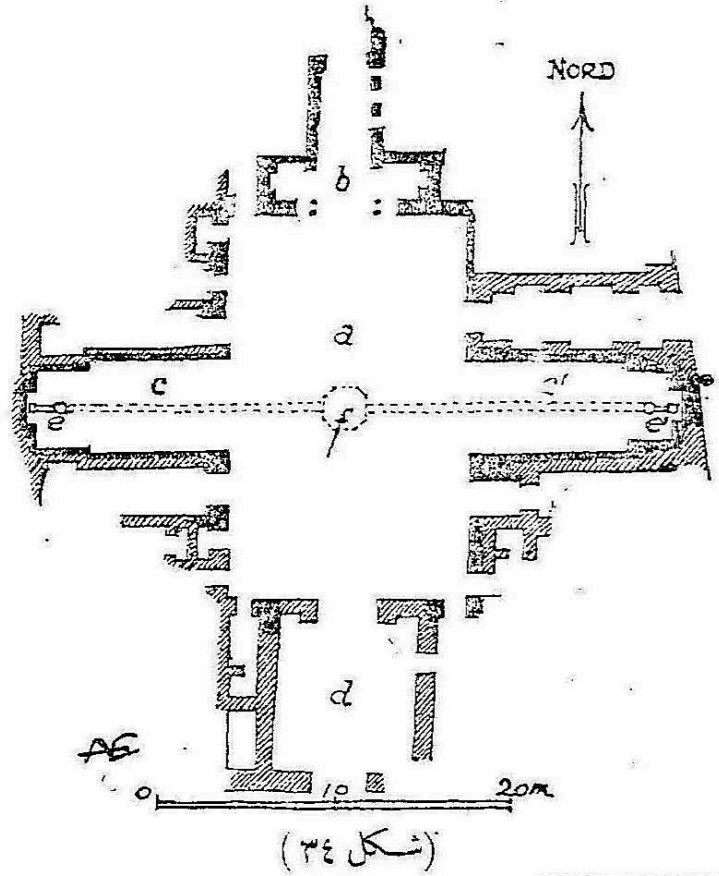
وإذا قيل إن بيت القسطنطينية متخذ على مثال البيت الهلنستى ، أو أن البنين يرجعان الى أصل واحد ، فانه من الممكن تشبيه رواق القسطنطينية ذو الفتحات الثلاث ، بالرواق السابق (راجع فيثروف الطبعة السابقة ، الكتاب السادس ، باب ٩ ص ١٨) وقد حلت في القسطنطينية الارواين محل الأروقة الصغيرة في البيت اليونانى • وفي تكرار الأنكاف المتخذة من الآجر والصفى المتشابهة ، ما يشعر بوجود نظام مطرد •

(٢) راجع فيثروف ، طبع شواذى ، الكتاب الحادى عشر الباب التاسع ص ١٢

(٣) راجع القصر والجامع بالأخيضر لمس ج • ل • بل (الرسم الأتى لوحة ١) •

(شكل ٣٣) وفي القاهرة في قصر ست الملك، لما كان على أصله، قبل أن يضم إلى دارستان قلاون . وقد تمكن هرتس بمباحثته من رسمه على حسب أوضاعه الأصلية (شكل ٣٤) .
ويوجد أيضا بتونس في بعض الدور الخلفية من القرن الثامن عشر . وفي بعض الدور الحديثة العهد بالعراق .

على أن هذه البيانات لا تفتح الطريق أمامنا إذا أردنا الاستدلال على المصادر البعيدة العهد التي أخذ منها هذا النمط الغريب . ونرى من العبث، محاولة البحث عن الأصل الذي اقتبست منه الأمثلة القليلة التي ذكرناها بين المدن القديمة في الشرق .



وهلا يكون الأصل الذي بنيت على مثاله الدور في العراق وإيران واليونان ورومة مأخوذا عن الحيلانيين والحيتيين ؟ ولكن كيف كان التطور

(١) يحتوي هذا الشكل على قسم من تخطيط بلوكوارا كارسه مسيو هرزفيلد في (Erster vorläufiger Bericht).

ويمشاهد هذا الوضع نفسه، في البيوت التي كشفت في سامرا وقد نشر مسيو هرزفيلد رسمه بمقاس صغير جدا لا يمكن استنتاج شيء منه . راجع «البعثة الثانية بامرا» E. Herzfeld, Mitteilung über die Arbeiten der zweiten Kampagne von Samarra, في مجلة «الاسلام» der Islam سنة ١٩١٤ ص ١٩٦ — ٢٠٤، الشكل، ص ٢٠٣.

وقد جاء في الوصف الموجز الذي أورده مسيو هرزفيلد، أن الأجزاء التي رسمها بنيت على تصميم ثابت (مؤلف من حوش في الوسط بصورة قاعة على شكل L بكل من جانبيها حجرة صغيرة، (E. Herzfeld, Erst. vorläuf. Bericht, p. 14 et suiv.) ص ١٤ وما بعدها .

(٢) هرتس باشا في «مباني السلطان قلاون بالقاهرة» Die Baugruppe des Sultans Qalāun in Kairo لوحة ٣٣ وشكل ٤٣ في (Abhandlungen des Hamburgischen Kolonialinstituts, t. XLII. Hambourg, 1919).

(٣) راجع «بحث في العمارة العربية والمغربية بالأندلس» تأليف جيرولت دي برنجي، (Girault de Prangey, Essai sur l'architecture des arabes et des Mores en Espagne) باريس سنة ١٨٤١ لوحة ٢٥ — ٢.

(٤) نقل مسيو روتر عن بغداد وضواحيها رسم كثير من البيوت الحديثة العهد، فيها المباني تحيط بحوش مربع، والطبقة الأرضية مسقوفة بعقد، وفوقها الطبقة الرئيسية من البيت بيافتحات وافرة الاتساع مشرفة على الحوش . المكان المعروف بطارمه ليوات يقابل عندنا الايوان والقاعة (راجع الدار ببغداد وغيرها من مدن العراق . O. Reuther, Das Wohnhaus in Bagdad und anderen Studien des Irak، وعلى الخصوص راجع شكل ٥٩ ص ٢٧).

في هذه البلدان؟ والباقي من مبانيهم نادر . ولا يوجد بمصر شيء من البيوت الهلينية والقبطية . ولا نعرف عن بيوت فارس الساسانية^(٢) ، إلا بعض بيانات تافهة . ومن ثم نعدل الآن بحكم الضرورة، عن البحث في الأصول التي استمدت منها أبنية الفسطاط، من مدنات الشرق القديم .

(ج) الأواوين . هي من المرافق التي تلازم الحوش وتعد في طبيعة الغرف، حيث يسهل التنقل فيها من محل الى آخر، على حسب الفصول وساعات النهار . وهي في الحقيقة توافق الطقس مهما كان متقلبا . ولا تخلو من علاقة بالآليه *alae* ، محل الانتظار في الایمپلوفیوم الروماني ، والتريكلينيا *triclina* ، قاعة الأكل ، والا كريدرة *exhedra* قاعة الجلوس في البيت اليوناني، الأندرونيثس *andronitis* الذي وصفه فيتروف^(٣) .

ومن رأينا، أنه لا يوجد ما يثبت وجود الشبه، بين هذه الأماكن التي تحيط بالحوش المكشوف، وبين الوضع الأفقي الصليبي، المشاهد في الكائس اليونانية والسورية، ذات القباب الدائرية^(٤) . ولا يفوتنا، أن شكل الأفقي في الكائس، التي على شكل الصليب اليوناني، والأبنية الماثلة لها، كان الباعث على اتخاذها، ضرورات التوازن . لأن البناء بهذا الشكل أوجد حلا لطيفا لاحدى النظريات الميكانيكية، اذ به تلاشى تأثير ضغط القبة المتوسطة بلا حاجة الى اقامة دعائم . أما في دور الفسطاط فان الأمر يختلف عن ذلك اختلافا جوهريا . لأننا اذا تركنا جانبا النسب والقياس، نرى أن الأواوين

(١) لمس بل عن "الأخضر" بحث عن أصول القصور الأولى في العهد الاسلامي . وقد اعتبرت الخيال المعروفة بليون الطارمة ، من تطورات الخيالي . ولكنها حطت من قيمة هذا الرأي بقولها : ان البيت الهليني صدرت عنه الفكرة التي أدت لان تراء الطارمة على الليوان . (راجع القصر والجامع بالأخضر، لمس بل ص ٨٧) ويلاحظ، أن الرواق الحبي ذي الفتحات الثلاث ، يتصدر قاعة تكون غالبا على نفس اتجاهه يسلك إليها من باب . واذا يكون النظام الذي على شكل *T* ، زيدت فيه زيادة لم يعلم مصدرها بعد (راجع عن هذا الموضوع مباحث كولدوي *Koldewey* عن مباني الخيلانيين في سوريا وبلاد آشور وفارس راجع « حفريات زندجرلي » *Ausgrabungen in Sendschirli* ، تأليف C. Humann et R. Koldewey، طبع برلين سنة ١٨٩٨ ج ٢ ص ١٨٣ وما يليها شكل ٨٣ و ٨٤ لوحة ٢٢ و ٢٦ و ٢٧) .

(٢) لا يمكن أن نعتبر من التخطيطات الأصلية المثال الذي نشره مسيو دي مورجان في « بعثة علمية بفارس » *Mission scientifique en Perse* رابع ٢، ٢٤٦ و ٢٤٧، لأنه لا يتم عن مبدأ عام سابق على تنظيم محال السكن، وغاية ما يستنتج منه أن المنازل التي من هذا القليل، كانت تشمل على طبقة «أرضية» معقود فوقها دور أول مبنى بناء خفيفا .

(٣) فيتروف طبع شواذى الكتاب السادس الباب التاسع ٢١ — ٢٤

(٤) ومن قال بوجود هذه المشابهة، مسيو فان برشم في كلامه عن أواوين المدرسة . راجع مثالة مكس فان برشم عن « النماذج الأصلية للمباني الدينية الشهيرة في العمارة الاسلامية في سورية ومصر » في دائرة المعارف الاسلامية لهوتها، طبع ليدوباريس سنة ١٩٠٨ ص ٢٢٨ — ٢٣١

ليست بعيدة في الشبه عن الصفف الكبيرة بقصر عمان^(١)، وإيوان كسرى بالمدائن . وفي قصر ست الملك، أوأوين واسعة عن أوأوين الفسطاط^(٢) . ولكنها موضوعة مثلها في اتجاه المحاور . وهذا يسمح لنا بالاشتراك مع «تس ك» في قوله : إن هذا الأفق يعين دورا من أدوار التطور لطرز مخصوص، تحوّل في القرن الثالث عشر الى الشكل المبني عليه جامع السلطان حسن^(٣) .

باب الدار - في الدور التي وصفناها لم تكن الابواب موجودة . وقد رسمناها على أصلها ولا نشك في أكثر المواقع التي عيناها لها . والمفهوم من رسم الدور التي لم تزل بها بقية كافية من معالمها، أن الدخول من «طريق الى الحوش» لم يكن على اتجاه محور من المحاور، بل من إحدى الفتحات، بجوانب الأواوين . ويظهر أن الدركة أو الدهليز الذي يؤدي الى الباب، كانت على شكل كوع . ولم نعث على هذا الشكل واضحا في الحفر . وإنما هو من القواعد العامة التي كانت متبعة في المباني الإسلامية في كل العصور . والغرض منه، حجب مايجرى في الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج .

٤ - الطبقات

ذكر ناصر خسرو، أن بعض دور الفسطاط كان مكونا من أربع عشرة طبقة . فلو فرضنا أن هذه الطباق كانت على أقل مايمكن من الارتفاع، لوصل علو البيت الى خمسة وثلاثين مترا

(١) أوردت Th. Wiegand في بعض المؤلفات الحديثة «منشورات الادارة التركية والألمانية لحاية الآثار» *Wissenschaftliche Veröffentlichungen des Deutsch-Türkischen Denkmalschutz-Kommandos* طبع برلين وليمج سنة ١٩٢١ (I, Heft I) أقيمت بعض منازل سينا تكميلا لما دونه A. Musil في «الحجاز» (Arabia Petrea) وبين هذه المنازل البعض يتكون من غرفة حول حوش في الوسط (شكل ٦٠ ص ٦٩) . وأحيانا توجد فيها كما في الفسطاط، الأواوين مفتوحة على الحوش في كامل عرضها، غير أن هذا النظام، لا يرجع الى وضع مرعى .

وهي مع ذلك بيوت مبنية كلها بالحجر وكانت سقفوها مرفوعة على عقود (شكل ٦٥ و ٦٦) بالطريقة المعروفة في البيوت السورية التي ترجع الى القرون الأولى من التاريخ المسيحي («راجع سورية الوسطى» *Syrie Centrale* تأليف د . فوجويه) .

(٢) راجع *Dier Baugruppe des Sultans Qalāun in Kairo* تأليف هرتس باشا (لوحة ٣٣ وشكل ٤٣) .

(٣) مما يؤسف له أن عمارات الايوبيين لم تختلف بينها أمثلة من بيوتهم . ولا يخفى كتاب وصف مصر، إلا على جزء من واجهة القصر الذي أقامه نجم الدين في جزيرة الروضة، وكان بعضه لا يزال موجودا في القرن الماضي . (كتاب «وصف مصر» ، *Description de l'Egypte* ، ج أول لوحة ٥٣ ، وثان، القسم الثاني ص ١٥٩ وما يليها) .

(٤) ناصر خسرو، «سفرنامه» (طبع شبفر، ص ٤١٦) .

على أقل تقدير . ولذلك نقابل هذه الرواية بشيء من التحفظ . على أنها قد تكون دليلا على أن بيوت المدينة كانت طبقات . وقد وصل إلينا أن بعض المنازل كانت لها سطوح واطئة جدا ^(١) . ومن البديهي أن المدينة لا تكون أبنيتها كلها على طراز واحد ، فكون فيها الفنادق والرباع . وكانوا يبنونها في الجهات المزدحمة بالمناجر على ضفاف النيل ، وبجانبا الدور ، ومن بينها ما يكون مخصصا لأسرة واحدة . ولا شك ، أن ما وصفناه من الدور هو من هذا القبيل ^(٢) .

أما تعدد الطبقات لدرجة كبيرة فتعترضه ثخانة الجدران ، ونظام السقف . على أننا لا نجزم بوجود طبقة عليا فوق الدور الأرضي . وهي مسألة بحثنا فيها لما تكلمنا على الدار الأولى ، ولا يزال حلها أمرا مستعصيا .

وقد عرضت هذه المسألة نفسها للبيوت المبنية على الطراز الهلينيستي ، في ديلوس مثلا . ولكن كان هناك بين الانقراض بعض أجزاء من أكثاف وتيجان ، مما لا يوجد عادة إلا في الأروقة القائمة في الطبقة الأولى ، بخلاف الفسطاط ، فاننا لم نجد فيه شيئا من هذا القبيل . ولا تكفي الشنايش الظاهرة في محل المربوعات بقمة بعض الجدران ، لاثبات وجود الطبقة الأولى ، على أن الشنايش التي وجدت من هذا القبيل قليلة العدد . ومن وجود لأقنية المستطيلة الرأسية (قصبات المراحيض) في الجدران ، يستدل على أن مراحيض الدار كانت بحل عال . ولا يمكن

(١) وكان يحضر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقف ، قريبة من يسرى في الطرقات ويخوف ، وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت تم ضربه بالأخشاب ومزحوا منه وأكلوه (المقريري ج ١ ص ٣٣٧) .
(٢) قال ابن خلدون... كان الدين أول الأمر مانعا من المغالة في البناء والاسراف فيه في غير القصد ، كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة ، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل ، فقال : افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاث أرباب ، ولا تطاولوا في البناء ، والزمو السنة تلزمكم الدولة . (مقدمة ص ١٧٥) .

وفي الفسطاط ، لم تكن منازل العرب ، في الأول ، تحتوى إلا على طبقة واحدة أرضية . "وكان خارجة أول من ابتنى غرفة بالفسطاط ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن : أدخل غرفة خارجة ، وانصب فيها سريرا ، وأقم عليه رجلا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، فان اطلع من كواها ، فاهدمها ففعل ذلك عمرو ، فلم يبلغ الكوى فأفرها" (ابن دقاق ج ٤ ص ٦) .

والظاهر من ذلك ، أن القاعدة العامة كانت : أن تبنى البيوت من طبقة واحدة أرضية . وما يصح ذكره في سياق ذلك ، قول المقريري : وكانت القوس لا تبني شريف البنيان ، كما لا تبني شريف الأسماء إلا لأهل البيوتات... (المقريري ج ٢ ص ٥١) . وفي سامرا ، لا تحتوى البيوت إلا على طبقة أرضية .

(E. Herzfeld, Vorläufiger Bericht, 14)

أن يستنتج شيء من وجود بقايا السلام ، ومواضع الدرج . وليس السبب في ذلك صغر مقاساتها . لأن السلام في العمارة العربية حتى في الأبنية الفخمة كانت صغيرة الحجم . ولا يمكننا - الجزم بأن السلام التي وجدنا درجاتها الأولى كانت معدة لغير السطوح والخزانات أو ما يماثل الصندرة .

وربما كانت هناك طبقة عليا كالتى في يوميى وديلوس ، فوق جزء من الطبقة الأرضية . ويجوز أنها غرف مرتفعة مصفوفة الى جانب غرف أصغر منها على مستويين . ولم يكن من الضرورى اذا أن تكون السطوح على استواء واحد، بل كان فى الامكان جعل ارتفاع الغرف تحت السقف مناسباً لاتساعها . وهذه الافتراضات لم يثبتها شيء من المشاهدات الناتجة من الحفر . وكذلك الحال فى الواجهات والقطاعات الأصلية . وهنا نتساءل هل كانت سطوح الدار أو السقوف المتوسطة مرفوعة على مربوعات (جوائز) أو أقبية ؟ أما الظاهر من الأكاف والحدران، فانه ضعيف جدا عن حمل الأقبية، ومنع تأثير دفعها . ومع ذلك فان العقود المهموزة والحيزومية كانت شائعة، ولا يبعد أن تكون خليطا من العقود المنقولة عن جامع عمرو وجامع ابن طولون . وكانوا يبنون بدل العمدة دعائم من الآجر، كما فى جامع ابن طولون، ويرفعون عليها الأقواس بالآجر أيضا، حول الحيشان، على نظام مطرد، ثم توضع عليها المربوعات ^(١) . وكانوا يجعلون السقف مستويا . وهو من التقاليد التى لم تزل متبعة الى اليوم . ولم نجد أثرا للقرميد بين الانقاض .

٥ - الغرف واستعمالها وتقاسيم الدار

من بين الدور المرسومة فى الفصل السابق، ثلاث، لكل منها حوشان منفصلان، بحيث يمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها . وهو وضع نجد فيه انقسام الدار اليونانية الى

(١) هذه الأقواس المنخفضة من الآجر، كانت تقوم مقام الجوائز من الخشب النخيل، وفائدتها عظيمة فى البلاد التى يقل الخشب فيها . وفى جامع سامراء، أكاف من الآجر تربطها قطع من الخشب، موضوعة فوقها الجوائز مباشرة دون العقود الحاملة . (E. Herzfeld, Vorläufiger Bericht, 14)
ويشاهد مثل هذا النظام فى جامع المنصور بالرقه . وفى الجامع الأموى بجران . أما فى مصر فقد عم استعمال العقود ، والظاهر أنه من الطرق التى جى بها من سورية . ومن المعقول أن البيوت كانت تبنى بالطرق التى تبنى بها المساجد .

اندرونيتس *andronitis* (السلامك أو القسم المخصص للاستقبال) وجينا كونييتس *gynaikeonitis* (محل الحريم)^(١) أو الدار اليونانية الرومانية الى تريوم ويريستيليوم (*atrium et peristylum*)^(٢) وهما القسمان الخارجى والداخلى . وفى برين دور من هذا القبيل ، حوشها فى الوسط على هذا النظام^(٣) . ومن المحتمل ، أن يكون فى دور القسطاط أحد الحوشين مخصص للرجال والآخر للحريم .

والغالب فى دور القسطاط ، وبرين ، وديلوس ، أن لا يكون فى الدار غير حوش واحد . ولو ثبت وجود الطبقة الأولى فى القسطاط ، لقلنا أن محل الحريم كان موجودا فيها ، ولكننا لم نتثبت مما يدل على ذلك . كما أننا لم نحقق على أى حال كان يعيش النساء فى أوائل الفتح الاسلامى ، وفى العهدين العباسى والطولونى^(٤) . والمعروف ، هو أن الغرف لم تكن معدة لغرض مخصوص ، كما هو الحال عندنا فى بيوتنا الآن^(٥) ، فان القاعة الكبيرة ، والرواق ، والأواوين ، بل والصحن ، كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين ، تبعا لأوقات النهار والفصول . وكانوا يجهزون الطعام على كوائن من الطين يوقدونها فى الحوش أو فى حجرة صغيرة . ولكن لم نقف على شىء من هذا القبيل .

— وإذا نظرنا الى تقاسيم الدار الأصلية وابعادها وكيفية ترتيبها ، نرى الدار فى القسطاط كالدار الهلنستية أو الرومانية . إلا أن بعض الأوضاع الخصوصية ، تحملنا على محاولة البحث عن أصولها

(١) فيثروف : الطبعة السابق ذكرها ، الكتاب السادس ، الباب التاسع ، ص ١٤ و ٢٦ و ٣٤

(٢) الفرق الذى قال شواذى بوجوده ، بين الدار الخاصة *privata aedificia* وبين الدار العامة *communia aedificia* فى طبعة « فيثروف » ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ ، غير موجود فى المتن اللاتينى .

ولما تكلم فيثروف ، عن تفاصيل المسقط الافق للبيت اليونانى ، ذكر بعض البيوت الصغيرة *domunculae* . وقال انها كانت مخصصة للضيوف ومنفصلة عن المسكن بداليز *mesaulae* ، وهو تركيب نجده ينطبق على مجموعة الدار السادسة والسابعة « مكرر » (راجع الملحق ، الباب الرابع) .

(٣) برين ، تأليف ويجاند وشريد رص ٢٨٩ وشكل ٣١٣ و ٣١٤

(٤) تعرضنا فيما يتعلق بسكنى النساء ، هذه المسألة فى البيت الهلنستى (*Priene* ، ٢٩١) . والمختل ، هو أن وجود الحريم والسلامك ، وتخصيص مكان لكل منها ، انقردت به فى جميع العصور ، المساكن الفسيحة المشيدة فى الأراضى المتسعة . وهذا التخصيص ، ظاهر جدا فى بيوت الأمراء والأكابر . ومن هذا القبيل ، اتخذ أحد بن طولون دارا خاصة بحريمه ، بجزيرة الروضة (المقرىزى ج ٢ ص ١٧٨) . وكان بجوار السوق الكبيرة ، زقاق سده قراقوش الأفرى ، وضافه الى داره من شرقيه ، وجعل له دربا حازه به الى حريم داره (ابن دقاق ج ٤ ص ١٤) .

(٥) وذكر ابن دقاق ، فى وصفه دور مصر ، أسماء عدة من الغرف والمحال التى يشتمل عليها المسكن ، فارد المجلس والباذنج والمستشف والمودج والطامة (ابن دقاق ج ٤ ، ص ١١٨) . ولكن كلامه ، لا يعين على تطبيق هذه الأماكن على أجزاء الدور ومنافعها ، لأن مدلولها ينطبق على محال متسعة شعبة ، عما فى القسطاط .

في العراق . ويظهر التأثير العراقي جليا في الدار السادسة . وهي، كما سبق لنا بيانه، مبنية بنظام خاص، يظهر أنه منقول عن أصل عراقي^(١) . وسنرى في الفصول الآتية، عند الكلام على صناعة البناء والزخرفة، من الظواهر، ما يدل على هذا التأثير الشرقي^(٢) بوضوح .

(١) المسقط الأفق في الجزء الرئيسي من هذا البيت، يشبه تماما نظيره، من مساكن الأخيضر (راجع الملحق، شكل ٣٢) . ومارا (راجع الملحق شكل ٣٣) ويمكن تشبيهه أيضا، بالمسقط الأفق للاندرون، أو قسم الحريم، الخاص بالحاكم في قم من رسم ديولافوي راجع «فارس والأهواز وكلمة» *Susiane et la Chaldée* . تأليف J. Dieulafoy.

(٢) كانت العلاقات متبادلة كثيرا في عهد بني أمية وبني العباس بين البلاد التي بسط الاسلام عليها ظله . وكان تبادل المهنات والعمال، في كل شيء، من العوامل على تسهيل انتشار الطرق الصناعية، الخاصة بكل اقليم، (راجع «مصادر الفنون الاسلامية» *Die Geschichte der Islamischen Kunst* حرزفيلد، Harzfeld، في مجلة "الاسلام" سنة ١٩١٠ ص ٦٠ و ٦١

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان زيادا أخاه البصرة، غرب جماعة من الأزد الى مصر، وبها مسلمة بن مخلد، في سنة ثلاث وخمسين هجرية (٦٧٣ م)، فنزل بها منهم نحو من مائة وثلاثين - فقبل لموضعهم من خطة الظاهر، سويقة العراقيين . (خطب المقرري ج ١ ص ٢٩٨) .

وفي أيام العباسيين كان الولاة من العراق . وعلى عهد ابن طولون لجأ أحد العراقيين الى مصر «فلما دخلها رأى فيها كثيرا من أهل بغداد تخاف أن يعرف، فخرج الى أرباعها» (المكافاة لأحمد بن يوسف الكاتب، ص ٣٦) .

لمست: ✕ «استدراك» - وقع خطأ مطبعي في السطر الثالث من الهامش نمرة (١) وصوابه ما يأتي :
J. Dieulafoy تأليف *La Perse, la Susiane et la Chaldée*.

الباب الأول

صناعة البناء^(١)

١ - الأسس

كانوا ينزلون بالأسس ، في كل مكان ، الى الصخر . أما البناء ، فلم يكونوا يتخذونه على وتيرة واحدة ، ولا يمكن أن نتوصل منه الى أى استدلال تاريخي . لأن الأساس الواحد ، كان يبنى بعدة طرق في وقت واحد .

(١) - الأسس المبنية بالدبش - فيها يكون الحفير محتويا على بناء بالدبش المنحوت نحتا بسيطا . وكان يؤتى به مما يتخلف من تمهيد الصخور المجاورة ، وأحيانا ، يلقى في الحفائر على غير نظام ، ويربط بعضه ببعض ، بمونة من الطين أو الطين والجير ، وأحيانا يرص على هيئة مداميك تختلف درجة انتظامها^(٢) (لوحة ١٥ - ١) .

(ب) الأسس المبنية بالآجر (لوحة ١٦ ، ٤ و ٦) - يغلب كثيرا ، وعلى الخصوص ، اذا كانت الحفائر قليلة العمق ، أن تكون الأسس والواجهات من آجر يرص مداميك منظمة ، ويسقى بمونة الجير والرمل . وقد يضاف اليه التصرمل أو الحجرة . وكان يبنى كذلك بمداميك من الآجر القائم على سيفه ، بالتبادل مع مداميك من الآجر الموضوع على سطحه (لوحة ١٦ - ٦)^(٣) .

(١) سنذكر فيما يأتي من كلامنا ، في هذا الباب ، مديلا بكلمة الحبة ، بعض فقرات نقلناها من كتاب بخط اليد ، عنوانه "الرتبة في الحبة" محفوظ بمكتبة الجامعة الفرنسية ببيروت . وهو يحتوي على ١١٤ فصلا ، تبحث عن الأسواق والقواعد المقرضة على كل طائفة من أرباب الحرف . وقد ورد اسم ابن بسام في عنوانه ، مع اسم آخر في مقدمته ، والمرجح عندنا أن مؤلفه غير معروف ، ولا يمكن تعيين الوقت الذي ألف فيه هذا الكتاب على وجه قطعي . وربما يكون قد كتب على عهد الحاكم أو بعض خلفائه ، لورود اسم الخليفة الحاكم فيه مصحوبا بعبارات التمجيل والاحترام ، كما في العبارة الآتية : "مولانا الحاكم أمر بمنع هذا وكذا" .

ولما كان الحاكم ، قد فقد ذكره كل اعتبار بعد سقوط الدولة الفاطمية ، فيكون تأليف الكتاب لم يتعد أواخر عهد الفاطميين . وعلى كل حال ، فإن بعض التفاصيل الواردة فيه تثبت أن طرق البناء ، لبثت معمولا بها زنا طويلا ، وأنه من جهة أخرى ، كانت توجد تعليقات شديدة تقيد صنع الميسات واستعمالها .

(٢) هذه الطريقة تشاهد في البناء البيزنطي ، اذ يكون الدبش أحيانا ملقى بدون نظام في المونة ، وأحيانا يكون موضعا على هيئة سفاية السك ، وهو أسلوب غير موجود في القسطنطينية (راجع «فن البناء عند البيزنطيين» *L'Art de bâtir chez les Byzantins* تأليف Choisy شراذى ص ٨) .

(٣) البناء بمداميك من الطوب ماثلة ٤٥ ، بالطريقة الشائعة عند البيزنطيين لم ترق أبينة القسطنطينية .

(ج) البناء بالمدر (كُل الطين) واللبن — وجدنا في محلين فقط (بالدارين الأولى والسادسة)، بعض أجزاء من الأسس، تدخل في بنائها كُـل الطين أو خليط من الرمل والجير . وإذا حاول الإنسان إنحراجها من محلها، تفتت واستحالت إلى تراب . وربما كانت مخلقة من أبنية قديمة العهد . وهى على كل حال من شواذ الأبنية . وكذلك اللبن، فأننا لم نعث على شئ منه فى منطقة الحفر، وإنما وجدنا بعض قطع من جدران مبنية به فوق جبل يشكر^(١) .

٢ - البناء بالآجر

(١) الآجر — الآجر المستعمل فى القسطاط، أحمر داكن، متجانس، مستوفى الحريق شديد الصلابة، شكله العادى مستطيل^(٢) . ويختلف فى القياس، وهذا بيان ما عثرنا عليه من أقيسه :

طول	عرض	ثخانة	طول	عرض	ثخانة
٠,١٥	٠,٠٦	٠,٠٦	٠,٢١	٠,١٠٥	٠,٠٥٥
٠,١٨	٠,٠٨	٠,٠٤	٠,٢١٥	٠,٠٩٥	٠,٠٤٥
٠,١٨	٠,٠٨٥	٠,٠٤٥	٠,٢٢	٠,١٠	٠,٠٦٥
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤	٠,٢٣	٠,١١	٠,٠٥
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤٥	٠,٢٢٥	٠,١١	٠,٠٦٥
٠,٢٠	٠,٠٩٥	٠,٠٤٥	٠,٢٣	٠,١٠	٠,٠٥
٠,٢٠	٠,٠٩٥	٠,٠٥	٠,٢٣٥	٠,١٠٥	٠,٠٥٥
٠,٢١	٠,٠٩	٠,٠٥	٠,٢٤	٠,١٠٥	٠,٠٤٥
٠,٢١	٠,٠٩٥	٠,٠٥٥	٠,٢٦	٠,١٢	٠,٠٦٥
٠,٢١	٠,٠٩٥	٠,٠٦	٠,٢٦	٠,١٣	٠,٠٨

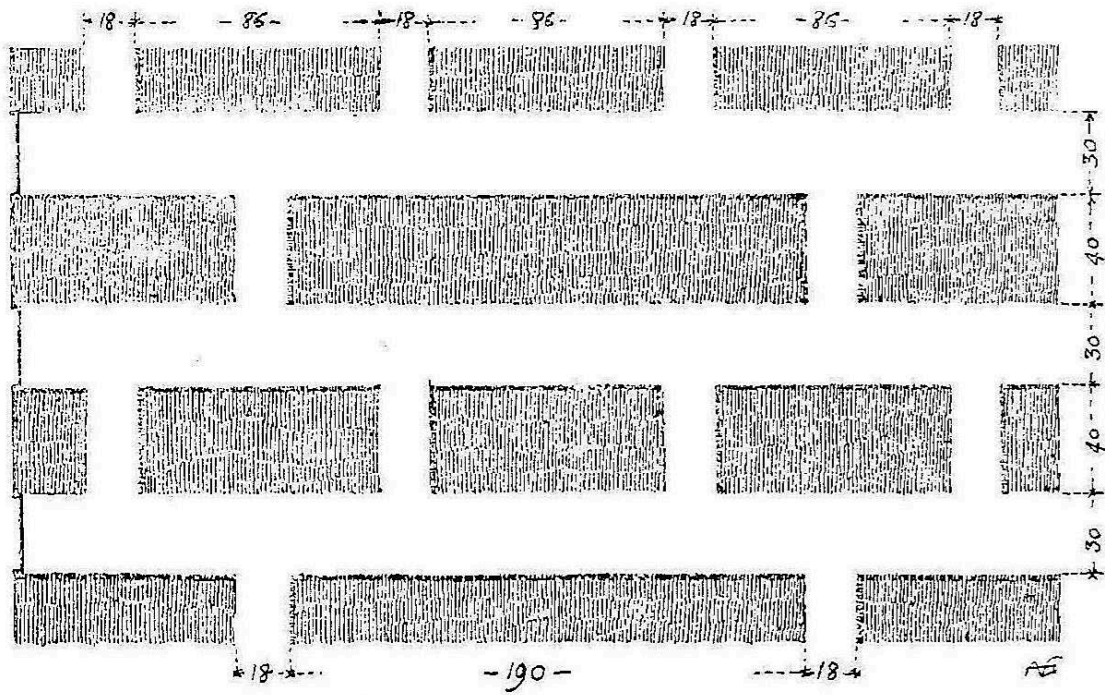
(١) إذا جازلنا أن نفرض أن العرب فى مبانيهم الأولى لم يخذوا غير اللبن، فإن وجوده فى بعض الجهات، لا يؤدى إلى أى استدلال تاريخى، ولا يجعلنا نقول عن البناء المشيد به أنه من عهد الفتح . ومن المحقق أن مصر ما زالت إلى الآن تشيد فيها أبنية الفقراء بالطوب الخفيف فى الشمس .

(٢) لم يكن المصريون فى عهدهم القديم يحرقون الطين، إلا فى أحوال مخصوصة، فى مثل بناى قنطرة مدينة أبو وهىكل مريت بالكرك، وسفل الجدار المجاور لبركة ... (راجع — « فن البناء عند المصريين » لشواذى ص ١١) . Choisy. *L'Art de bâtir chez les Egyptiens*, p. 11. وعلى العكس من ذلك، كانت الأبنية تشيد فى العراق على توالى الأزمان، بالآجر من صف جيد جدا (راجع Ninive et l'Assyrie I, 226 « نينوى وأشور ») تأليف Place بلاس .

وكان الآجر يستعمل فى العراق مربعا . أما فى مصر القديمة فإنه كان مستطيلا . ومن أقيسه الشائعة ما هو ٠,٢٢ × ٠,١١ × ٠,١٤ (راجع الأركولوجيا المصرية، *Archéologie égyptienne* تأليف ماسيرو، ص ١٠) . وهوىذاته القياس المشاهد فى القسطاط مع تقارب فى الثخانة . وعلى ذلك، يكون الآجر من حيث شكله الحالى والطريقة التى يتق بها (راجع فيما بعد ب)، من التقاليد المحلية الباقية للآن، وبين المنظر العام لاطلال القسطاط وأبنية العراق شبه واضح (راجع على الخصوص « بعثة إلى بلاد دجلة والفرات »، *Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet* III & Pl. XVI, XXXI, XXXII, XXXIV, etc.) تأليف Sarre-Herzfeld.

ومن المؤكد أن الأمثلة الموجودة لا تجمع كل هذه الأقيسة ، لأن الفروق الظاهرة فيها ناشئة عن ظروف خاصة مذكورها كيفية صنعها . والنسب في الآجر أن يكون مقاسه : $0,215 \times 0,095$ ويلاحظ أن $0,213$ هو ثلث $0,64$ أعني طول الذراع الذي كان يستعمله البناءون في القسطاط على ما تقدم بيانه ^(١) .

(ب) نظام البناء — جرت العادة بأن يوضع الآجر مداميك أفقية متبادلة : مداميك بالطول و مداميك بالعرض . وبهذه الكيفية تتقاطع اللحامات على شكل منتظم (شكل ٣٥) . وكذلك الحال في صفحتي الجدار ، فكان الجدار يتكون من كل متجانسة شديدة القوة بالرغم من قلة محتاتها .



(شكل ٣٥)

- (١) على أن ملحوظاتنا — ونكرر ذلك — لا تكفي مطلقاً لأن تؤكد هذه البيانات .
- (٢) يمكن الوقوف ، من راقع المقاس ، على أن كل خمس طوباء ، لو أضيف إليها خمسة لحامات ، تساوي في المتوسط ٣٥ سنتيمتراً ، لأن اللحامات الأفقية قياسها ٣ سنتيمترات ، واللحامات الرأسية ١٨ ملليمترًا . والطوب ثخانة ٥ سنتيمترات . وفي الجامع الطولوني ، كل خمس طوباء ، اذا ضمت الى خمسة لحامات ، تساوي ٣٦ سنتيمتراً ، من الطوب الذي ثخانه في المتوسط ٥ ملليمترًا . وطريقة البناء في الخاتين متشابهة . وهي على عكس الطريقة البيزنطية ، لأن اللحام فيها أكثر ثخانة من الطوب .
- (٣) وقد أشار القلقشندي الى العناية بأبنية القسطاط ، فقال : « وكان أكثر بنيانه بالآجر المحكوك والجبس ، من أرمق بناء وأمكنه ، وآثاره الباقية تشهد له بذلك . (القلقشندي ج ٣ ص ٣٣٨) »

(ج) المون - يوجد شيء من التترع في تركيب المون، والنماذج التي استخرجناها من الحفر، تنحصر في التراكيب الآتية^(١) :

١ - مونة الطين، ومونة الطين والجير : وتستخدمان في المباني الحقبية .

٢ - مونة الجير والرمل بنسبة جزأين من الجير وجزء من الرمل، أو جزأين متساويين من الجير والرمل . وفي الرمل (رمل صوان وحصى رفيع) كمية من جبس بللورى الشكل .

٣ - مونة الجير والقصرمل، تؤلف من الجير، والقصرمل، والفحم الناعم، بنسبة جزأين من الجير وجزء من القصرمل والفحم^(٢) .

٤ - الحمرة . وهي تتركب من جزأين متساويين من الجير والآجر المسحوق^(٣) (الاسطل) . وتشاهد في تركيبها قطع من الجير لم تطفأ . وهي دليل، على أنها لم تغربل . وليس الأسطل من نوع واحد، بل أن بعضه مسحوق خشن جيد الحريق، والبعض الآخر مسحوق ناعم محروق حرقا خفيفا .

٥ - وهناك مون، خلط فيها الجبس بالجير على نسب مختلفة، ومون من الجبس النخالص والجير النخالص .

وهذه المون على اختلاف أنواعها، لم تستعمل لغرض خاص . أما الجبس فما كان يستعمل في الأسس، ولا في المحال المعدة لجريان المياه التي كانوا يستعملون فيها الحمرة ومونة الجير والقصرمل .

(د) اللحات واللباض - نرى في الشكل ٣٥ واللوحة ١٦ - ٧ قطعة من إحدى اللحات، لحاماتها الأفقية أعرض من اللحات الرأسية . والظاهر أنه عند الانتهاء من البناء

(١) نحن مدينون لجناب ميرزا . لوکاس مدير العمل الکباوى بتليل هذه النماذج المختلفة، ففكر رشكرنا بجنابه .

(٢) والمتوسط أربعة رماد من رماد الاتاتين وما يشاكله رماد واثنين جير مطفى ودورته حمة رماد واثنين جير (نهاية الرتبة في طلب الحبة لابن بسام) .

(٣) اخلط الجيد الذى محمد طاقته خمس عيارات جير مطفى بالماء . العذب وعيار واحد منها اسطال مسحوق من الطوب العتيق . (الكتاب السابق - باب ٦٣)

وقد كان تركيب هذه المونة المائية معروفا مستعملا في كل العصور، وقد رآه مسيو مورجان مستعملا كثيرا في البنايات الساسانية بالعراق (راجع «بعثة علمية

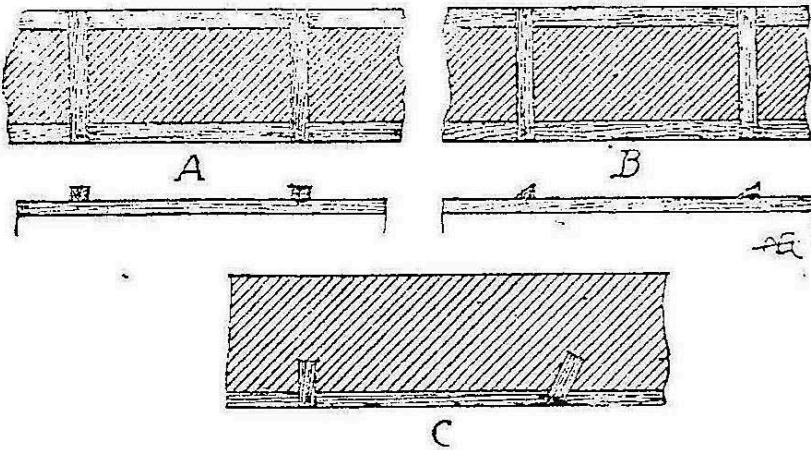
ببلاد فارس» . *Mission scientifique en Perse*, II, 340)

تحت مواضع اللحام، أفقية ورأسية، بمونة من الجبس . أدخلت فيها كمية كبيرة من الجير . وهذا اللحام بارز مليمترًا أو اثنين عن سطح الآجر، بهيئة خطوط بيضاء على أرض حمراء داكنة^(١) .

ويؤخذ من اتقان العمل في هذه القطعة، أنها نالت عناية خاصة، لأن البقايا التي وجدت منها قليلة . ومن الجائز، أن تكون المونة سقطت من مواضع اللحام في باقي الواجهة . ويحتمل أنهم كانوا يكتفون في الأبنية العادية بكحالة الجدار أول بأول بلحام لم يخدم كلما علت المباني . وكانوا دائماً يتركون الآجر على الطريق ظاهراً دون أن يكسوه بالبياض^(٢) .

أما في داخل الدور ، فانهم كانوا يبيضون الجدران بالجير الخالص ، والجير المخلوط بالرمل ، والجير المخلوط بالجبس . وقد يضيفون اليه التبن . وأما الطين المخلوط بالتبن ، فما كان يستعمل إلا في بيوت الفقراء .

(هـ) القوائم الحجرية — لاحظنا أنهم في بعض الاحيان كانوا يدخلون في بناء الأساس مداميك من الآجر القائم على سيفه ، لتزيد قوة مقاومته للضغط الواقع عليه . ومثل هذا الغرض



(شكل ٣٦)

أيضاً، كانوا يجعلون داخل البناء الذي يشيدونه بالآجر قوائم من الحجر، وهي تشاهد بصفة خصوصية في بناء الأكتاف لما يكون قطاعها صغيراً ويحتاج لمثل هذه التقوية ، فكانوا يضعون القوائم وضعاً رأسياً في وسط الكتف ويبنون عليه بالآجر

(١) استمر العمل بمثل هذه الطريقة في العراق ، في الأبنية الحديثة ببغداد وضواحيها راجع «بعثة في العراق» *Mission en Mésopotamie* تأليف ماسينيون ج ٢ لوحة ٧ وما بعدها و«فن البناء ببغداد» *Die Baukunst in Bagdad* تأليف O. Reuther شكل ٨٥ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٢ الخ والحمامات في بيوت رشيد التي ترجع الى القرن الثامن عشر، ناصعة البياض ، وبارزة بروزاً خفيفاً (راجع تقرير هرتس عن مأموريته في رشيد، في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية، الكراسة الثالثة عشر، سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما بعدها) .

(٢) الظاهر أن القاعدة المعمول بها في الأصل كانت ترك الآجر عارياً . وروى أن أول تربة وضع عليها البياض تربة ابراهيم بن صالح المنعرق في سنة ١٦٥ هجرية (٧٨١ ميلادية) .

من جهاته الأربع (راجع ، على الخصوص ، اللوحة ٩) . وقد اتخذوه في بناء الأكتاف بفتحات الأواوين ، وفي الجدران الممتدة لتقويتها . فكانوا يضعون بين الآجر عدة قوائم من الحجارة ، متباعدة عن بعضها البعض (راجع اللوحة ١٥-٢ و ١٦-١ و ٢ و ٣) .

ولم يصادفنا غير مثال واحد من هذه القوائم الحجرية ، موضوعا وضعافقيا ، كما هو شائع في جهات أخرى (لوحة ١٦ رقم ٥) ^(١) .

(و) الأربطة — مما اصطلاح عليه منذ القدم ولا زال شائعا في بلاد الشرق ، ربط الجدران التي تشيد بالآجر بأخشاب توضع وضعافقيا كما يرى في الكرويكات (شكل ٣٦) .

والمعتاد في الحالة البسيطة (C) أن تكون الأخشاب ذات قطاع مربع وتدمج في البناء بعلو طوبة واحدة ثم تربط بمسامير من حديد تدق في خواير قائمة أو منحرفة تدخل في جنب الجدار . وقد وجدنا من هذا القبيل أمثلة عديدة أحكم صنعها ، إذ جعلت من مدادتين أفقيتين توضعان متقابلتين على صفحتي البناء بارتفاع واحد . ثم يوصل بينهما بعوارض متحدة معهما في القطاع (A) أو تكون من قطاع مثلث (B) يتخذ من مربعة من الخشب مشقوقة على اتجاه وتر قطاعها ^(٢) . ولم يبق الآن من أثر هذه الأربطة سوى الموضع الذي كانت تشغله في بعض الأبنية المشيدة بالآجر . وربما تكون تزعزعت من محلها أو استعالت إلى تراب . وفي بعض التجاويف ، وجدت قطع من الأخشاب عرف أنها من خشب الصنط (acacia) ^(٣) . على أن كثرة وجود هذه الأربطة لا تؤخذ دليلا على تعميمها ، إذ وجدنا جدران كثيرة خالية منها ^(٤) .

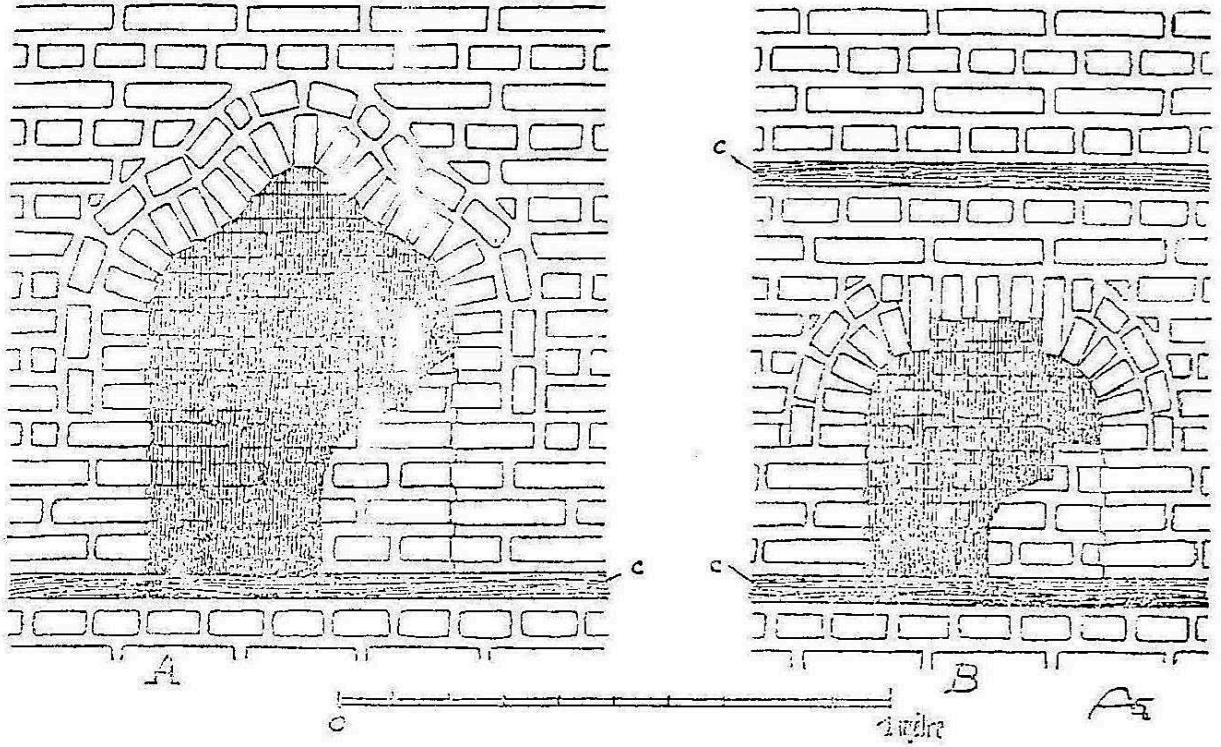
(١) هذه الطريقة التي جمع فيها بين الحجر والآجر ، يظهر أنها وردت على البلاد من الشام (من المشتى مثلا) ، وربما كان دخولها في مصر سابقا على فتح العرب . راجع (البناء بالديش أفقيا وبالحجر رأسيا) . « استكشافات في سقارة » *Explorations at Saqqara* ، تأليف Quibell لوحة ٣٠ ومع ذلك فأننا لم نقف على نماذج من الحجر الموضوع وضعافقيا ، بقواعد الجدران المبنية بالطوب .

(٢) وتشاهد الأربطة الخشبية أيضا في أبنية ترواده وميسين وفي البيوت الصغيرة أو العيش في بلاد اليونان ومصر . وفي المباني العظيمة الساسانية بالعراق ، ترى الأربطة مصنوعة بدقة زائدة والأخشاب مجموعة ببعضها جمعا محكما (المدائن) . وكانت الأحزمة الخشبية تتخذ حتى في الأبنية المشيدة بالحجر . راجع « بعشة العراق » لماسينيون الجزء الأول لوحة ١٨ ، (Massignou, Mission en Mésopotamie)

(٣) كانت الغابات ، في آخر عهد الفاطميين بصعيد مصر ، يكثر فيها الصنط ، وكانت تخرج ثمرا يسمنه القرظ (راجع رسالة المرحوم على بك بهجت ، باللغة الفرنسية ، عن الغابات في مصر وأدائها في القرون المتوسطة ، التي قدمها للجمع المصري في سنة ١٩٠٠)

(٤) لم يعثر في جامع ابن طولون على أثر أربطة من خشب .

(هـ) العقود والأقبية والصفف - العقود والأقبية التي نقلنا صورها في الأشكال وجدناها في الجارير، والبيارات . وسنتكلم عليها عند ذكر هذه المرافق . ولا بد أن عقود الدور وأقبيتها كانت تنبى على هذا النمط . أما الصفف فإنها كانت تتخذ بكثرة في الجدران . وقد رسمنا منها



(شكل ٣٧)

(شكل ٣٨)

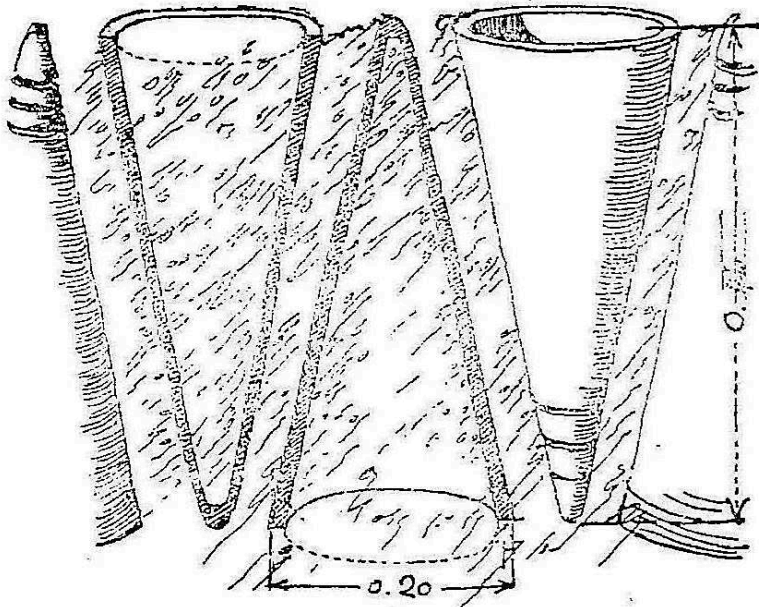
نموذجين نقلناهما من الدار الثانية (الشكلان ٣٧ و ٣٨) . وفي (الشكل ٣٧) نرى العقد الثلاثي القصوص بالقسم العلوى واضحا جدا . وكانوا يحدثون مثل هذا الشكل بالجبس والأبنية كما هو مبين في (الشكل ٣٨) .

٣ - التبليط

في المباني المتقنة كانوا يفرشون الحيطان، وبواطن الحيطان، وأرض الغرف، ببلاط من الحجر المستطيل بعرض ٢٠ الى ٣٠ سنتيمترا، وطول ٥٠ الى ٨٠ سنتيمترا، ومتوسط نخانة من ٥ الى ٦ سنتيمترات . وقد تختلف هذه الأقيسة في الأرضية الواحدة بشكل واضح .

(١) هذه الصفف تشابه الصفف التي اكتشفها سيوهرزفيلد في دور سامرا . راجع (E. Herzfeld, Vorläufiger Bericht) لوحة ١١ و ١٢

والمحتاد أن يكون التليط بطريقة وضع البلاط متواترا (دالات) . وهي تلائم البلاط الغير المنتظم^(١) . وكانوا يبلطون أيضا بترايع مختلفة الشكل والقياس، مرصوة على غير نظام، أو على شكل فيفساء مؤلفة من قطع صغيرة من الحجر الأبيض . والبلاط كله يلصق بمونة



(شكل ٣٩)

الحير والقصرمل أو الحجرة، فيوضع على لياسة من هذه المونة سمكها أربعة أو خمسة سنتيمترات . ولما تكون أرض الدار بها ردم، كانوا يحتاطون لمنع هبوطها من كبس الأتربة، بأن يضعوا في الردم قواديس من الفخار الغليظ، تملأ بالتراب فتتكون منها تحت سطح الأرض عدة مناطق ثابتة على قدر عدد

القواديس، لا يمكن أن يطرأ عليها أى تغير . وقد رسمنا في الشكل ٣٩ (الدار السادسة)، نوعا من القواديس المخروطية الشكل، رصت بالتناوب، مرة قائمة على رأسها، ومرة على قاعدتها . وفي بعض المواضع، استبدلت هذه القواديس بمواسير اسطوانية، متراسة، الواحدة فوق الأخرى .

٢ - المعدات الصحية

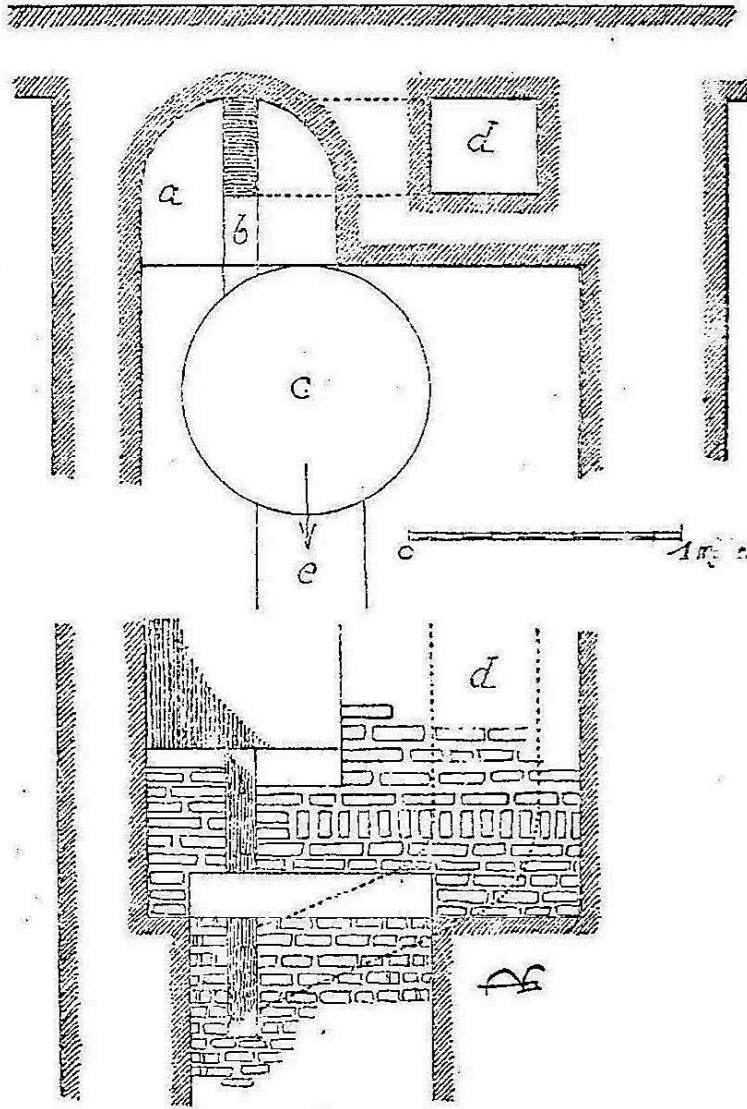
يستدل من كثرة المعدات الصحية وانتشارها على زيادة العناية بأمور الصحة العمومية . لأننا لم نر دارا خلت من وجود مجاريير للمراحيض، متسلطة على بيارة، تنصرف إليها أيضا مياه الدار .

(١) المراحيض - (لوحة ١٧ رقم ١ و ٢) كانت تتخذ في محال صغيرة مستطيلة . وينبنى الكرسى بترايع حجرية، وتجعل له فتحة متصلة بفرع مسلط على المجرور . وفي الشكل ٤

(١) وجد في جامع ابن طولون بلاط مركب بهذه الطريقة، وفيه عدم الانتظام المشاهد في تليط القسطاط . والبلاط الموجود الآن من الرسم نفسه ولكنه أكثر انتظاما ويرجع عهده الى الاصلاحات الأخيرة .

(٢) لا يجوز لأحد إخراج جدارداره الى الممر المهدود . وكذلك كلما فيه أذية وإضرار على السالكين كجارى الأوساخ الخارجة من الدار في زمن الصيف الى وسط الطريق فإنه يكلف بسده في الصيف ويحفر له في داره حفرة يجمع فيها (الحسبة، الباب الثانى) وقد رأينا هذه القواعد متبعة في دور القسطاط .

- (لوحة ١٧ رقم ٢)، يرى كسبى المرحاض فى طاقة غير نافذة (دخلة) مرموز لها بحرف «
- وينصرف مجروره « فى البيرة المساعدة، ومنها تمر المواد من المجرور « الى البيرة العمومية . وفى «
- قناة رأسية (قصة) نازلة من الطبقة العلوية من الدار .



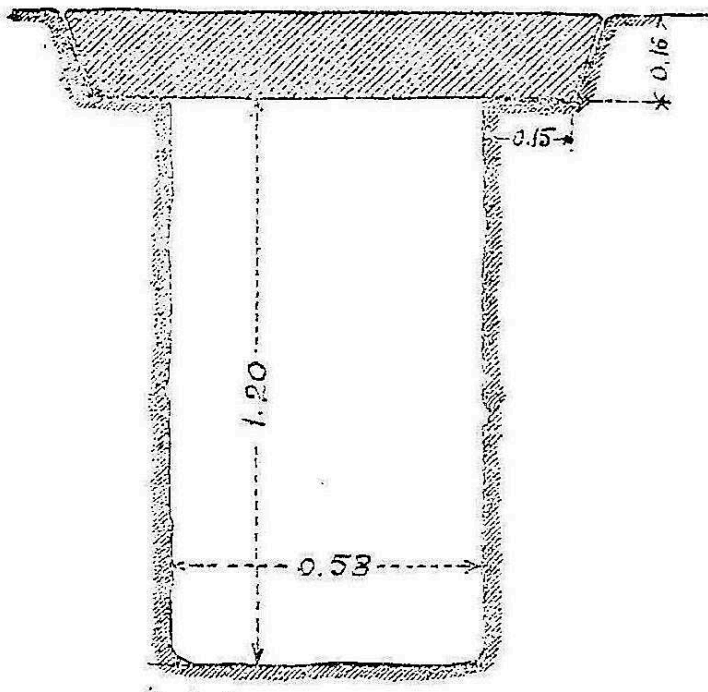
(شكل ١٠)

(١) قلنا فيما سبق، أن هذه القنوات قطاعها أكبر مما يلزم لتصريف مياه الأمطار وحدها من السطوح . على أنه مهما كان الغرض منها ، فإن ذلك لا ينفى إمكان تصريف المياه التى تجتمع من الأمطار فى المجرور . ويظهر أنهم كانوا يتساهلون فى ترك مياه الأمطار تتحد إلى الشارع ، كما كان يحصل عندنا فى المدن فى العصور المتوسطة . قال صاحب الحسبة : انه « قد يجعل أبواب العقارات ميازيب يقبلون فيها ما يستعملونه من الماء فى طول الزمان ويحفرون تحتها حفرا تجمع تلك المياه فيه وليس لهم أن يفعلوا ذلك فى طرقات المسلمين الا فى وقت المطر فان الله تعالى قال "فان كان بكم أذى من مطر" فاذا لم يكن مطر فليس لهم أذية للناس فى طريقهم ، فان هذه ربما يسقط فيها الضرر والنافل والمعرض والغريب ، اذا عبر فى الليل . وفى ذلك إثم كبير ومضرة وربما وقع من هذه المياه على ثياب الناس شئ ، فينجسها حتى لا يكون منه سبب " نهاية الزينة فى طلب الحسبة ، لابن بسام الباب ٨٥

ويؤخذ من ذلك ، ان مياه الأمطار دون غيرها هى التى كان يباح صرفها فى الشارع " . والغريب ، أنهم يستندون فى ذلك على قوله تعالى "وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو يفتلون عن أسلحتهم وأمتعتهم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتهم وخذوا حذركم" . «سورة النساء» .

وهذا تصرف جائز فى التأويل ، اعتمد فيه على بَرَجَز من الآية الشريفة . واذا قورن هذا المثال بغيره من تأويلات الفاطميين عرف الزمان الذى وضع فيه كتاب الحسبة .

(ب) المجارير - وجدنا بعضها منقورا في الصخر بارتفاعات مختلفة، ويمكن حصرها في نوعين : مجارير مغطاة بالمجاديل، ومجارير معقودة بالآجر .

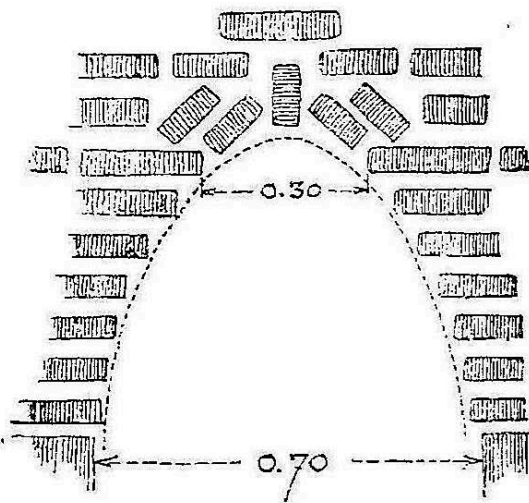


(شكل ٤١)

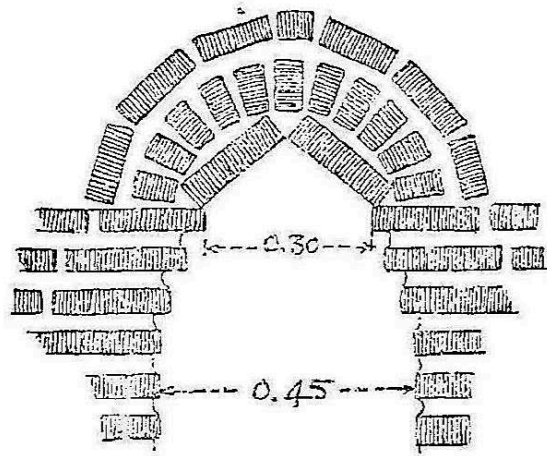
١ - المجارير المغطاة بالمجاديل -
في (الشكل ٤١) غطاء المجرور مركب على
افريز منقور في الصخر، وقد لا يكون
هناك افريز .

٢ - المجارير المعقودة - (راجع
اللوحة ١٨ رقم ١ و ٢ و ٣) لم يوجد
قطاع القبو كامل الانتظام أبداً ، ولكنه
يقرب على العموم من هيئة العقد ذي الطيات
(عقد جنازير) . ومن الأشكال ٤٢ و ٤٣

و ٤٤ تعلم الطرق المتنوعة التي كان يبنى بها . والغرض من ذلك تجنب استعمال العبوات الخشبية .
وإذا بنيت مداميك منبعثة من المركز فإنهم كانوا يتمكنون بالنظر لصغر حجم القبو من وضعه على



(شكل ٤٢)

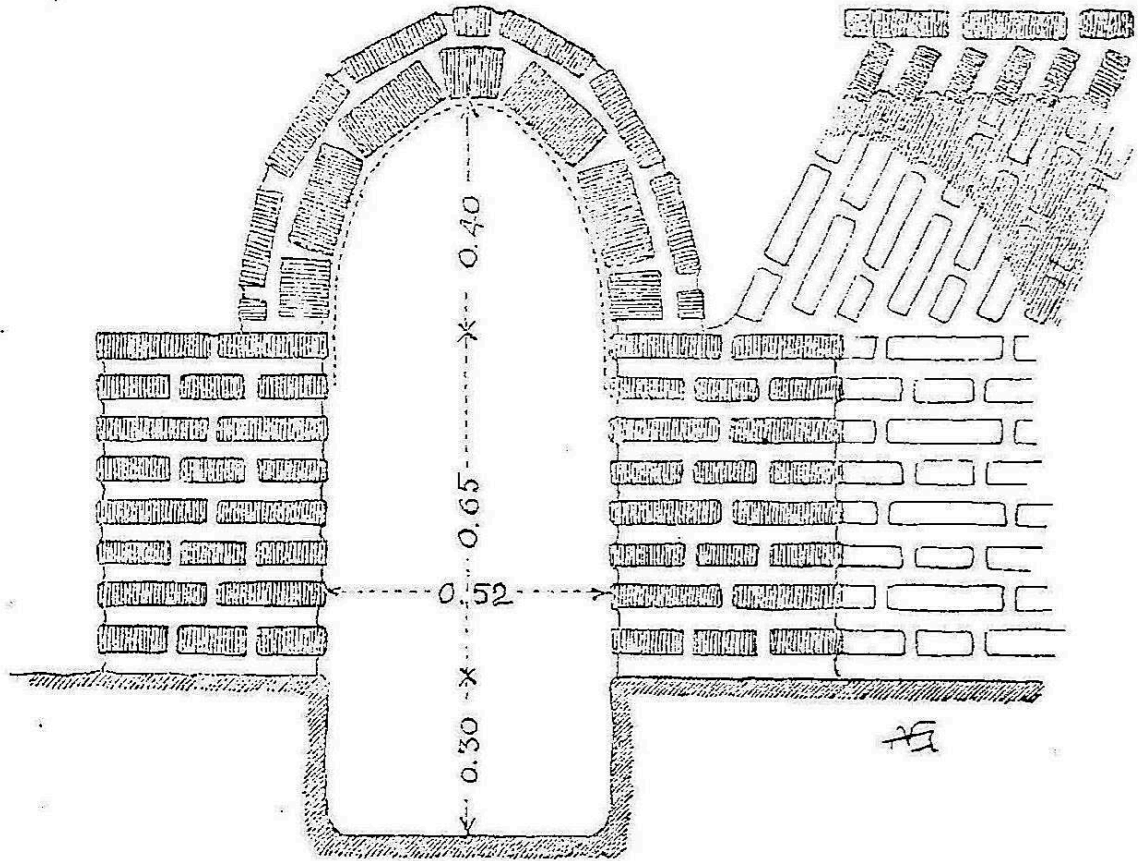


(شكل ٤٣)

عبوة من الطين، تزال عنه بعد ما يتم بناؤه . وفي (الشكل ٤٢) بنوا جانبي العقد بمداميك -
أفقية حتى كاد الجنبان يلتقيان عند القمة حيث أبقوا نحو ثلاثين سنتيمتراً خالياً . وهو محل

غلق (مفتاح) العقد . وتوصلوا الى ذلك بوضع الآجر مائلا بالموازنة بينه من الجهتين فوق آخر مدماك أفقى .

وقد أحكم العمل بهذه الطريقة فى الشكل رقم ٤٣ ، وفى الشكل ٤٤ ، ظهرت الطريقة الشائعة وهى بناء العقد بصنج مستقلة مائلة . وكانوا اذا أتموا تركيب مدماك وجه العقد ،

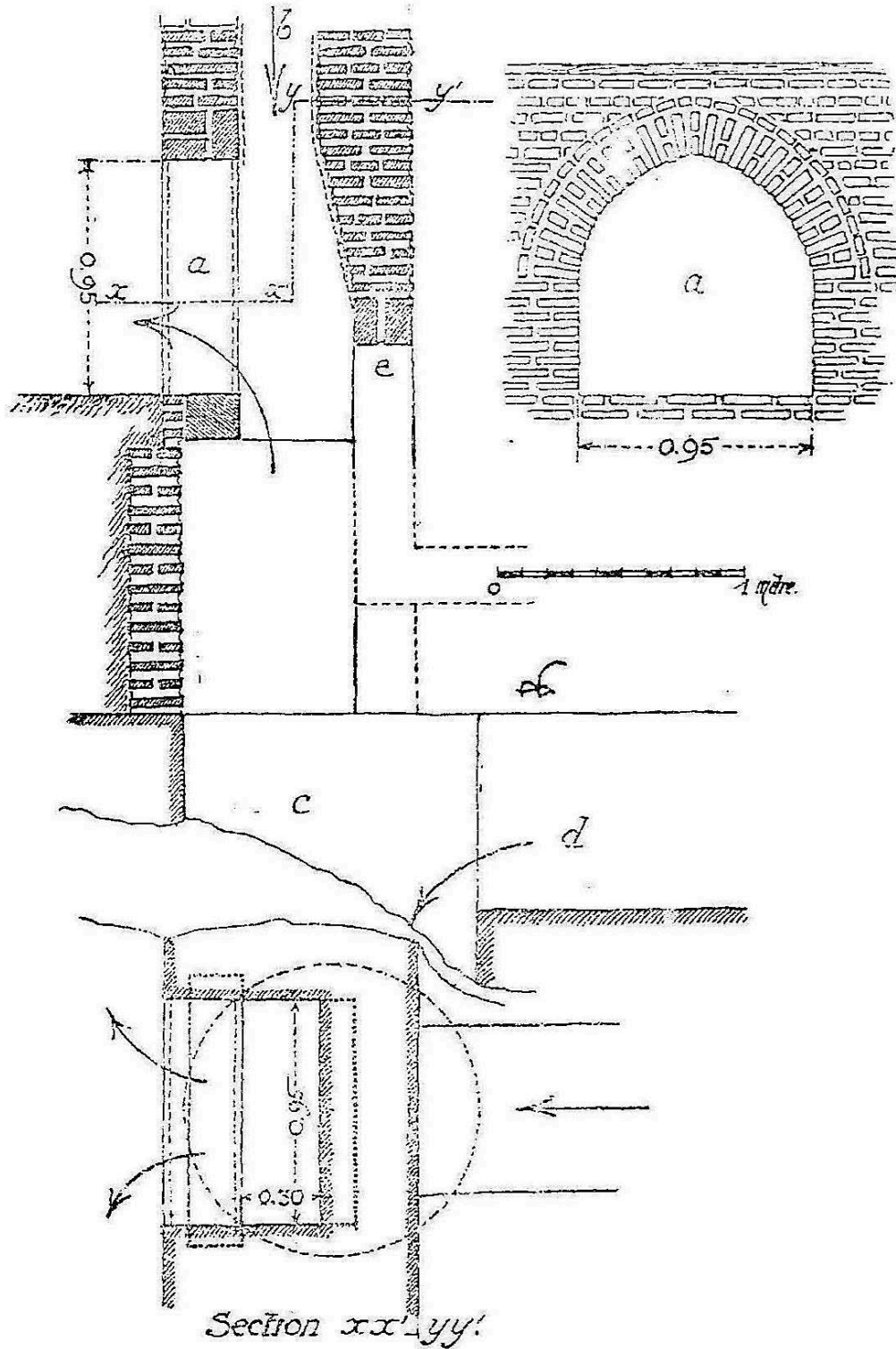


(شكل ٤٤)

وضعوا المداميك الأخرى، ولم يحتاجوا الى ما تركز عليه . وكان الآجر يوضع على سطحه ويثبت فى محله باللصق بالمونة . وهذا اللصق كان كافيا لتركيب القبو بوضع الآجر صنجا رأسية^(١) .

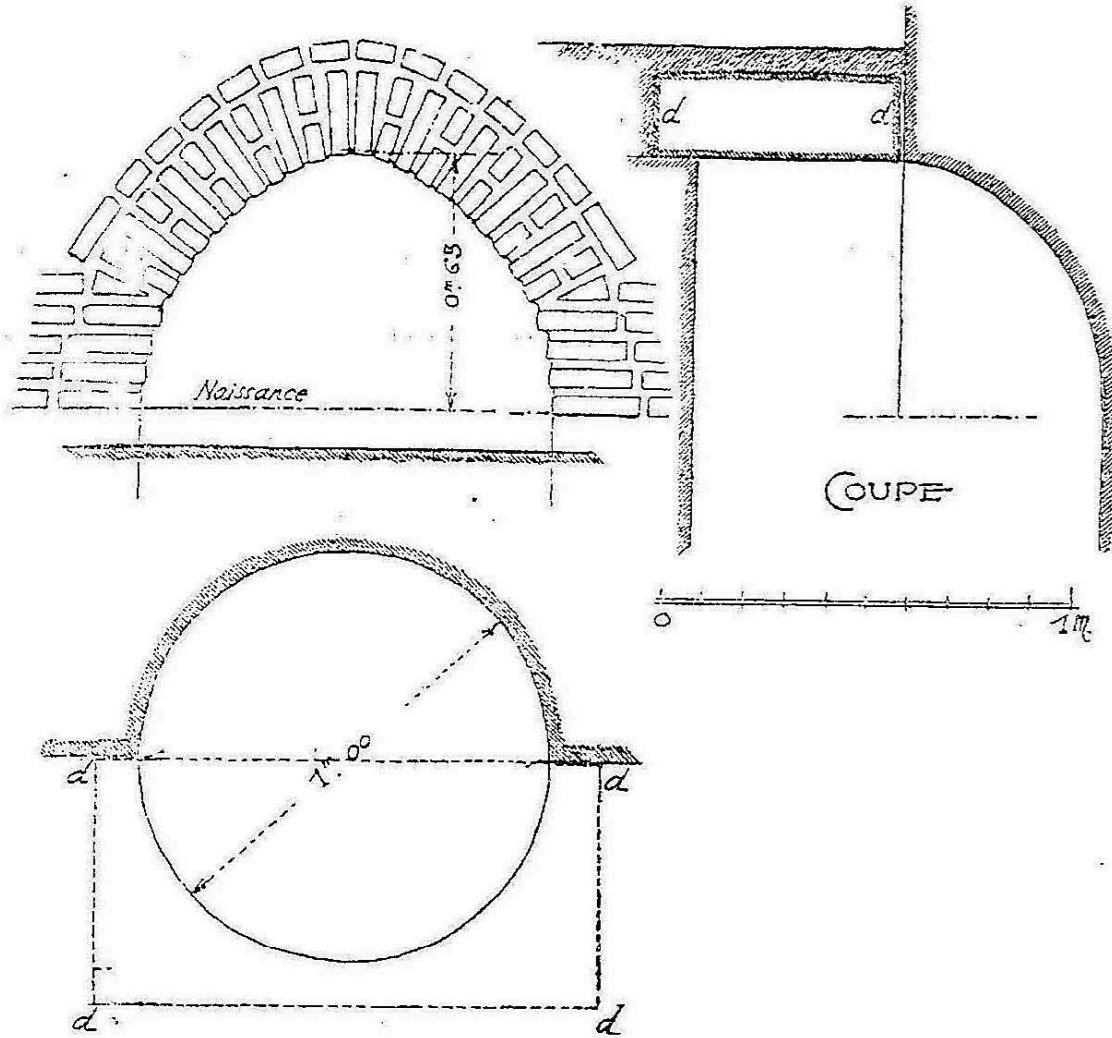
(١) هذه الطرق كانت معروفة فى مصر فى العهد القديم ، ففى كرم أبو مينا حيث اعتادوا البناء بالحجر ، وجد الحجر مستعملا أيضا فى بناء قبو ، راجع «مدينة بومنا» تأليف كوفان (M. Kaufmann, Die Menastadt 3, 7, 46) وعن بناء الأقبية بصنج مائلة فى الأديرة القبطية راجع «الأنوار المسيحية بوادى النيل» ص ٢٤ وما بعدها لسومرس كلارك (Sommers Clarke, Christian Antiquities in the Nile Valley) . أما الأصل الذى قامت عليه هذه الطرق الصناعية فانه بالعراق (خرزباد) حيث كانت رانجة فى العمارة الساسانية . ويلاحظ بجانب الأبنية ذات الصنج المتوازية (المدائن) الأقبية المبنية بمداميك أفقية حتى غلق العقد ، راجع «بعثة فى العراق» تأليف ماسينيون (Massignon, Mission en Mésopotamie I, Pl. XIII) . وراجع أيضا «قصر الأخضر ومسجده» تأليف مس بل (Miss Bell. Palace and Mosque Ukhaidir. Pl. XIV.)

(ج) البيارات - بيارات الدور عموماً مستديرة • وقطرها في المتوسط ١,٥٠ م وتنتهي إليها عدة قنوات ومجارير • وكذلك القنوات الرأسية (القصبات) المتداخلة في الجدران (شكل ٤٥) • وهذه البيارات تكون دائماً على حافة الشارع يمر عليها جدار الواجهة • وكانوا يجعلون فيها لتسهيل



(شكل ٤٥)

ترحها فتحة بمستوى أرض الطريق أو منخفضة عنها قليلاً ^(١) . وهى فتحة يبلغ عرضها نحو متر تقريباً بنهايتها عقد مبنى بناء محكم، ويجعل عليها لتغطيتها مجدال من الحجر أو بناء بالآجر غير مرتبط بباقي البناء، بحيث يمكن هدمه عند الكسح . وقد نقلنا (الشكل ٤٦) من بارة مبنية

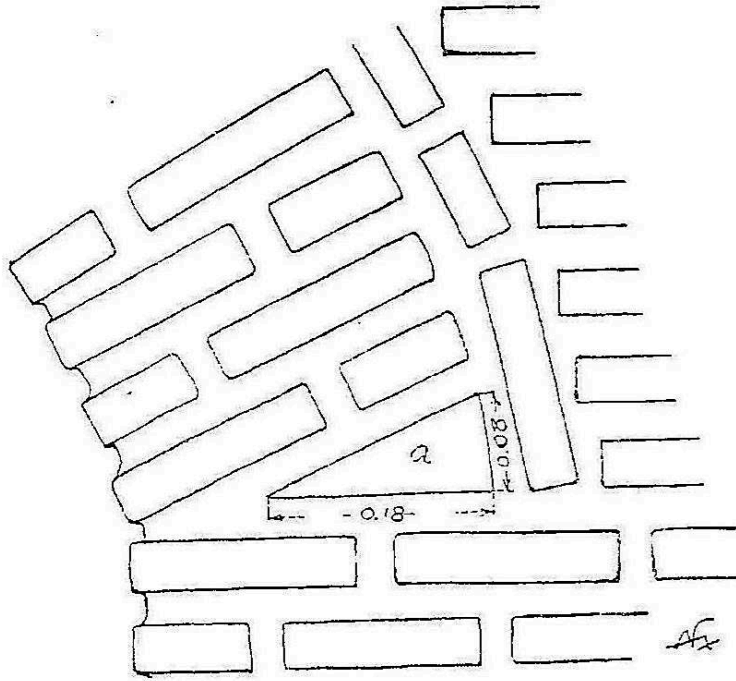


(شكل ٤٦)

بطريقة شاذة، تنتهى بتجويف مسدود بالبلاط . ولم يبق من هذا النوع إلا بعض عقود مبنية بالآجر بفتحات اليارات . وقد بينا فى الأشكال التى أوردناها هنا، بعض تفاصيل بنائها . وقطاعها، اما أن يكون مهموزا (مدببا) أو حيزوميا وسنرى أنهم كانوا فى بعض الأحوال (شكل ٤٦)

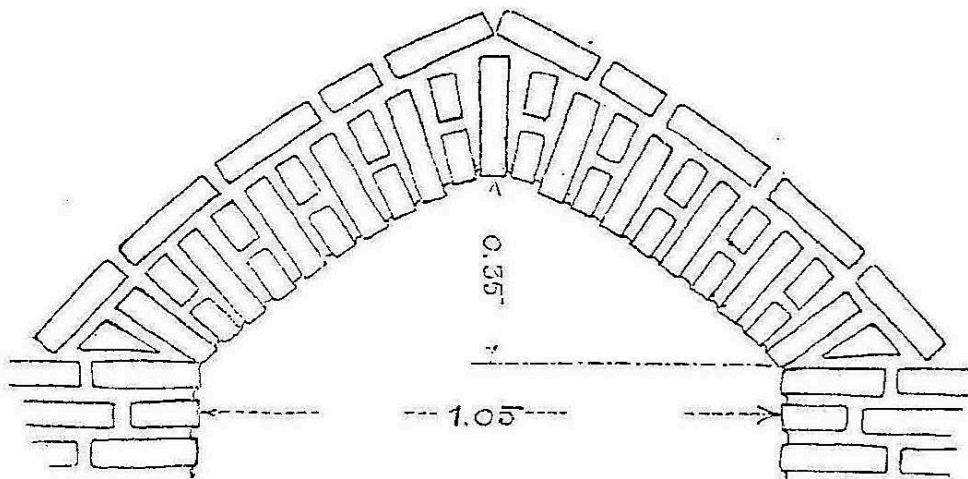
(١) ينبغى «على كساح السواد وحالته» أن يعرف عليهم عرباء، ويأمرهم بأنهم اذا نقلوا السواد الى ظاهر البلد أن يحفروا له حفائر، فاذا نقل اليها يطم عليه حتى تنقطع رائحته فلا يتأذى منه أحد، ويمنعون من نقل ذلك الى الماء، وطرحه فيها أو حوله، ويمنعون أيضا سرقه الطوب والشقاف فى قفف الرماد اذا جابهوه، ويرمونه فى البئر ويدقونه، ويقولون لصاحب البيت : هذه الأرض الجلدة قد بلقنا اليها وهم كاذبون، وفى البئر سماد كثير قد بنى، فيوقف العريف على نفاذه ذلك، وعلى حقيقته بالبحث والحفر، ويكون له نصيب من أجرهم يستعين به على مراعاتهم والطوف عليهم، ويمنعهم أيضا من فتح آبار السام قبل الشرط على الأجرة، لأنهم ربما فتحوا البئر وتغالوا فى الأجرة فان ارتضى صاحب البيت بما يختارونه، وإلا تركوه مفتوحا وانصرفوا عنه فتؤذى الضرورة صاحبه لدخوله تحت ما يحبون، فيمنعون من ذلك ومن فعل أدب (الحبة الباب ٧٨) .

و ٤٧ و ٤٨) يضعون بمبدأ العقد، قطعة من الآجر مثلثة القطاع على هيئة وسادة، الغرض منها أن يحولوا الآجر من اتجاهه العمودي الى منحنى بطن العقد، وأن يظهروا التوازي بين خطوط



(شكل ٤٧)

اللحامات . وهي من الوسائل التي يكثر استعمالها في البناء بالآجر، كلما لزم الحصول على لحامات مستظمة . وهذا وحده يفسر لنا السبب في اتخاذ العقد الحيزومي الذي استبدل فيه المنحنى



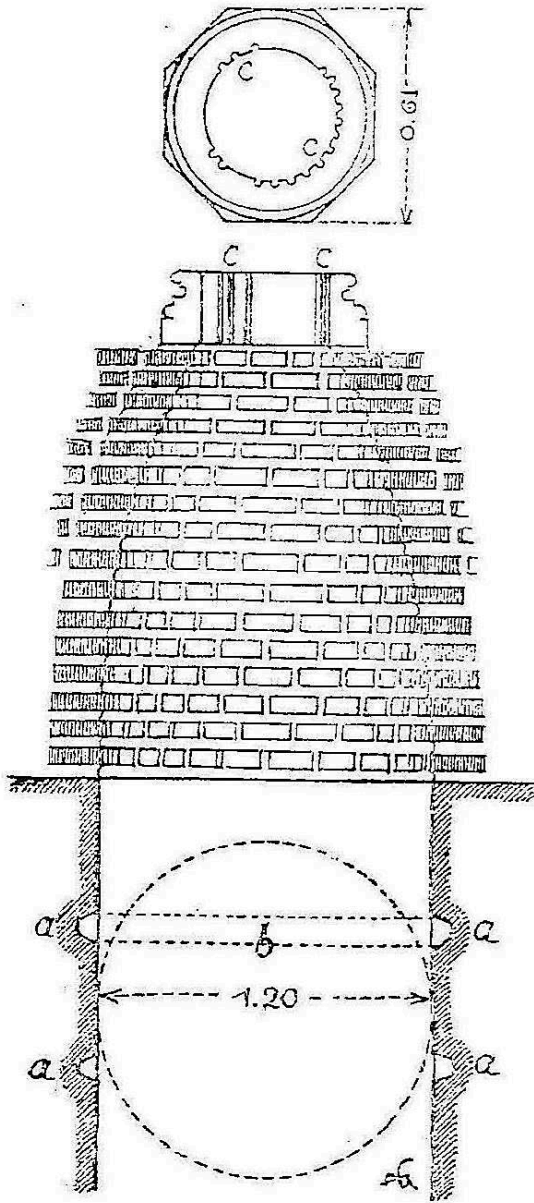
(شكل ٤٨)

بخط يكاد يكون مستقيماً، وقد رسمنا في (الشكل ٤٨)، قطاع قبو وجدناه تحت فسقية نرى فيه انحناء خفيفاً ببطن العقد .

٥ - نظام توزيع الماء

لما وصفنا الدور في الباب الرابع بينا الحّد الذي وصل اليه توزيع المياه من التعقيد، فلا نعود هنا الى تفصيل ذلك . وانما نلقى نظرة على مايتألف منه هذا النظام .

(١) الآبار - الآبار منقورة في الصخر الى الطبقة المائية . ولما كانت هذه الطبقة مأوها أجاج ، ويكثر فيها الملح كلما بعدت عن مجرى النيل ، كانت مياه الشرب يأتى بها السقاؤون من النهر بالقرب وتحفظ في الآبار .



(شكل ٤٩)

وكانوا اذا حفروا بئرا يجعلون في جوانبه نقرا كما في (شكل ٤٩) ، يدخلون فيها عروقا من الخشب ^{الندى} b ، ليسهل النزول في البناء أثناء حفريها أو عند ما يريدون تطهيرها .

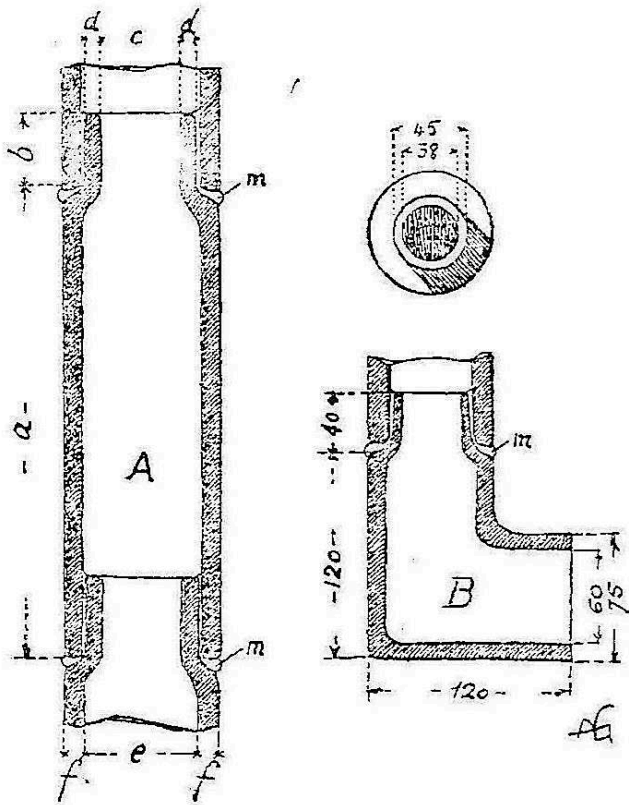
والبئر التي رسمناها مستديرة . وهى من الشكل الأكثر استعمالا ، مغطاة بقبو قطعه ناقص الشكل مبنى بمداميك أفقية من الآجر الموضوع فوق بعضه البعض ، بارزا بالتدرج . والفتحة العليا عليها خرزة مقطوعة من قاعدة قديمة من الرخام ، وفي c تشاهد آثار غائرة أحدثها احتكاك الحبل بجوانب الخرزة من الداخل .

(ب) القنوات - القنوات الفخار تتكوّن من أنابيب أسطوانية موصولة بعضها ببعض بالكيفية المرسومة في (الشكل ٥٠) . وهى تختلف في المقاس ، وقد وجدنا منها ما يأتى :

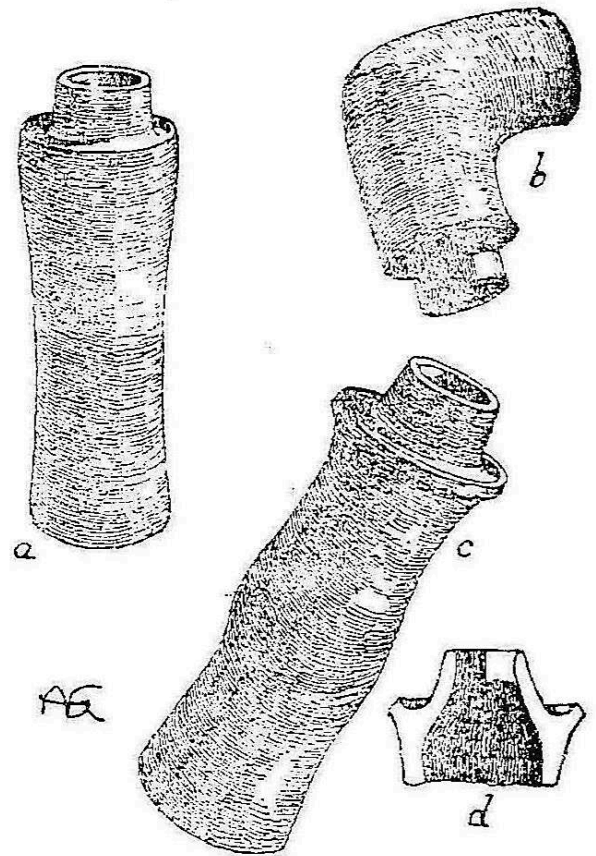
(١) ناصر خسرو، سفرنامه طبع شيفر، ص ١٥٢

ا	ب	ج	د	هـ	و
٠٢٠	٠٠٤	٠٠٦	٠٠٠٨	٠٠٤	٠٠٠٤
٠٢٤	٠٠٥	٠٠٤٥	٠٠١	٠٠٧	٠٠١
٠٢٥	٠٠٦	٠٠٥٥	٠٠٠٨	٠٠٧	٠٠٠٤
٠٢٦	٠٠٥	٠٠٢٨	٠٠٠٥	٠٠٤٧	٠٠٠٧
٠٢٨	٠٠٦	٠٠٥٥	٠٠١	٠٠٨٥	٠٠١

وكانت الأيايب، يربط بعضها ببعض بموتة من الجير والقصرمل أو الحجرة (m من الشكل ٥٠).



(شكل ٥٠)

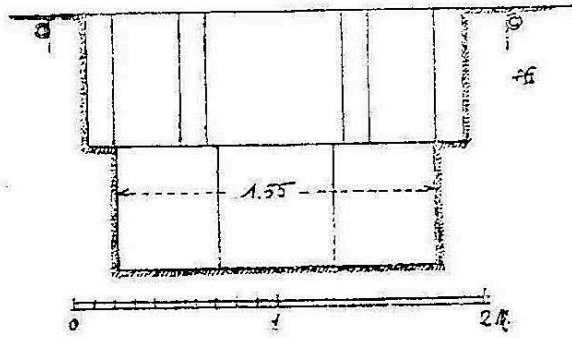
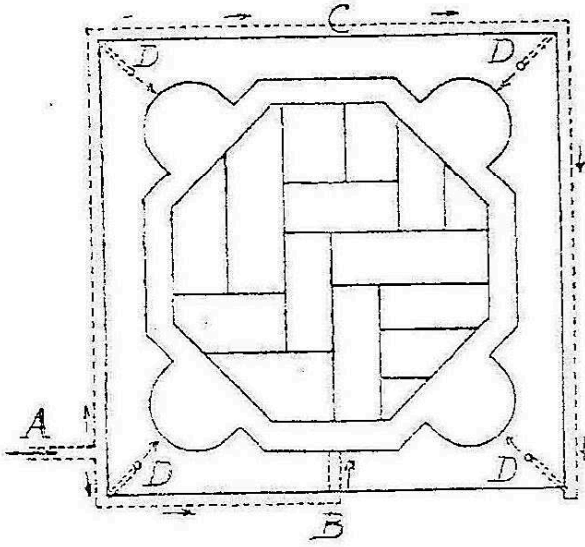


(شكل ٥١)

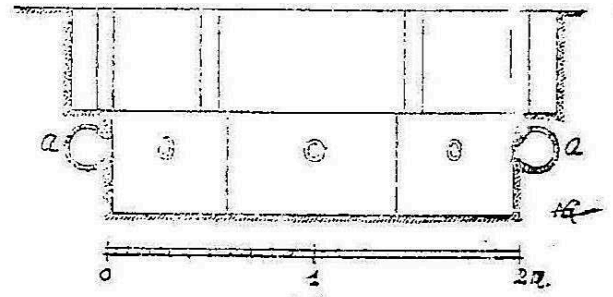
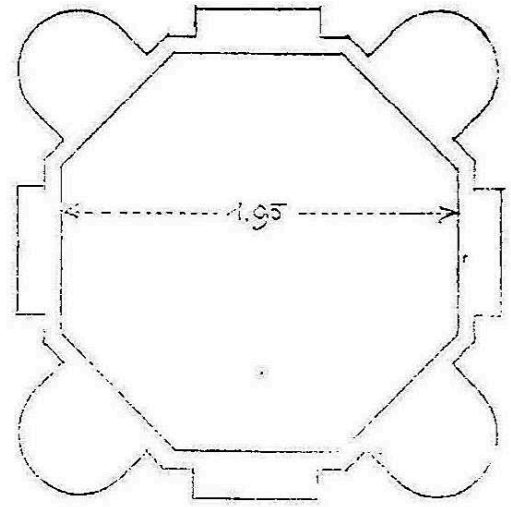
ووجدنا بجانب القطع المستقيمة قطعا من الفخار، على شكل كوع أو حرف T، كانت تستعمل للتفريع والتحويل. (شكل ٥٠ و ٥١).

(ج) الفساقى - فى الحوش، بكل دار مهمة، فسقية مربعة، مبنية بالآجر فوق الصخر. وقد يختلف شكل الفسقية. وهى على وجه العموم مربعة الفتحة، وقاعها منشورى الشكل.

مثنى الزوايا . وهذا الشكل يتغير أحيانا كما في (الشكلين ٥٢ و ٥٣) بما يضاف اليه من التجاويف الاسطوانية والبروزات .



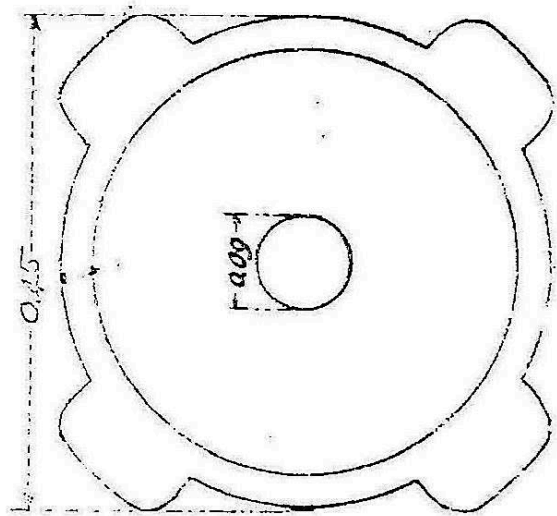
(شكل ٥٢)



(شكل ٥٣)

وتجىء المياه على وجه العموم الى الخوض من قنوات من الفخار في الزوايا أو في الوسط بأحد الجوانب . وتُشاهد في (الشكل ٥٢)، أنابيب صغيرة من النحاس في الزوايا الأربع، وكانت متخذة بصفة ميازيب، يحدد الزوايا تنحدر منها المياه الى حوض .

وكانوا يفرشون بطن الفسقية وحافاتها الأفقية ببلاط كلسي أو ملاط مائي من الجير والقصرمل أو الحمرة .



(شكل ٥٤)

ووجد في بعض الفساقى ، وكذلك في جوانب جوفها المثلث، قواديس من فخار مثبتة (شكل ٥٣)، ربما كانت متخذة كبيوت للأسماء الصغيرة .

(د) أحواض غسيل الأيدي - عثر على عدد من الأحواض من النوع الذي رسمناه في (الشكل ٥٤) . وهو في الغالب متخذ من قطع من الرخام قديمة . وأحيانا من تيجان دورية ولا يزال البعض منها في مواضعه الى الآن، مما لا يجهل شكاً في الغرض الذي اتخذت له (راجع على الخصوص، الدار السابعة مكرر، P من الشكل ٢٧) .

الباب السابع

قطع من الزخارف

جمعت من مواقع الفسطاط، قطع مختلفة من الزخارف المتخذة من الجص التي تكسى بها الجدران أكثرها محلى بنقوش بارزة . وهذه الزخارف ببعضها أثر تلوين .

وقد وجدت بين الأتربة بمعزل عن المباني القائمة . وهي على وجه العموم صغيرة الحجم ، ترجع الى أزمنة مختلفة . ولذلك يغلب على الظن أنها من أبنية هدمت ونقلت في أزمنة مجهولة الى الكيان^(١)، إلا النزر اليسير .

وسنتكلم في هذا الفصل على الزخارف المخلفة من الدور التي اكتشفت . وهي بحكم قياسها، ووزنها، وتشابه بعض القطع التي جمعت من محل واحد بعيدة عن فكرة أنها منقولة من جهات أخرى .

ومع أننا لم نعثر بينها على قطعة واحدة قائمة بمكانها الأصلي من الجدران، إلا أنه أمكننا الاستدلال على الدور المأخوذة منها . ولا بأس من قسمتها الى نوعين :

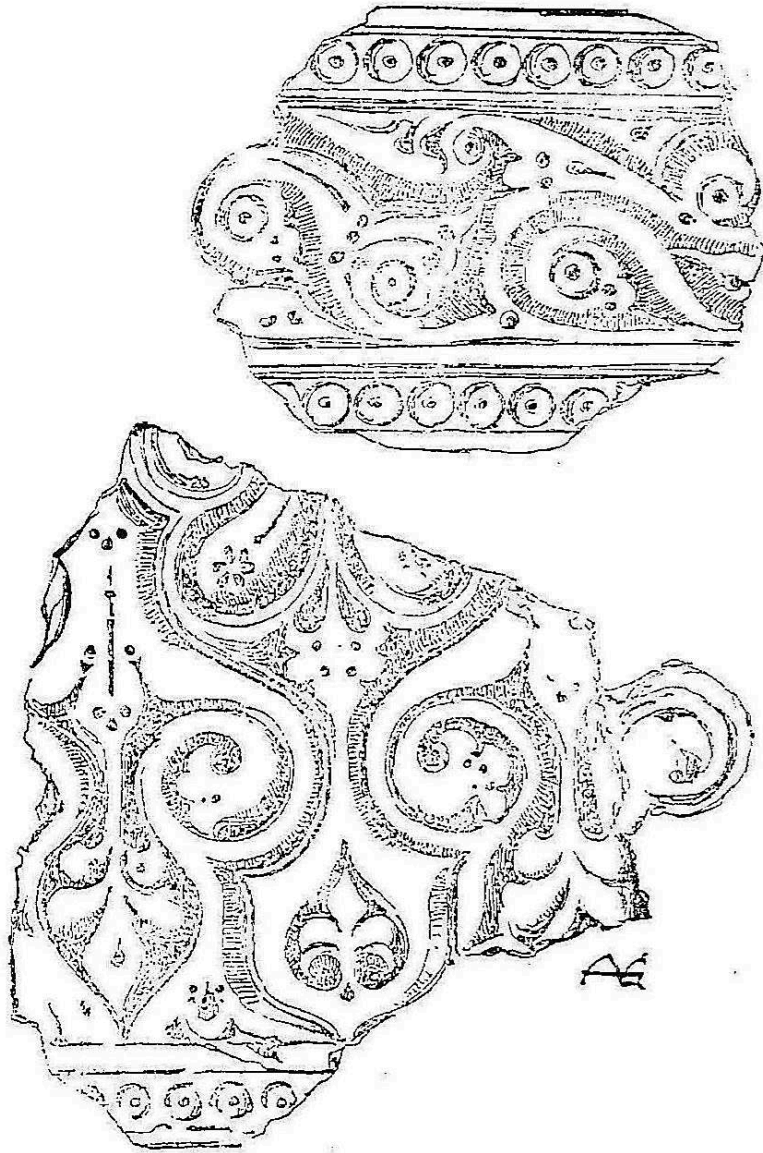
زخارف لم يدخلها غير الجص، وزخارف يتخذ فيها الجص بالآجر .

١ - الكسوة بالجص

رسمنا في (الشكل ٥٥) واللوحة (٢١ ، ٢١) أهم الأمثلة التي تساعد على الفهم من القطع التي اكتشفت الى الآن . وهذه الكسوة مكونة من ألواح، ثخانتها أربعة أو خمسة سنتيمترات من

(١) هذه القطع كلها معروضة بدار الآثار العربية بالقاهرة .

جص مصنوع في قوالب من خشب . وبهذه الطريقة كانوا يصنعون حشوات مستطيلة ،
مختلفة المقاس ، يكسون بها الجدران المبنية بالآجر . والظاهر أن هذه الزخارف كانت حلية
داخل البيوت ، وإن لم تعرف كيفية وضعها الأصلي ، وهل كانت جوانب القيعان كلها مكسوة بها ،
أو كانوا يقتصرون فقط على اتخاذها بقواعد العمد والطرز وغيره^(١) ؟

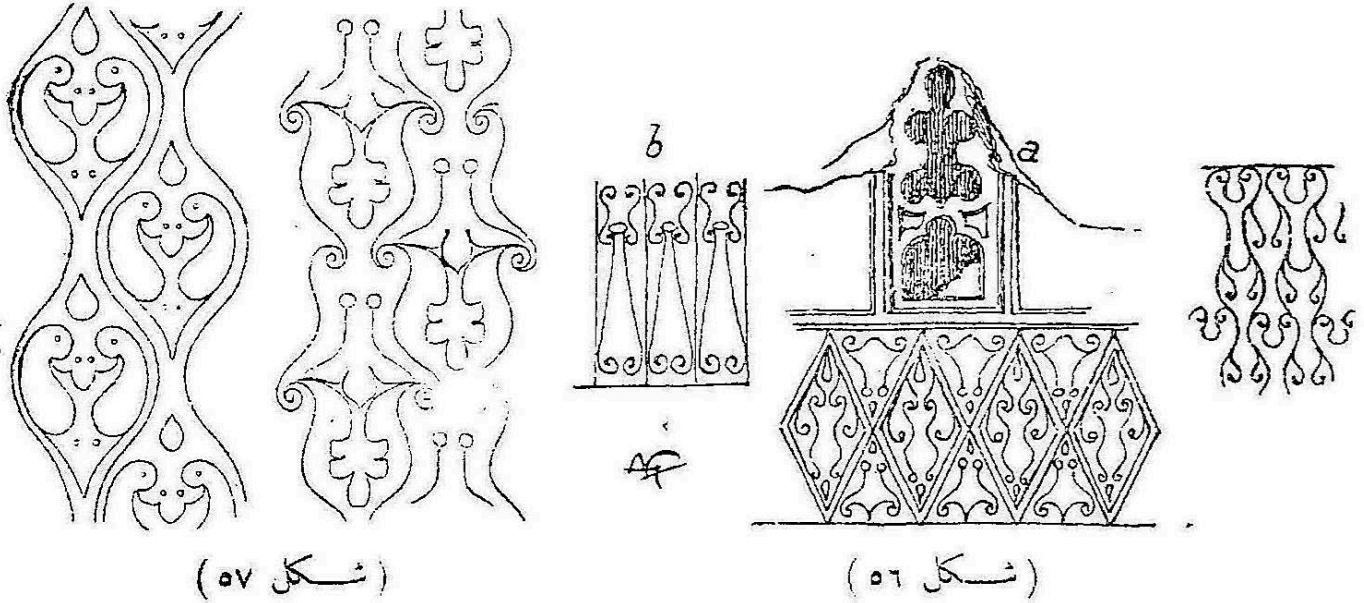


(شكل ٥٥)

(١) لم يساعدنا الحظ على العثور على مجموعات وافية من قبيل ما عثر عليه مسيو هنزفيلد في سامرا (راجع *Erster Vorläuf. Bericht*. Pl. XI).

ولما كانت القطع التي وجدناها من هذا النوع قليلة ، فالملطون أن هذه الزخرفة كانت نادرة . ولاحظ في بعض المواقع على جدران القيعان ، طلاء مصقول خال من الزخرفة . ولا يبعد أن يكون هذا هو النوع الذي كان عاما بالفسطاط .

وعلى كل حال، فإن النموذج الذي عثر عليه يشابه أول طرز وجد من هذا القبيل بمدينة سامراء، (شكل ٥٦ وشكل ٥٧) لأن الزخرفة وطريقة الصناعة، في مصر والعراق، قائمة على أصول واحدة.



(شكل ٥٧)

وهذه الروح توجد في زخارف الجامع الطولوني، وإن كان مسيو هرزفلد يؤكد بأن صناعتها مصرية بحتة (bodenständig) ^(٣). وهي فكرة تناقضها مكتشفات مسيو فيوليه وهرزفلد نفسه، لأنها تنفي أن أصل هذه الزخارف شرقي. ومع ذلك فإن زخارف الفسطاط تنطبق عليها استنتاجات مسيو فلوري في بحثه عن زخارف جامع ابن طولون، أعني بذلك أن الزخرفتين جميعا من مظاهر الفن العباسي في القرن التاسع، وليست قاصرة على جهة أو إقليم ^(٤). ومما ينبغي التنبيه إليه، أن ما وجد على هذا النحو، من بقايا الزخارف بالفسطاط، لا يزال قليلا، وكان متفرقا بين الانقاض بشكل يحيط من قيمة كل استنتاج، يترتب عليه، في تعيين تاريخ المباني. وإنا نأمل أن نصلي بعمليات الحفر الآتية، إلى ما يكمل معلوماتنا في هذا الموضوع.

(١) نقلا عن *Erster vorläufiger Bericht Pl. XI et XII* تأليف هرزفلد.

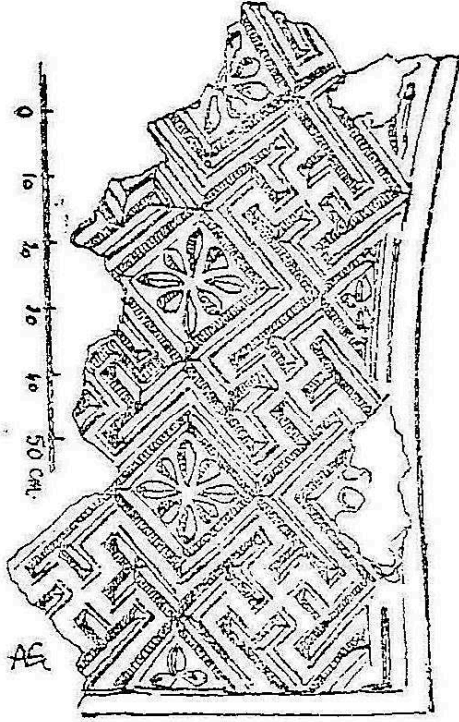
(٢) نقلا عن «حفرات سامراء في العراق وأحد القصور الإسلامية من القرن التاسع عشر» . تأليف د. فيوليه (H. Viollat) لوحة ١١ و ١٢. *Pouilles à Samarra en Mésopotamie. — Un palais musulman du dix-neuvième siècle. Pl. X et XI.* المدرج ذلك في (Mémoires publiées par l'Académie des Inscript. et Belles-lettres) المجلد ١٢ قسم ثان سنة ١٩١١).

(٣) راجع ما كتبه هرزفلد بعنوان «مصادر الفنون الإسلامية وقصر المشي» *Genesis der Islamischen Kunst und das Mshatta-Problem* في مجلة «الاسلام» (der Islam) الصادرة بستراسبورج سنة ١٩١٠ ص ٤٧.

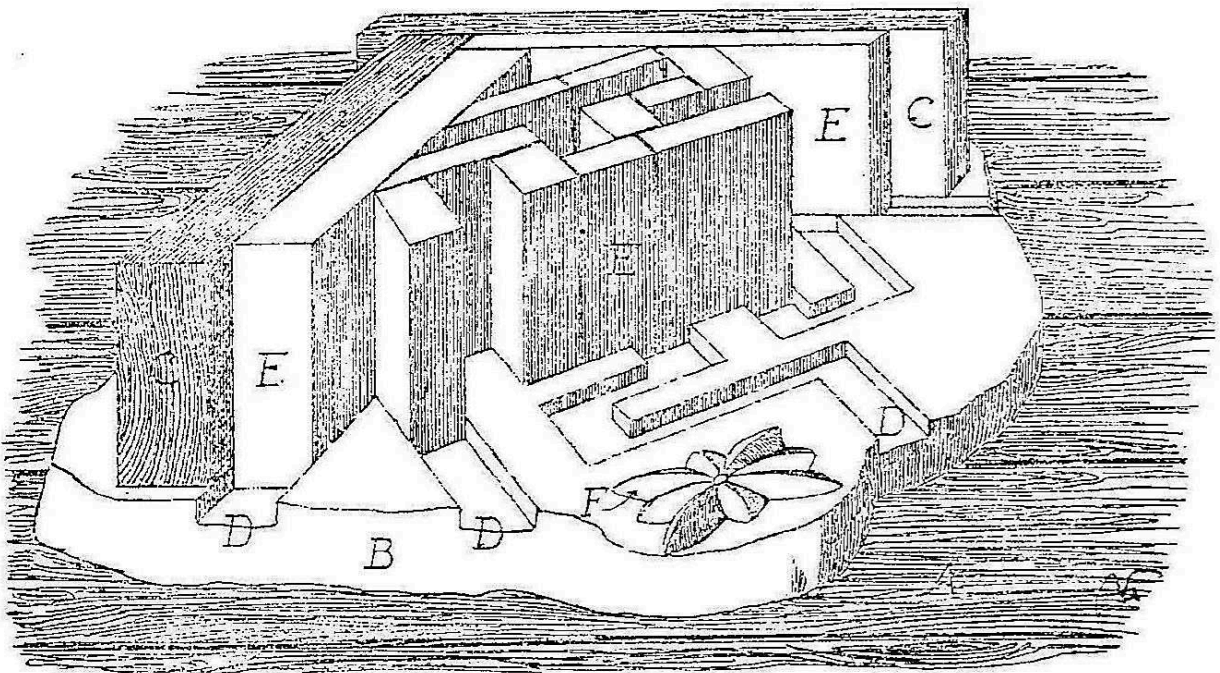
(٤) راجع ما كتبه س. فلوري عن «سامراء وزخارف جامع ابن طولون» *Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Tulûn* في مجلة «الاسلام» (der Islam) المتقدم ذكرها سنة ١٩١٣ ص ٤٢١ و ٤٢٢.

٢ - الكسوة بالجص والآجر

الغرض من هذه الكسوة، التي جمع فيها بين الجص والآجر على شكل غريب، مغاير للغرض من الكسوة المتخذة من الجص، وقد وجدت بعض قطع من هذا النوع كبيرة الحجم : منها ما يبلغ طوله أكثر من المتر، ومنها ما يزيد ثقله على الستين كيلو جراما . وهو دليل على أنها كانت مستعملة في بعض الأبنية بالمحل الذي وجدت فيه . ويصح أن نقول، عن القطع المرسومة في اللوحة ٢٢ رقم ١ (شكل ٥٨) والتي وجد منها عدد كبير في الدار السادسة، أنها من زخارف هذه الدار . أما القطع المرسومة في ذيل اللوحة، فانها من الدار الخامسة . وقد لوحظ بين القطع المجموعة، من عدة جهات، من مناطق الحفر، أن صناعتها مختلفة كما سنبينه فيما بعد . ولكن الأصل في تركيب هذه الزخرفة بقي على حاله . ولما درس مسيو بجاكو بسترل حالة الزخارف في تربة مؤمنة خاتون في ناخشوان، وهي زخارف مصنوعة



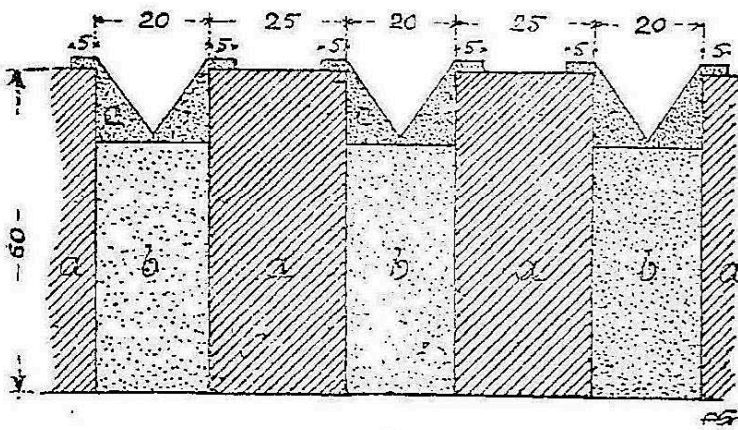
(شكل ٥٨)



(شكل ٥٩)

على ذلك النمط، تصور أنه اهتدى الى طريقة عملها، فقال : انهم كانوا يتخذون صناديق من الخشب يخططون في أرضيتها الرسم المطلوب، ويحيطون هذا الرسم بحشوات أو قطع من الخشب، ثم يملأ الفراغ بالآجر، ويصب الجبس، فتتكون القطعة المطلوبة .

وهذه الفكرة تظهر كأنها عملية لمن لا يمعن النظر فيها . أما نحن، فانا نرى أن طريقة العمل كانت أبسط من ذلك، إذ من الممكن الاستغناء عن عملية الأخشاب هذه . وقد بينا في (الشكل ٥٩) الطريقة التي كانوا يتبعونها، فكانوا يضعون على مستوى A طبقة من الجبس B يحكمون تسويتها، ويخططون عليها الشكل المطلوب . ويحدثون في الجبس وهو طرى الفراغ D، بالأزميل، ويلبسون فيه قطعاً من الآجر ويحيطون الحشوة بالألواح C، ثم يصبون الجبس خلال الطوب z، وإذا أريد الحصول على نقوش غائرة في الجبس طبعوها بقوالب بارزة مثل E . وهذه الطوابع كانت تستعمل عدة مرات^(١) وتبلغ ثخانة الحشوات بعد تمامها من ٦ الى ١٠ سنتيمترات .



(شكل ٦٠)

والظاهر أنهم كانوا عند ما يبنون الجدران يعدون في البناء الفراغ اللازم، لتركيب هذه الحشوات فيه .

ولا يمكن تعيين المحل الذي كانت تركب فيه هذه الحشوات إلا البعض منها فانه كما تراه مخلف من بعض العقود

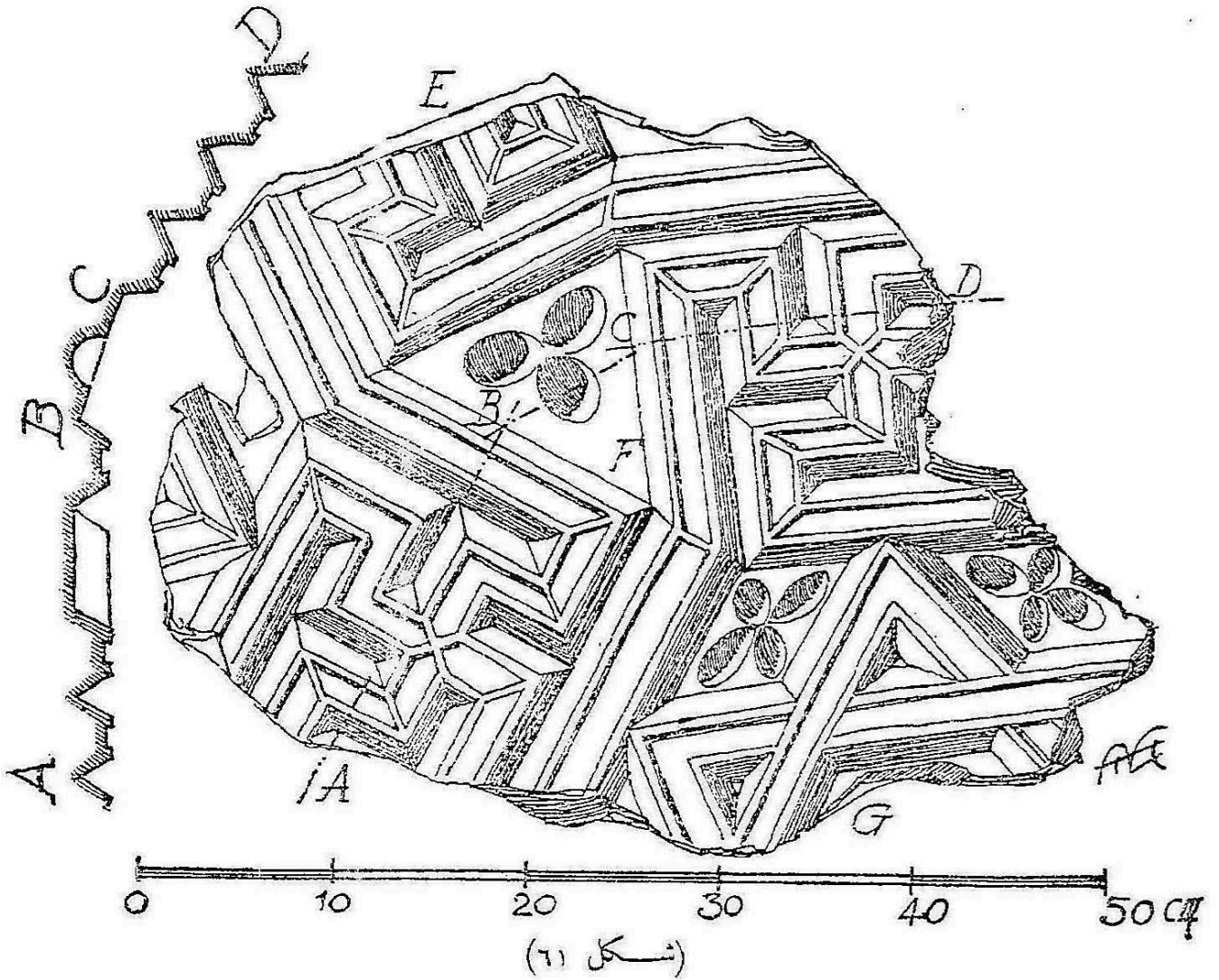
(الحنايا) . وإذا لاحظنا أن الجدران الواقعة على الطرق، كانت تترك عارية وتكحل فقط كما ظهر في عمليات الحفر، وضح أن هذا النوع من الزخرفة كان مناسباً لهذه الجدران . وكانوا يتخذونه فقط حول باب الدخول أو على هيئة طرز .

(١) راجع ما كتبه D. Jacobstahl في "البناء في القرون الوسطى بخشوات" *Mittelalt. Bauten von Nachtschevan* - برلين، سنة ١٨٩٩

(٢) ومن الواجب علينا أن نذكر أن بيان ما كانت عليه هذه الطريقة الفنية التي اندثرت الآن، يرجع الى أحد المعلمين المصريين الأسطى أمين شافعى من المقاولين الذين يشتغلون في ترميم الآثار العربية، فانه صنع بحضرة قطعة من زخرفة لا تختلف عن القطع التي وجدت في القسطنطينية في شىء. مطلقاً .

وإذا رجعنا الى تفاصيل الصناعة وشكل الزخارف الهندسية ، نجد أن القطع المودعة بدار الآثار العربية، من هذه الزخارف، تدخل تحت أنواع عديدة :

النوع الأول (لوحة ٢٠ رقم ١ و ٢ ، ولوحة ٢٢ رقم ١ شكل ٥٨) يشمل النماذج التي تفوق غيرها باتقان صناعتها (شكل ٦٠) وكانت حشواتها تعمل من الآجر α ، وتجمع بالجبس β ، ثم يجعل بين كل طوبتين لحام على هيئة γ ، بارز عن الآجر بصفة حلقة لا يزيد عرضها عن بعض ملليمترات . وتحتوى الحشوة على نجوم ذات ثمان شعب غائرة ، تتبادل مع التعاريج والمشبكات، ملونة بطونها بمغرة حمراء، تقرب من لون الآجر .



وفي اللوحة ٢٢ رقم ١ ، رسمنا قطعتين لا شك في أنهما مختلفتان من زخرفة بعض الحنايا ، لأنه يمكن معرفة مقياس وتر المنحنى من القطعة المخلقة من الجانب الأيسر ، فإذا اعتبرناه قوس دائرة يكون وتره قريبا من ٢,٢٠ م .

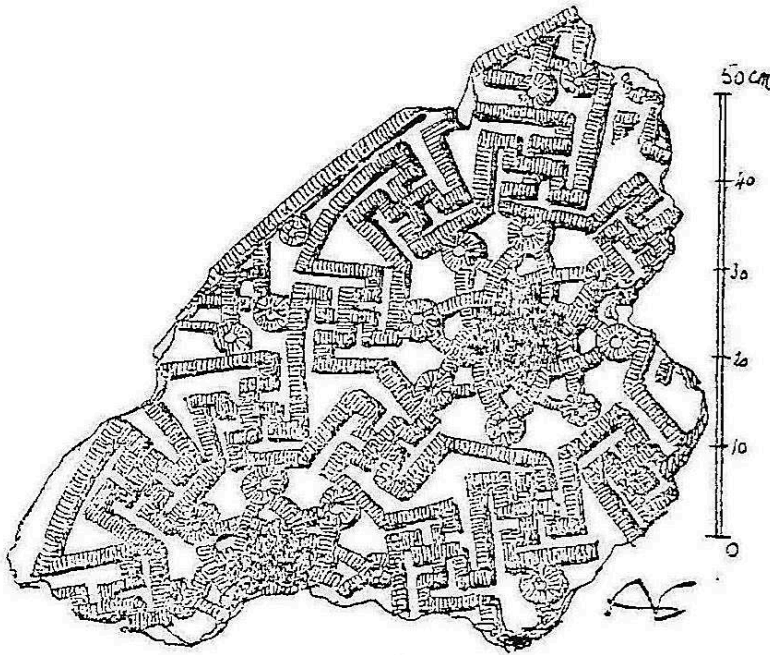
والقطعة الباقية من الطراز (لوحة ٢٠ رقم ٢) التي تكلمنا عليها فيما سبق (في الباب الرابع، الدار السادسة)، يجب عدها من هذا النوع . ونمرة ١ من اللوحة العشرين، مصنوعة بهذه الطريقة . ولكن على أسلوب تتوعوا فيه، فأدخلت فيه الجفوت والمنحنيات وركبت في بعض التجايف محارة من الصدف .

وقد وجدنا بجانب هذه الحشوات قطعة من زخرفة، كانت تكسو الجانب الأيسر من عقد (شكل ٦١) . ومن القطاع ABCD، يعرف أنها كانت مركبة على سطح منحن . ويتكرر هذا الانحناء في اتجاه EFG . ولا شك أن هذه القطعة كان موضعها بطن عقد أحد الأبواب، أو على عقد حامل لبعض الموردرات .

النوع الثاني (لوحة ٢٢ رقم ٢ شكل ٦٢) : شكله بسيط وصناعته لم يعن بتفاصيلها

كما عني بسابقه . وقد استعملت الحشوة فيه كما نخرجت من القالب . ويلاحظ أن أجراها من نوع خاص على هيئة ٥ والفواصل التي تخلل الآجر كملت بالجبس وصبغت بمغرة حمراء .

والطراز المرسوم في اللوحة ٢٠ رقم ٣، ومبدأ عقد الحنية (الطارة) في اللوحة ٢١ رقم ٤، يتبين منهما أنهما مصنوعتان بهذه الطريقة نفسها .



(شكل ٦٢)

النوع الثالث (لوحة ٢٣ رقم ١ و ٢) : الصناعة لم تتغير وفي رسم الآجر أجزاء كثيرة ناقصة ولحامات عديدة بالجبس . وقد ساعدت كثرة استعمال الآجر المتخذ على أشكال منحنية في تنويع وتعقيد الرسوم الى الغاية . وعلى هذه القطعة بقية كلمة كوفية نتعذر قراءتها، ولكنها تدل على عهد صنعها (اللوحة ٢٣ رقم ٢) .

النوع الرابع (لوحة ٢٣ رقم ٣) : رسمه بالتقريب من نوع سابقه ، ولكن الصناعة تختلف ، لأن الحشوة كانت برجل حنيتين متجاورتين . وكلها متخذة من الجص ، ما عدا حدود العقدتين فانها من الآجر .

ولا شك أن هذه الزخرفة ، كانت تجاورها فتحتان مزدوجتان . وإذا قيس الوتران وقوساهما وجد ان نصف قطرة الدائرة ٣٠ ، ٣٠ .

ولو فرضنا أن المحور موجود على مقربة من نصف الدائرة ، فيكون أكبر سعة للفتحة ٦٠ ، ٦٠ . والكسوات التي ذكرناها ، لا كانت بسيطة ، فانها ترجع الى نفس الأصل الذي تولدت عنه الزخارف الملقونة في بلاد آشور وفارس ، المشاهدة في الألواح المربعة المدهونة بالمينا بقصر خرزباد ، وفي نقوش الاپادانا بسوس .

وفي المدينتين المذكورتين ، كانوا يقصدون أن لا يبقى الجدار عاريا ، ليخفوا تحت ستار ملون حقارة البناء المتخذ من الآجر^(١) .

أما الصناعة في الفسطاط ، فكانت بسيطة ، فلم يستعمل في الزخرفة غير لونين : لون الطرب الأحمر الداكن ، والأبيض الجص . ولا شك أنهم كانوا يقصدون بذلك الاقتصاد في النفقة ، ومهولة العمل . وقد نشأت هذه الطريقة في بلاد فارس ، وراجت في جميع البلاد الاسلامية ، لأنها دخلت منذ القرن التاسع في بلاد الأندلس . وكان قصر مدينة الزهراء ، مجللا بزخارف من قبيل الموجود في الفسطاط ، مؤلفة من الحجر الأبيض ، والآجر الأحمر ، على هيئة تعاريج ومشبكات^(٢) .

(١) هذا التأخير العراق ، الذي أشرنا الى بعض ظواهره في غير هذا الموضع ، تدل عليه بعض فقرات واردة في كتاب الانتصار لابن دقاق . قال عن زقاق الريش (ج ٤ ص ٢٢) : هو الزقاق الذي فيا بين دار ابن عثرات ، والدار المعروفة بأبي عبد الله بن طاهر وفي أوله الدار المعروفة بابن بزال ، ذات الباب العراق وفي ص ١٠ من الجزء المذكور : ورأى عبد الله بن طاهر مصر من قبل المأمون قديما سنة احدى عشر مائتين ، فأقام بها شهرا ، ثم انصرف الى العراق في هذه السنة . وقد ورد ذكر الدارين ، دار ابن عثرات ، ودار أبي عبد الله بن طاهر ، عند ذكر الآدر المشهورة بالفسطاط ، من عهد عمرو بن العاص الى العصر الطولوني . وقد نقل ذلك عن سبقه . والظاهر ، أنه لم يشاهدها . ولا يبعد ، أن تكون دار ابن بزال ، وبابها العراق ، من عهد ابن طولون أو قبله .

(٢) راجع ما كتبه ريكاردو فيلا سكوز بوسكو بعنوان « مدينة الزهراء العامرية » Medina Azzahra y Almuniriya طبع مدريد سنة ١٩١٢

وهذه الطريقة : استمر العمل بها في البلاد التي نشأت فيها . من ذلك تربتا مؤمنة خاتون ، ويوسف بن كثير ، اللتان أقيمتا في القرن الثاني عشر بنخشان . وهما من الأدلة على الرق الذي بلغته هذه الصناعة بمساعدة التلوين^(١) .

على أنه ليس من السهل ، أن نؤكد القول ، بأن هذه الطريقة التي جرى عليها في زخرفة المباني بالطرز وفي تحلية الحنايا ، بالجمع بين الآجر الأحمر ، والحص الأبيض ، عمت سائر مباني الفسطاط ، أو أن ما وجدناه هو من الاستثناءات ، لأننا لم نجد له أثرا في جامع ابن طولون ، ولا في الأبنية الفاطمية المشيدة بالآجر ، التي ترى فيها الجدران مكسوة من الخارج والبداخل بالبياض . ومن جهة أخرى ، فإن استعمال الحجر بدل الآجر في أبنية القاهرة ، منذ العصر الفاطمي ، قضى بطبيعة الحال على هذه الطريقة^(٢) ، هذا من حيث صناعة البناء . ومن ثم يظهر أن طريقة البناء هذه شرقية المصدر ، فإن الزخارف التي عثرنا عليها بالفسطاط ، مأخذها الزخارف الهلينية دون غيرها ، أعني بها الزخارف التي كانت منتشرة في البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط الى أقصى حدود مملكة الاسكندر . مثال ذلك : الزخرفة الحصية المرسومة في (الشكل ٥٨) فانها من الطرز المعروف المكون من المشبكات والصرر الثمانية الشعب .

وهذا الرسم ، كان متداولاً عند الأقباط ، ودلينا الحشوة الخشب المحفوظة بالمتحف المصري ، (شكل ٦٣)^(٣) . وهي قطعة قال عنها مسيو سترزيجوسكى ، أنها من القرن السادس أو السابع المسيحي ، وهي منسوجة على منوال الزخارف الهلينية .

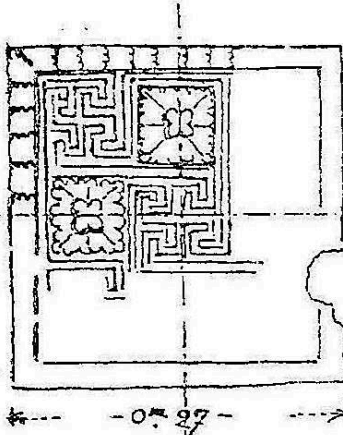
(١) راجع ما نشره ف . سار F. Sarre في مجلة « الأبنية الفارسية » *Denkmäler persischer Baukunst* لوحة ١ ص ٣ ، وراجع أيضا ما نشره (D. Jacobstahl) في الكتاب السابق ذكره .

(٢) ربما يكون هذا الأسلوب الأنيق ، الذي استعمل فيه الآجر على أشكال بسيطة ، له بقية هي التي نشاهدتها في بيوت رشيد التي ترجع الى القرن السادس عشر . راجع تقرير هرتس بك عن مأموريته في رشيد ، في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية ، كراسة ١٣ سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما يليها . - ولا شك ، أن طريقة العمل بها ، أصبحت أقرب الى البساطة ، فانتخدت الزخرفة من وضع الآجر على هيئة مخصوصة ، من ألوان مختلفة ، وكثرة اللامات بمونة بيضاء ناصعة ، بارزة قليلا عن وجه الجدار .

وقد ذكر مسيو سومرس كلارك ، وجود عقد مكنتج زخارفه متخذة من طوب أحمر غامق ولحامات بيضاء على أشكال هندسية في دير العذراء بانجيم راجع « الآثار المسيحية في وادي النيل » (*Christian Antiquities in the Nile Valley*, p. 144) ولا يعلم التاريخ الذي يرجع اليه هذا العقد .

(٣) توجد زخارف من هذا القبيل في « الفن القبطي » (*Koptische Kunst*) لسترزيجوسكى شكل ٩٠ و ١٨٧ وفي « الآثار القبطية » (*Coptic Monuments*) لكروم (Crum) لوحة ٥٣ و ٩٠ و ٩١ و « كنيسة وجبانة بويط » لكيدا (Clédat) لوحة ١٢ و ١٤ و ١٥ .

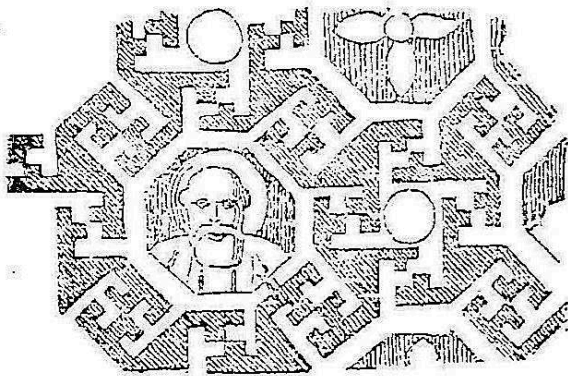
وفي نقوش بويط ، (شكل ٦٤)^(١) ، ودير القدس سميان (شكل ٦٥)^(٢) ، توجد زخارف من هذا القبيل مكونة من أشكال مماثلة ، وفي وسطها شكل مثلثي



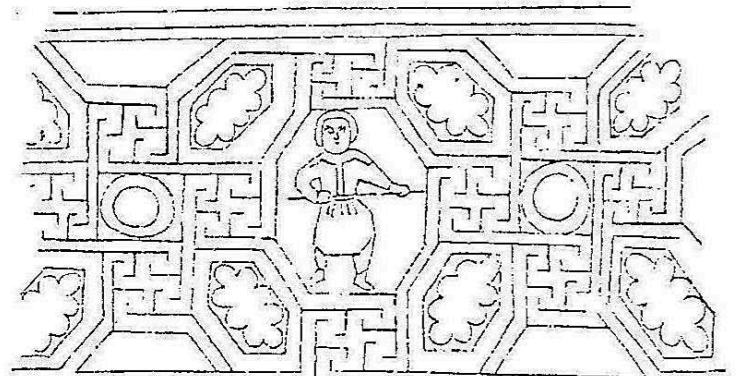
(شكل ٦٣)

الزوايا . والنوع الذي رمزنا له بحرف « (شكل ٦٢) » ، مقتبس من ذلك . ولا يختلف عن زخرفة اسوان إلا في أن الصورة التي في الوسط مستبدلة بنجمة ذات ثمانية شعب وأن القطعة كلها على شكل حنية مكندجة^(٣) .

مما تقدم ، يظهر أن العرب وجدوا في أرض مصر ، وقت الفتح ، بعض الأشكال الهندسية من هذا القبيل ، فتوسعوا فيها بما أوتوه من ملكة التصور والدوق . ولكن ذلك لا نعهده



(شكل ٦٥)



(شكل ٦٤)

دليلا على أن العرب قلدوا الأقباط دون غيرهم ، فإن التقاليد اليونانية لا يزال أثرها باقيا في بلاد فارس والعراق وسوريا ومصر .

وإذا كانت الزخارف الحصية المكتشفة بسامرا بها أثر من التقاليد الشرقية ، فإن هناك زخارف أخرى اكتشفت بها ، تثبت انتشار الزخارف التي فيها مميزات الفن السكندري في أنحاء

(١) على ما أورده كليدا في الكتاب السابق لوحة ٦٥

(٢) عن جاييه في " الفن القبطي " ص ٢٨٤ ويراجع أيضا « فهرست آثار وكتابات مصر القديمة » ج ١ ص ١٣٥

(٣) توجد في الآثار القبطية عقود مكندجة بها مشبكات ونجوم ذات ثمان شعب ورسوم ملثوية (راجع « حفرات بويط » لاسينا لوحة ٣ و ٤

٥٨ و ٥٩ و ٧١ و ٧٦ و ٩١ وكليدا في الكتاب السابق ذكره لوحة ٥٨

العالم الاسلامى . ومن الأمثلة التى نذكرها قطعة من الفخار (شكل ٦٦^(١)) ، فان لوحة الرسم فيها كما فى حشوات الفسفاط / مشبكات وصرر ذات ثمانى شعب .



(شكل ٦٦)

على هذا المنوال ، كانت البلاد التى دخلت فى حوزة المسلمين لا يزال موجودا بها وقت الفتح ، ما يكفى من التقاليد الهلليينسية الحية لينتخذه العرب مرشدا فى خطواتهم الأولى . وهذه تقاليد هى التى بقيت قاعدة أساسية للفن الاسلامى . وهى التى تفسر لنا كيف وجدت هذه المجانسة التى تعم المصنوعات العربية فى ذلك المجال العظيم الذى انفتح لهذا الفن .

وما ذكرناه من الزخارف ، سواء كان من الجبس المصبوب فى القالب أو المؤلف من الجبس والآجر ، لا يمكن اعتباره ، بالنظر لقلّة عدده بالنسبة لاتساع منطقة الحفر ، نموذجا عاما للزخارف مدينة الفسفاط . ولكنه ربما ساعد على تعيين تاريخ الأبنية التى أخذ منها على وجه التقريب .

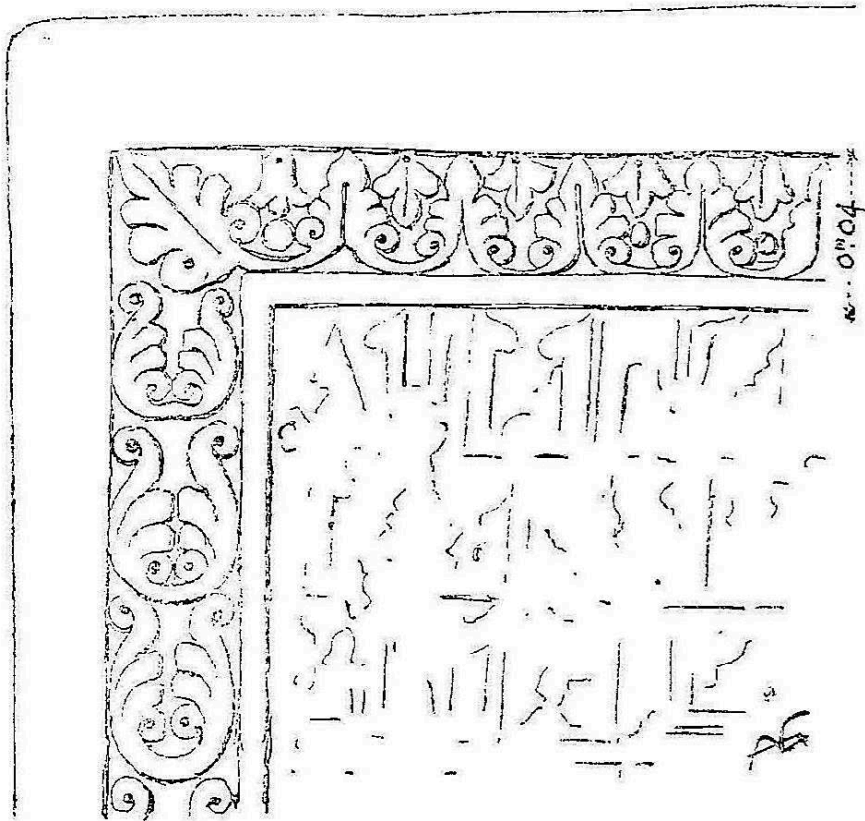
أما الزخارف الحصية ، فلا مشاحة فى وجود الشبه التام بينها وبين أول طرز للزخارف سامرا . ولذلك نعدّها من النصف الأول من القرن الثالث الهجرى . ويوجد بدار الآثار العربية بالقاهرة ، شاهد مؤرخ سنة ٢٤٣ هجرية (٨٥٧ ميلادية) شكل ٦٧^(٢) ، محلى باطار من هذا الطرز ، ولكنه أخط منه فى الرسم . وهناك شواهد أخرى مؤرخة سنة ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ هجرية^(٣) . وأما الزخارف الهندسية ، فان هناك من بعض القرائن ما يبعث على الظن بأنها متأخرة قليلا .

التبليغ

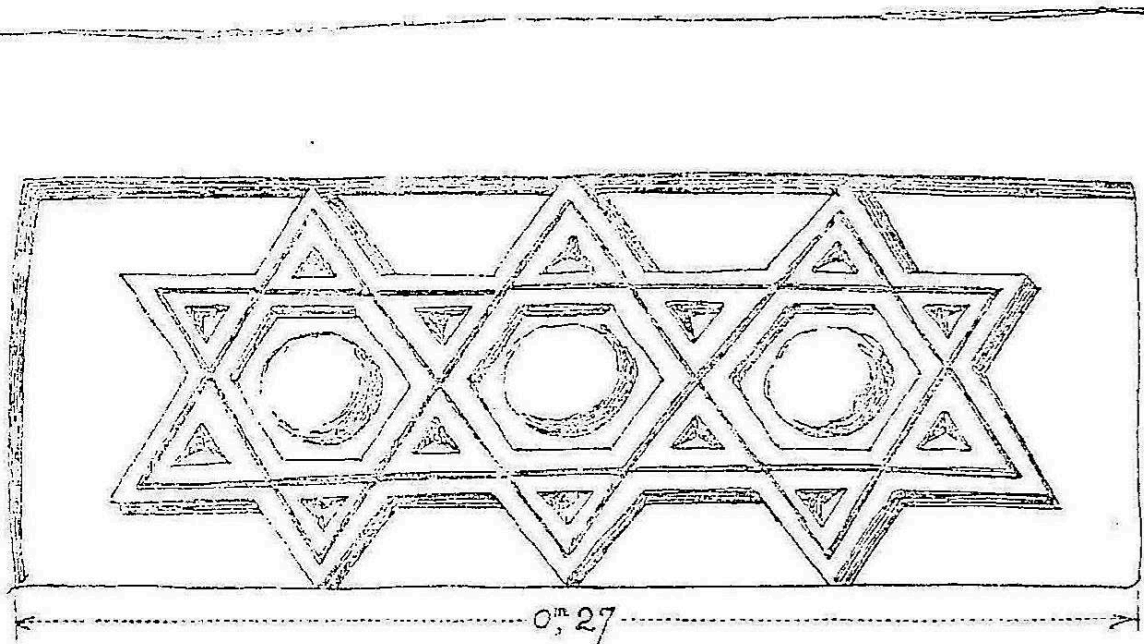
(١) نقلا عن "سار" عن «القايا التى عثر عليها بسامرا وأهميتها للفن الإسلامى فى القرن التاسع (الثالث الهجرى)» *Die Kleinfunde von Samarra und ihre Ergebnisse für das islamische Kunstgewerbe des 9. Jahrhunderts ds. Der Islam. Strassburg, 1914, Tafel 3, fig. 5.*

(٢) هذا الشاهد محفوظ بدار الآثار العربية تحت رقم ٣٩٠٤

(٣) بدار الآثار العربية تحت رقم ٢٩٥٣ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤



(شكل ٦٧)



(شكل ٦٨)

وأقدم شاهد عرفناه من طرز هندسي (شكل ٦٨) مؤرخ سنة ٣٠٧ هجرية (٩١٩ ميلادية) .
 وآخر من سنة ٣١٣^(١)

ولكن هذا التقريب ضعيف، وفضلا عن ذلك، فإن الفرق في الصناعة بين الزخرفة بالحصى والزخرفة بالآجر والجبس، يكفي وحده للبرهنة على اختلاف قواعد الرسوم .

ولقد مرّ بنا من جهة أخرى، أن الأقباط لم ينقطعوا عن استعمال الأشكال الهندسية على الطريقة الهلنستية . وأنها في سامرا كانت معاصرة للزخرفة الزهرية . ولما كشفت فتحات البوابات الخارجى، من عهد قريب بجامع ابن طولون، وجدت عليها شبابيك زخارفها هندسية من الجبس المفرغ . وكذلك، الحنايا بهذا الجامع، مزخرفة بنقوش على هيئة الغصون الملتوية، على نسق لمرز سامرا الثانى . ومن ذلك يتبين، أن الطريقتين كانتا معمولاً بهما، في آن واحد، منذ العصر الطولونى .

(١) بدار الآثار العربية، تحت رقم ١٢٧٨ و ١٢٧٩

الباب الثاني

في العهد الذي ترجع اليه الأبنية التي كشفت من القسطاط

علمنا مما تقدم، أن خراب القسطاط كان يمتد، على عهد ابن دقاق والمقرزى، حتى يقرب من جامع عمرو وقصر الشمع . وقد تخلفت معالم كثيرة تكاد نتلمس فيها حقيقة الحد الذي كان يفصل وقتئذ بين العاصر المأهول، والخراب المهجور . ولو نظرنا الى المنطقة التي أبحرنا بها الخبر (راجع الشكل رقم ١)، تظهر لأول وهلة أنها كلها من الخراب . ويدور بخلدنا، وان أعوزتنا النصوص التاريخية الصريحة، أن حدود الخراب لم يطرأ عليها تغيير كبير بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر الميلادى، وأن الخطط التي غادرها سكانها، على أيام المستنصر لم تجدد عمارتها . ولقد كانت الحركة الصناعية والتجارية، تمتد من القسطاط، وتنتشر على شاطئ النيل، في الوقت الذي نشأت فيه خطط جديدة على الشاطئ، بين القاهرة والقسطاط، وفي الجنوب منه الى دير الطين .

ومن ثم يظهر، أن الروايات التاريخية تكاد تدل على أن الخطط التي رفعت عنها الأتربة، بقيت، منذ القرن الحادى عشر الى اليوم، مطمورة في التراب . وسنرى فيما بعد أن هذا الاستنتاج يتفق مع المعلومات التي كشفت عنها عملية الحفر .

فمن ذلك، أن موضع الحفر، سواء كان في الموقع الرئيسى بالقسطاط، أو في العسكر والقطائع، انكشف عن مبان متحدة الأسلوب، متشابهة النظام، قوامها الآجر تخلله، لحامات ثخينة، ومونة متخذة من الجير والقصرمل، أو من الجير والحجرة، وبلاط من الحجر الجيري، وأنايب مصنوعة من الفخار، وشباك من الحجارير المقفورة في الصخر . وإن لم يتيسر لنا في المناطق البعيدة أن نحصل على معالم تكفى لتكوين رسم أفقى لدار من الدور، فإن ما عثرنا عليه من نظام التفاصيل

المتشابه يكفي للدلالة على أن جميع المنطقة التي أرحنا عنها التراب، كان مشيدا عليها في وقت ما أبدية أقيمت على أصول واحدة، وطرار متشابه .

فإن بل : ولماذا لا تكون هذه المباني مخلقة من تجدد العمارة بعد الشدة العظمى التي حدثت على عهد المستنصر، مما لم ترد عنه اشارة في النصوص التاريخية ؟ فالجواب : ان ذلك يقتضى وجود بنائين مثلا، أقيم أحدهما فوق الآخر مع تباين في الوضع، واختلاف في مواد البناء . ولكن ما اتفق لنا العثور عليه من آثار التعديل، والتحويل، أو التجديد الكلي، إنما هي أمثلة فردية متفرقة . وما كنا نجده من ذلك في الدار الواحدة، كان يتكرر باستمرار ولا يتغير .

وقد شوهد أن لكل دار من الدور شبكة من الاقنية والمجارير، تنتهي كلها الى بئر صرف واحدة، أو عدة آبار . وهذه الاقنية والآبار، تستعمل كلها إلا اليسير في الدور التي كشفناها، وتنبع في اتجاهها تخطيط الدار . ولا يمكن التسليم بأن هذه الأعمال الصحية، ترجع الى عهد متأخر عن انشاء الدور . وقد التزم في إعدادها الدقة والعناية التامة، بخفاء متداخلة في أجزاء البناية الأصلية، محكمة الوضع والارتباط .

ومن مشاهدة مواقع الحفر، التي اندثر ما عليها من الأبنية، إثنين أهمية هذه الأعمال التي كانت مطمورة في التراب . ولا يدل ظاهرها على أنها من تجديدات أجريت بسرعة، في عصر انحلال وانحطاط . ولكنها مثل المباني المتخذة لها، ترجع الى الوقت الذي كانت فيه مدينة الفسطاط زاهرة زاهرة .

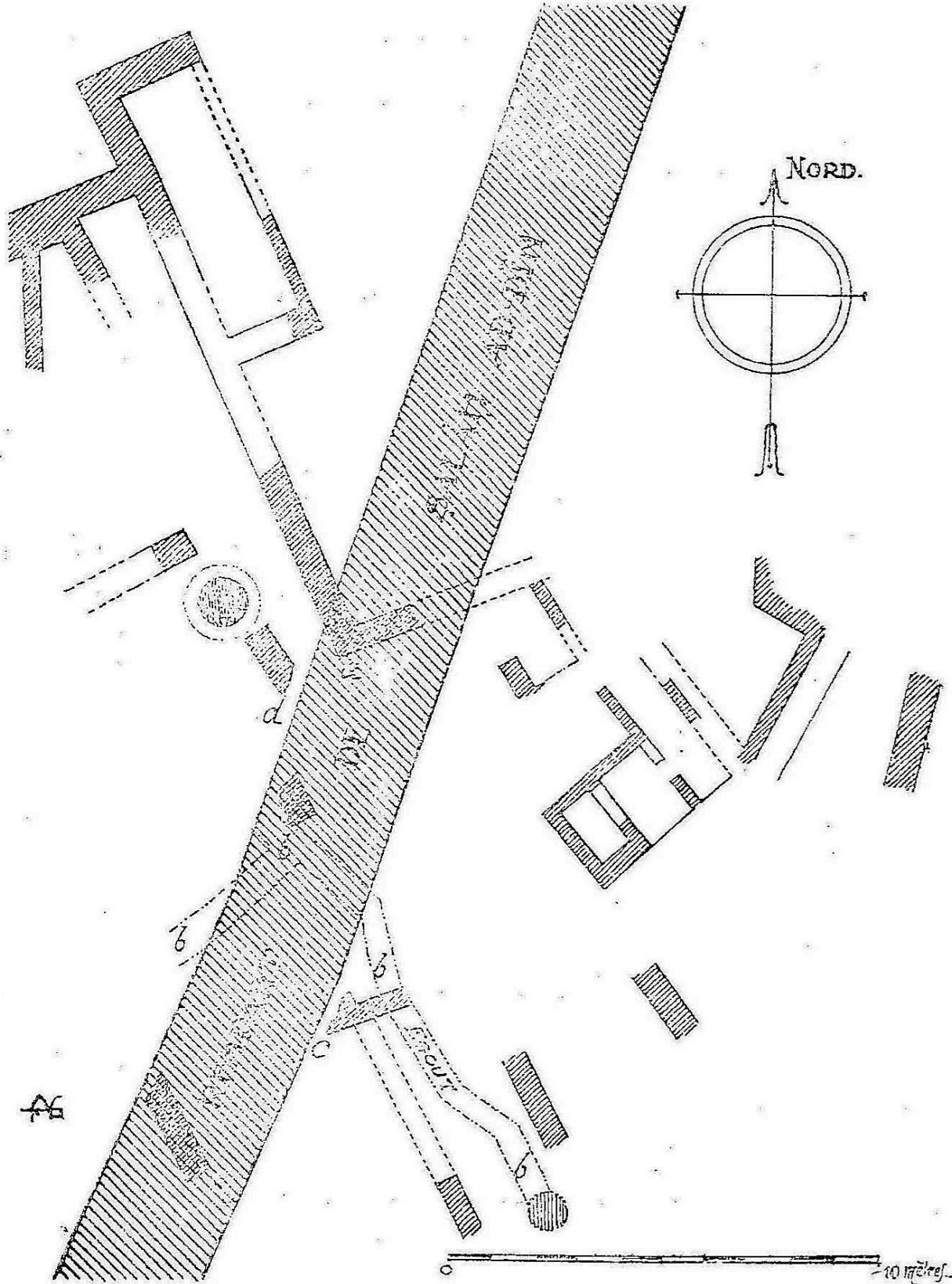
ولكى نعزز ذلك، نأتى ببرهان آخر نستمد من فحص سور صلاح الدين . وقد سبق لنا ان قلنا أن صلاح الدين رأى الضرورة قاضية بأن يبنى سورا يجمع داخله الفسطاط والقاهرة، وان أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور، مما كان أعد لحماية الفسطاط من الجهة الشرقية^(١) . وستبين فيما بعد الظروف التي وضع فيها هذا المشروع، وكيف نفذ، وندرس تفاصيل بنائه .

(١) وقد شاهدنا أن القسم المتجه من القناطر «العيون» من الجنوب الى الشمال والمنتهي الى القلعة قائم على أساس السور .

(٢) راجع كازانوف «تاريخ قلعة القاهرة ووصفها» — القاهرة ١٨٩١ ص ٥٣٥ وما يليها وص ٥٣٧ ولوحة ٣، و يلاحظ أن مسيو كازانوف قد تمكن بواسطة النصوص التي أوردها المقرئ فقط من تعيين مخطط هذا السور تعيينا افتراضيا، وقد حققت الحفريات ظنونه .

ونقتصر الآن على ابداء بعض ملاحظات تساعد على تعيين تاريخ بناء الدور التي تكلمنا عنها ، فنقول :

انه بالبحث عن الطريقة التي بنى بها السور (راجع اللوحة ١٤ - ١ و ٢ وشكل ٦٩) ،



(شكل ٦٩)

ظهر أنه يمر بين الدور قاطعا لها ، مخلفا على جانبيه ، بل وفي حشوه ، أجزاء من دار واحدة . كما أننا نراه يقطع في امتداده المجرور *b, b, b* . مما يتبين منه أن بناء السور متأخر عن بناء الدور . ويلاحظ أيضا ، أن بعض المواقع بها جدران مبنية بالآجر مقطوعة على بعد بضعة ستمترات من صفحتى السور (١٠٠) ، مما يدعو الى الظن بأن الدور كانت هناك ملتصقة بالسور . والسبب فى ذلك يعرف ، اذا لوحظ أنه فى الوقت الذى وضع فيه أساس السور كانت المنطقة التى هبئت له مهجورة ، فأعدت فيها الحفر اللازمة ورمى الأساس فوق الصخر ، حتى امتلأت ، وهدم ما كان هناك من الأبنية المشيدة بالآجر .

وبالاجمال ، فإن تخطيط السور يتفق مع هذا الاستنتاج ، لأن صلاح الدين أراد أن يجمع بين القلعة والطرف الجنوبى من القسطنطين ، وفى الوقت الذى بدأ فيه العمل ، كانت هذه العاصمة القديمة على ما انتابها من الانحطاط لا تزال مدينة عظيمة ، تجاريا وصناعيا ، ولكن حدودها أصبحت دون ما كانت عليه فى القرن العاشر ، فكانت كثريرط من الأبنية عرضه يختلف ويمتد على شاطئ النيل . ولقد كان فى المشروع الذى اختاره صلاح الدين لحماية عاصمة البلاد من الهجوم المفاجئ ، أحسن حل وأيسره اقتصاديا ، مع مناعة من الوجهة الحربية ، لأن مد السور مستقيما من القلعة الى الكوم الأحمر كان جامعا مايلزم من كل الوجوه .

ولقد كان من العيب ، أن يشيد السور على حدود الخراب ، فيطول كثيرا بلا جدوى . وكان بين السور والخطط المأهولة بالسكان أرض براح تملؤها الأبنية المتخربة شبيهة باليومر يوم ، أى حرم النطاق الحربى عند الرومان .

ومن ذلك يظهر ، أن أساس السور كله أقيم فى الخراب ، وإن الاطلال التى تظلل أرضه كانت تتكون منها تلال مرتفعة . وفى الواقع ، أننا اذا رسمنا امتداد السور على حقيقته ، نجد

(١) قال مير كازانوف إن هذا العمل بدأ فيه سنة ٥٧٢ هجرية لأن هذه السنة أقرب الى الحقيقة التاريخية من سنة ٥٦٦ التى أوردها المقرئ (أول ص ٣٧٩) وقد بنى ملاحظته على أن مثل هذا المشروع « لم يكن من الممكن أن يفكر فيه إلا من كان مستبدا قوى السلطان كما كان فى سنة ٥٧٢ سلطان دمشق الجديد حليف زعيم القداميين » (راجع كازانوف فى الكتاب السابق ذكره ص ٥٣٨) .

في جملة مواقع قد خرج كثيرا عن استقامته، وظهر فيه ازورار واضح دعا اليه كما نعتقد وجود كيما ن على مقربة. وتركت كما هي، لأن محاولة ازلتها لتهيئة الأرض الى الصخر فيها، كان يكلف عناء كبيرا ومشقة عظيمة . ومن البدهة، أن يختار بناء السور فيما بين التلال من الفجاج حيث لا يحتاج العمل إلا الى نقل أقل مقدار ممكن من التراب .

وزيادة على ذلك يوجد في صفحتي السور، اختلاف جوهري في بنائهما لأن الصفحة الخارجة، مبنية من مبدأ الأساس بالحجر الجيد النحت، مدايك منتظمة، محدبة الوسط "بقجة"، ومحاطة باطار "تبويص" أو "ميه" على مثال السور الشمالى الشرقى لمدينة القاهرة^(١) . ولا شك ان هذا الجانب، كان موجودا به خندق يمنع ميله الطبيعى الوصول إلى السور. أما الصفحة الداخلية، فانها مبنية بالدبش الذى يكاد لا يكتفى لمقاومة دفع الأجار المحشوبها السور، وانما كانت تستند الى التلال التى قامت التواحد على أنها مخلفة من عهد صلاح الدين .

والآن وقد انتهينا الى هذا الحد، يلاحظ أننا قد تركنا جانبا الكلام على بقايا الخرف وغيرها، مما عثر عليه فى أثناء الحفر . وذلك، لأننا عقدنا العزم على أن نفردها بحثا خاصا . واذا كنا قد بينا فى مقدمة هذا الكتاب، أن هذه الكيما تكونت على وضع لا يساعد على استنتاج معلومات قيمة من هذه البقايا، فكذلك لم يأت فحص المجموعات العديدة، من البقايا التى دخلت دار الآثار العربية، بما يفتى استنتاجاتنا العامة التى أوردناها . والواقع، أن البقايا التى ترجع الى ما قبل العصر الفاطمى، وبعض المصنوعات الفاطمية، قد يمكن التسليم بأنها من مخلفات الدور التى وجدت فيها، وأن كثيرا من بقايا الخرف الفاطمى وغيره، من المصنوعات المخلفة من الدولة الأيوبية، وعصر المماليك، معلوم أنه منقول الى الكيما من الجهات المجاورة التى كانت لا تزال معمورة .

ومما تقدم يستنتج، أن زمن المستنصر، هو العهد الذى ينتهى اليه أحدث الدور التى تكلمنا عليها، وما عداها وهو الأغلب، يرجع الى عصر أقدم من ذلك . وعلى الأخص، الى زمن العباسيين والطورونيين . وفى عهدهما بلغت مدينة الفسطاط الغاية فى الزهو والثراء .

(١) غربي وقيل برج الظفر . ولأجل البحث فى سور صلاح الدين يلزم القيام ببعض تحريات خاصة فى هذه المنطقة حيث تم رفع الكثير من الأتربة .

وإذا حاولنا أن نجعل البحث، ونرجع بعض المباني الى أزمنة معينة . نخير لنا أن لا نفعل، لأننا لم نزل نجعل معالم منازل العرب الأولى في الفسطاط . ولكن مجال التخيل واسع، في أن الدور التي اتخذها العرب بها على عهد الفتح، كانت دورا مؤقتة، فلم تدم طويلا . ثم على عهد بني أمية، أخذ في انشاء الدور المشيدة^(١) . ولا يمكننا الآن أن نعين المادة التي كان يبنى بها، هل هي اللبن؟ أو الآجر؟ وغاية ما وصلنا اليه بالمقارنة، بين أبنية الفسطاط وأبنية سامرا التي أنشئت في سنة ٢٢٧ هجرية (٨٤٢ م) وجامع ابن طولون، ومن تشابه الزخارف التي كانت تتخذ في واجهات بعض الدور بالفسطاط، بالزخارف المنقوشة على بعض شواهد القبور، التي من القرنين الثالث والرابع الهجري، يمكننا أن نقول أن معظم أبنية الفسطاط هي من عصر الدولتين العباسية والطورونية . وليس في وسعنا الحكم، بأنه لا يوجد بينها ما يرجع الى أقدم من زمن هاتين الدولتين، أو أن يكون وقع فيه اصلاحات، أو تجديدات، أدخلت على طرزها الأصلية تعديلات جديدة . ولكن التزام ما كانت تمليه التصورات الأصلية، والعمل بنسب الطرق القديمة، لم يطرأ عليه أى تغيير ظاهر، إلا في القليل من التفاصيل . على أن ما اهتمدنا اليه من المعلومات في هذا الباب ليس بالكثير، ولا يمكن أن يكون له الأثر الذى يساعد على ترتيب الأبنية بأنواعها ترتيبا تاريخيا صحيحا .

(١) الباب الذى خصصه ابن دقاق للدور (ج ٤ ص ٥ وما يليها) مبنى كله على روايات من سبقه . وقد ذكر في هذه الروايات، أن كثيرا من الدور تخلف من عصر النبي عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك شيء من المبالغة، وكل ما يمكن قوله أن بعض الدور التي ذكرت في هذه الروايات أقمت في القرن الأول الهجري، وبنيت بمواد تقوى على المقاومة .

بيان اللوحات الملحقه بهذا الكتاب

اللوحة الأولى — منظر الفسطاط مأخوذ من كوم غراب، في صدره بقايا الكيان . ووراء ذلك، الموقع الذي تم فيه التنقيب . وفي الجوف، المقطم والقلة ومدرسة السلطان حسن على بعد .

اللوحة الثانية — (١) نقل السباخ المستخرج من موقع الحفر، على ظهور الجمال . (٢) إحدى مناطق الحفر بكوم غراب، تخطيها جدران اكتشفت مبنية بالآجر . وعلى اليسار عمال يغربلون التراب، لفصل السبخ ، وفرز القطع الأثرية .

اللوحة الثالثة — صورة المناطق الجارى فيها الحفر، مأخوذة من الطيارة (بمعرفة فرقة الطيران الانجليزية ، في يناير سنة ١٩٢٠) ، ويرى فيها : (١) تخطيط الطرق ، ومنظر البساتين المجاورة لقصر الشمع (بأعلى اللوحة على اليسار) ، وجامع عمرو (على اليمين) ، والمحاجر أسفل ذلك . (٢) جامع عمرو (بأعلى اللوحة على اليسار) ، وأبنية تابعة لشركة السباخ (على اليمين بأعلى اللوحة) ، وهي في وسط منطقة من أهم المناطق ، تحول دون التنقيب فيها .

اللوحة الرابعة — منظر مأخوذ بالطيارة من إحدى مناطق الحفر، يبين حالة الأعمال، وديعة الأرض، في سنة ١٩١٨ والحفر الكبيرة التي على اليمين محاجر .

اللوحة الخامسة — (١) منظر مأخوذ من فوق الكيان ، المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة . وهي التي ترى في الشكل التالى « ٢ » ، وفي الجوف المقطم ، والقلة ، والمجرة « العيون » . وبسفح المرتفعات البساتين . (٢) الكيان المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة ، تشاهد فيها الحفائر التي تخطيها ، وهي تدل على المواقع التي كان ينقب فيها عن الآجر لجمعه .

اللوحة السادسة — منظر القسم المتوسط من موقع الحفر .

اللوحة السابعة — (١) منظر الفسطاط مأخوذ من فوق الكيان المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة (اللوحة الخامسة ٢) ، يرى فيه في الجوف وادى النيل ، وأهرامات الجيزة والطرق التي تسير فيها العربات الحاملة للسباخ، والمجر الوارد من المحاجر .

(٢) الدار الأولى مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية مع الحوش B ، والغرف m و n و o و p و w

اللوحة الثامنة — (١) فتحة مجرور . (٢) الدار الأولى مع الحوش A وفسقيته .

اللوحة التاسعة — الدار الأولى مع الحوش B ، وفسقيته ، وبعض القوائم الحجرية الموجودة الآن بمكانها ، وأخرى في صدر الرسم .

اللوحة العاشرة — الدار الثانية ، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية ، وبعض التفاصيل من القاعة C .

اللوحة الحادية عشر — الدار الثالثة ، مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية .

اللوحة الثانية عشر — الدار الرابعة ، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية .

اللوحة الثالثة عشر — منظر الحفر ، يتبين فيه ما كان للأعمال الصحية من الأهمية ، من البيارات والمجارير وغيرها .

اللوحة الرابعة عشر — سور صلاح الدين (١) منظريين مرور السور وسط المباني السابقة عليه في العهد . (٢) السور وأبراجه .

اللوحة الخامسة عشر — تفصيل فنية : (١) قطعة من أساس . (٢) قوائم حجرية بباطن جدار .

اللوحة السادسة عشر — تفاصيل فنية : ١ و ٢ و ٣ و ٤ قوائم حجرية ، وقطع من الحجر مما يستعمل في باطن الجدار . ٥ و ٦ قطع من أساس . (٧) واجهة مكحولة .

اللوحة السابعة عشر — مراحيض .

اللوحة الثامنة عشر — مجارير ، وفسقيات .

اللوحة التاسعة عشر — قناة صرف رأسية (المجموعة الأولى من الدور ، ٢ من الشكل رقم ٥) . (٢) تفاصيل تبين بقية من فتحة مجرور ، ومكان الأربطة الخشبية .

اللوحة العشرون — زخارف متخذة من قطع الآجر المجموعة بالحصص : (١) النوع الأول α ، محتوية تجاوزيفة على قطع من الصدف . (٢) النوع الأول α ، كتابة كوفية تقرأ فيها كلمة "قصورا" . (٣) النوع الثاني β ، مشبكات ونجوم ذوات ثمان شعب .

اللوحة الحادية والعشرون — (١ و ٢) قطع من كسوة متخذة من الجص المصبوب بالقالب .

(٣) قطعة من كسوة متخذة من البلاط (من الدار السادسة) .

(٤) مشبكات من النوع الثاني β ، وجدت في الدار الثالثة .

— اللوحة الثانية والعشرون — (١) قطع من النوع الأول a ، وجدت في الدار السادسة .

(٢) قطع من النوع الثاني b ، وجدت في الدار الخامسة .

— اللوحة الثالثة والعشرون — (١ و ٢) قطع من النوع الثاني b . (٣) قطع من النوع الثالث c .

اللوحة الرابعة والعشرون — نماذج من مصنوعات متخذة من الحجر والرخام .

اللوحة الخامسة والعشرون — قطع من زخارف جصية .

اللوحة السادسة والعشرون — قطع من زخارف جصية .

اللوحة السابعة والعشرون — قطع من الخشب المنقوش .

اللوحة الثامنة والعشرون — قطع من العظم والسن .

اللوحة التاسعة والعشرون — مصنوعات من النحاس .

اللوحة الثلاثون — حلي من ذهب .

اللوحة الحادية والثلاثون — منسوجات .

اللوحة الثانية والثلاثون — قطع من زجاج مطلي بالمينا .

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨/٥٣٠/٣٠٠)

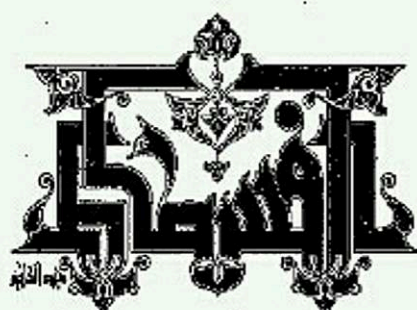
دار الآثار العربية - Musée de l'Art Arabe

حفريات الفسطاط

(مجموعة المناظر القتوغرافية)

FOUILLES D'AL FOUSTÂT

(Album de photographies)

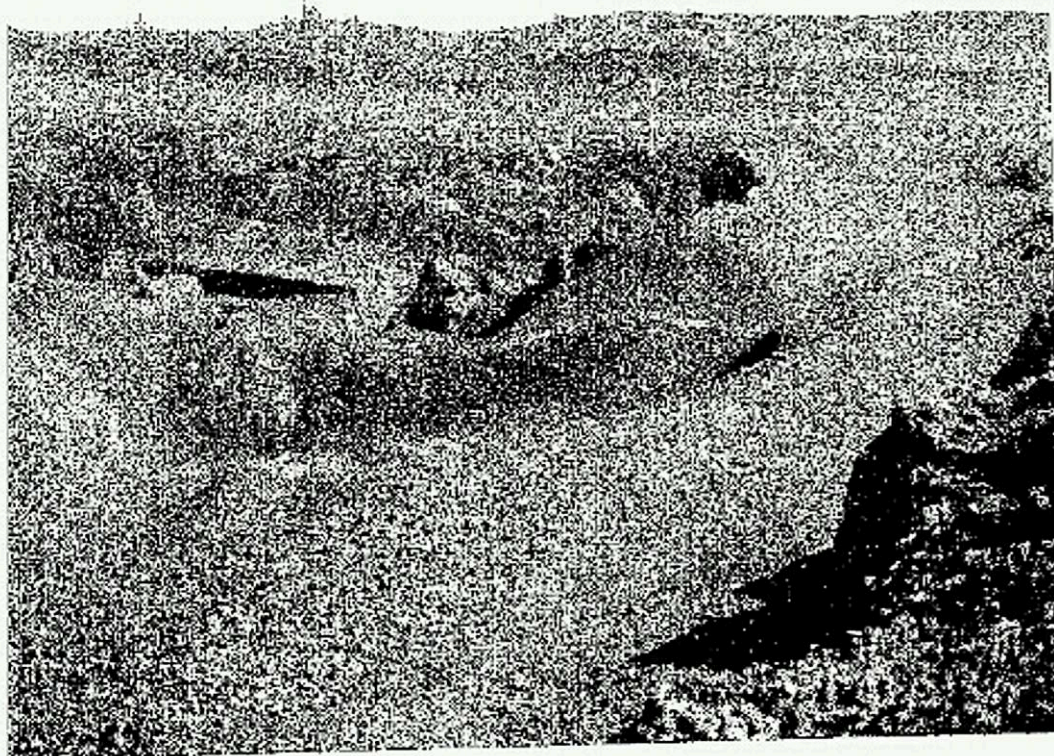


[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٢٧ هـ - ١٩٢٨ م

(لوحة رسم ١)



منظر عام للمنطقة مأخوذ من كوم غراب

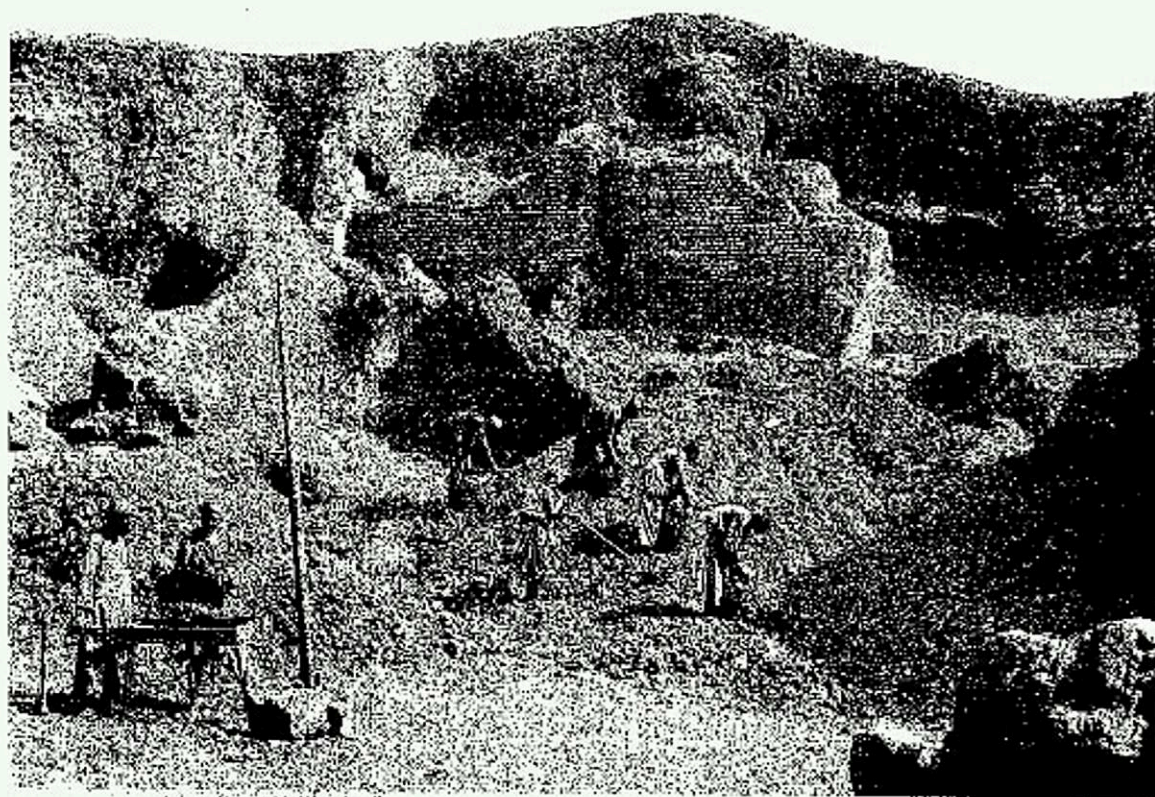
(Pl. I.)



Vue générale du Foustât prise de Kôon Gi



Transport du sebaki à dos des chameaux. — جمال تنقل السبخ

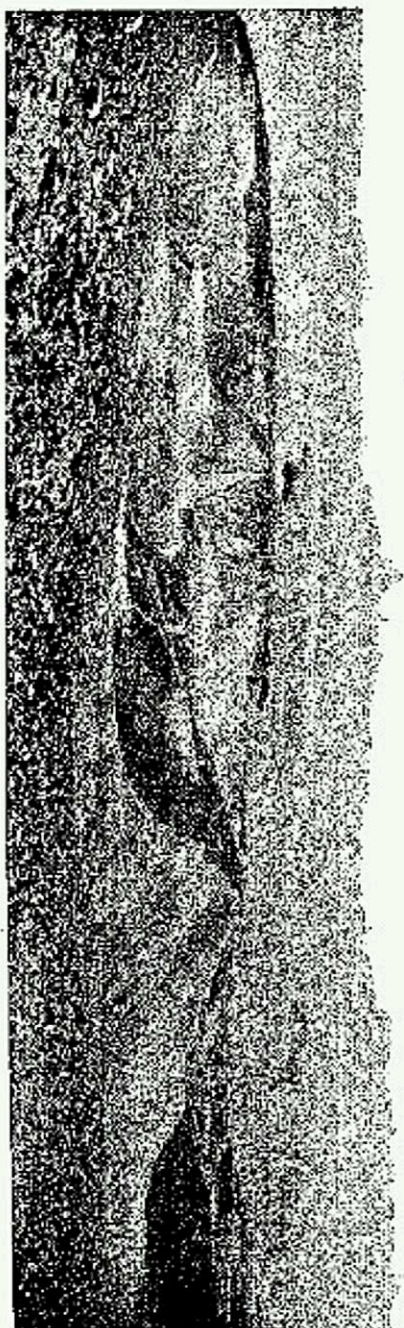


Fouilles à Kôm Ghoutab. — بعض مناطق الحفر بكوم غراب

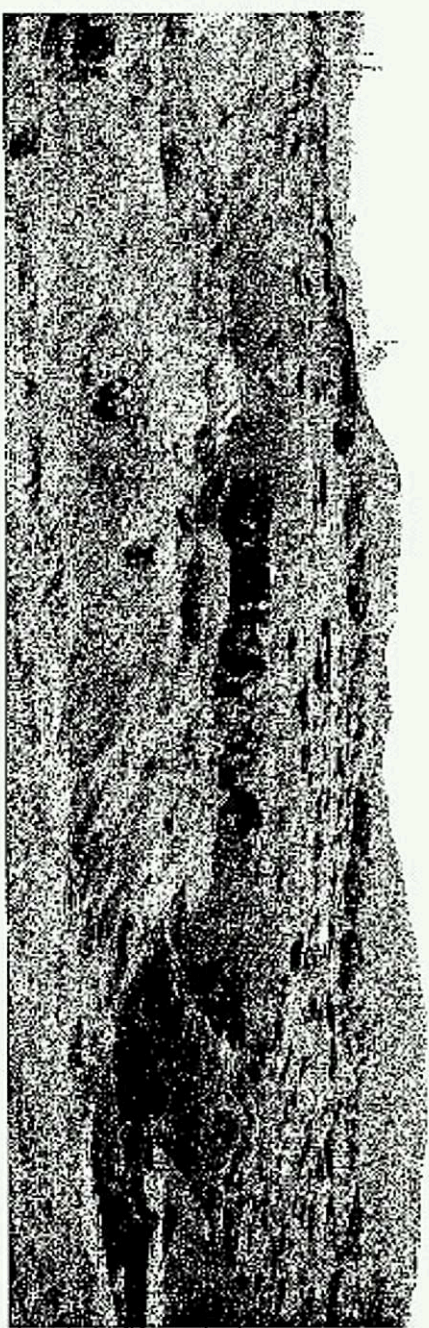




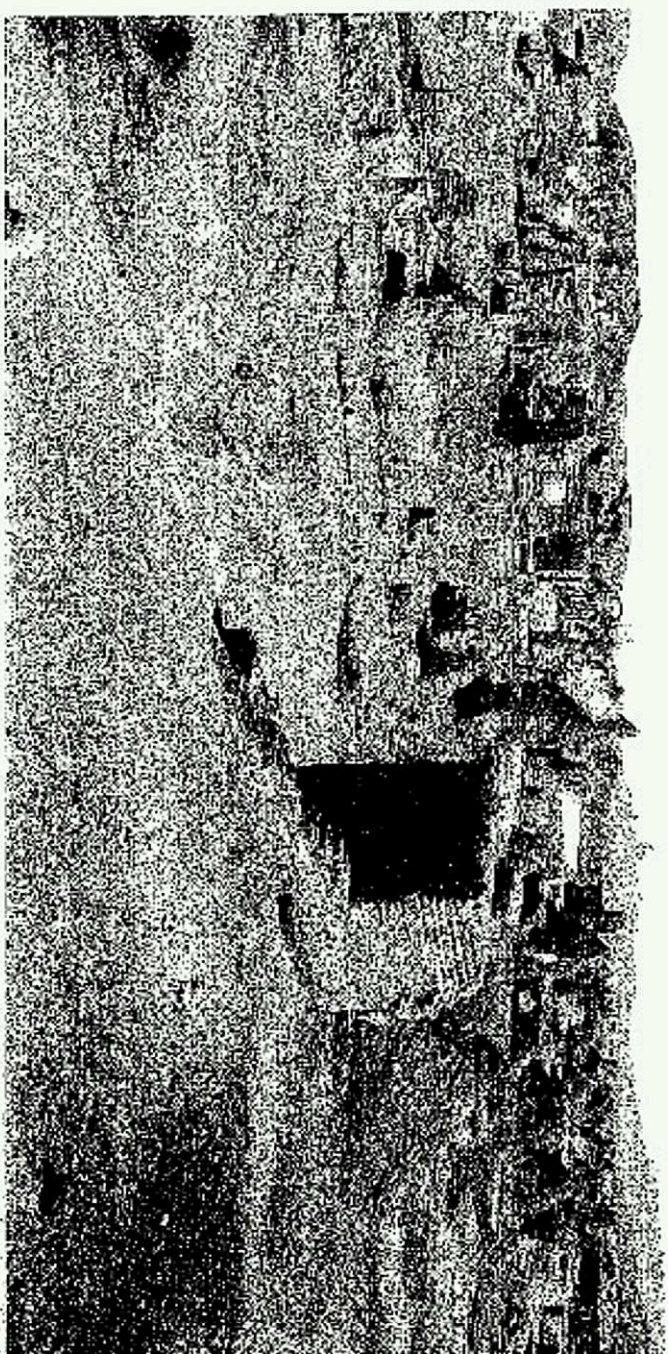
قسم من مناطق الحجر مصقورة في الجبال سنة ١٩١٨
 Vue d'une partie des foudilles prises en acroplane en 1918.



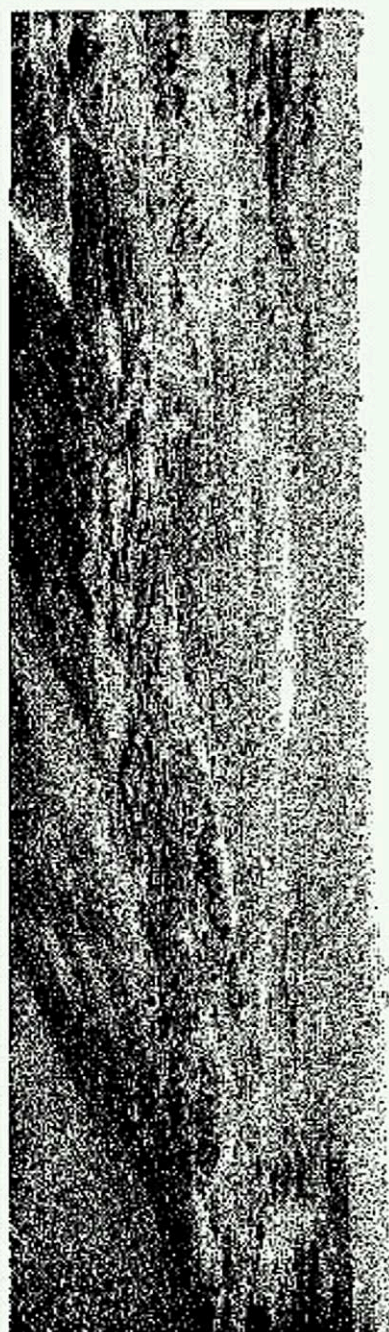
منظر الجرف والرمال النورية. — Vue de Jaqnebe et du ravinier méridional.



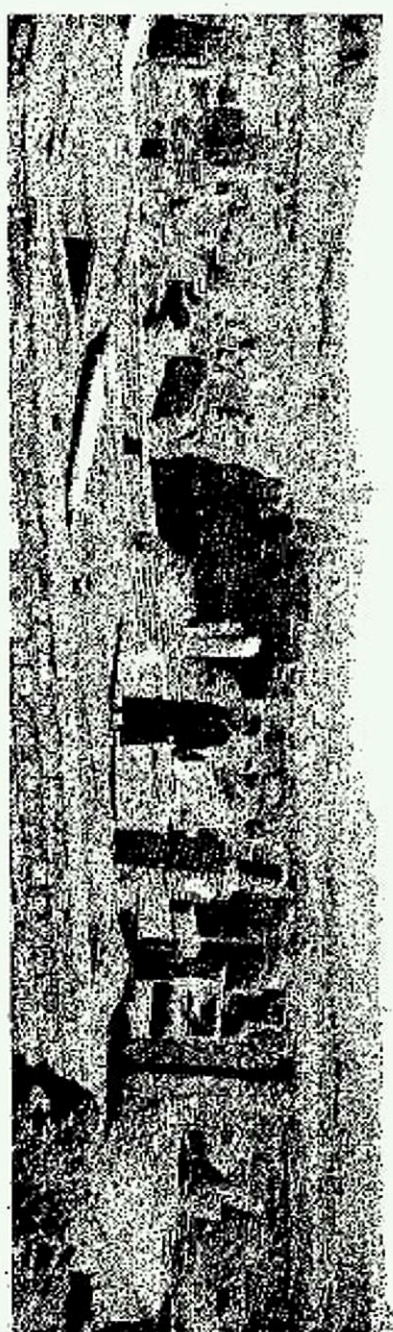
الشمس النورية على عين النورية. — Couines qui dominent Ain-95-Sba.



منظر القسم الأوسط من موقع الحفر — — — — —
View of the central part of the ruins.



منظر عام عن موقع القسطنطينية ...



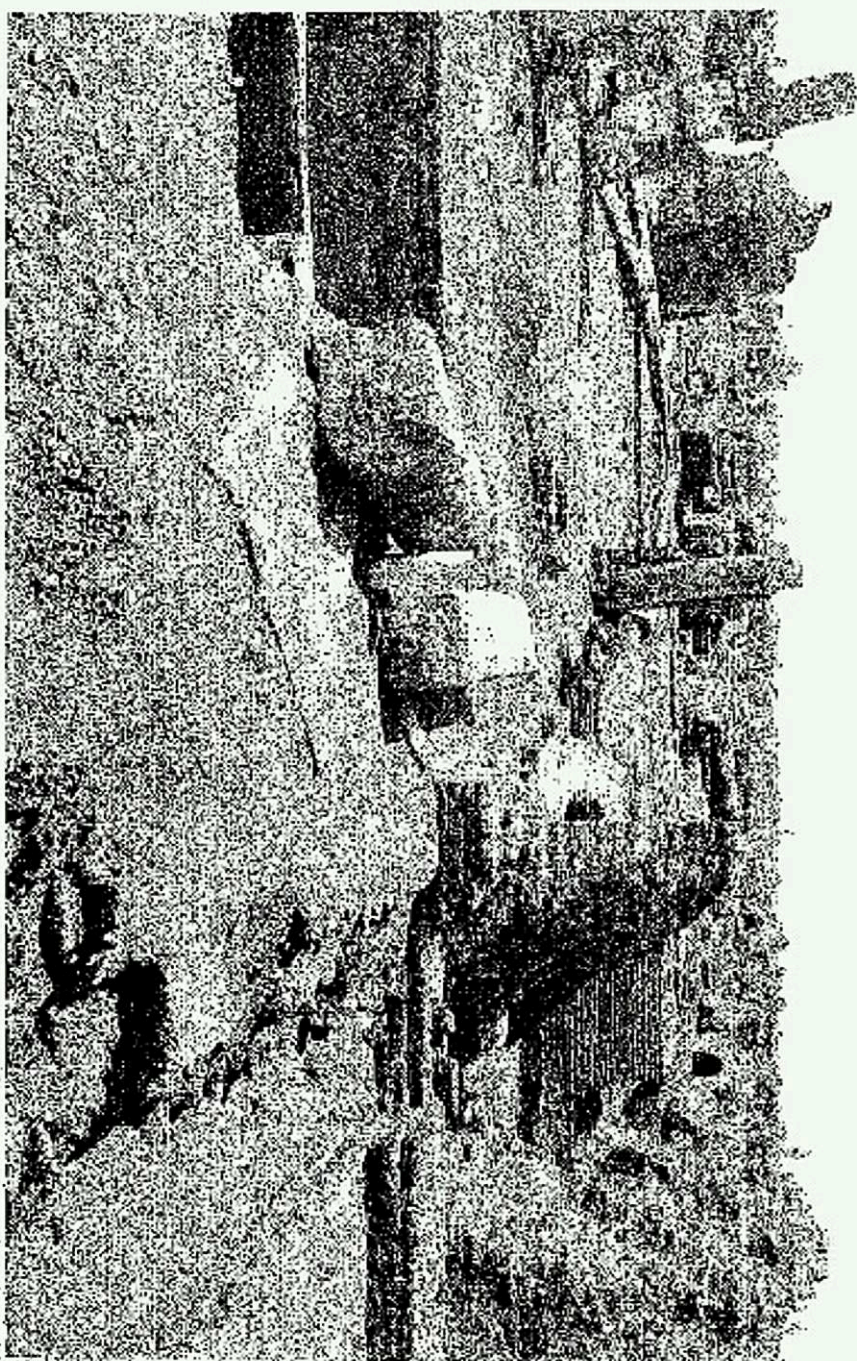
منظر الدار الأولى — Vue de la maison I.



قناة مجرى — Ouverture d'un égout



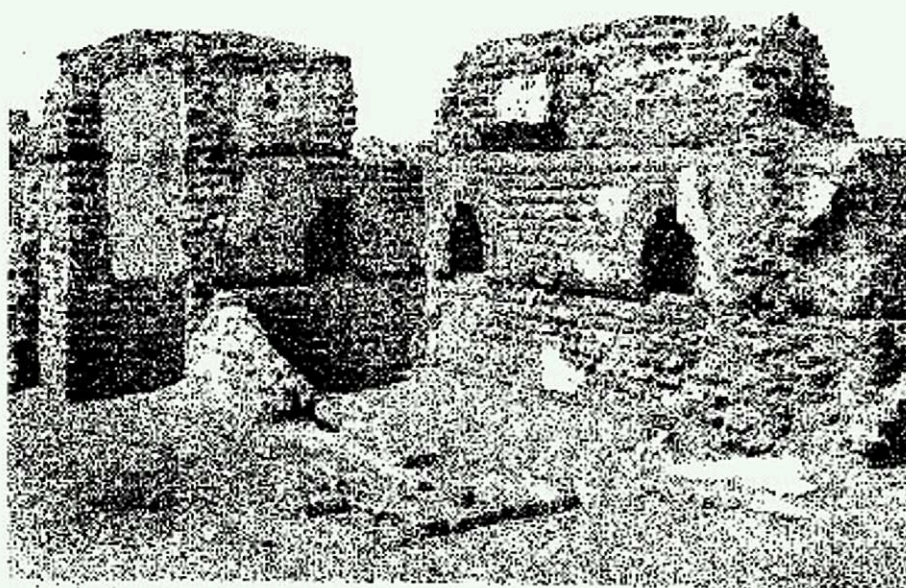
حوش الدار الأولى — Cour de la maison I.



ساحة بيت مع الفارسي - Maison I -



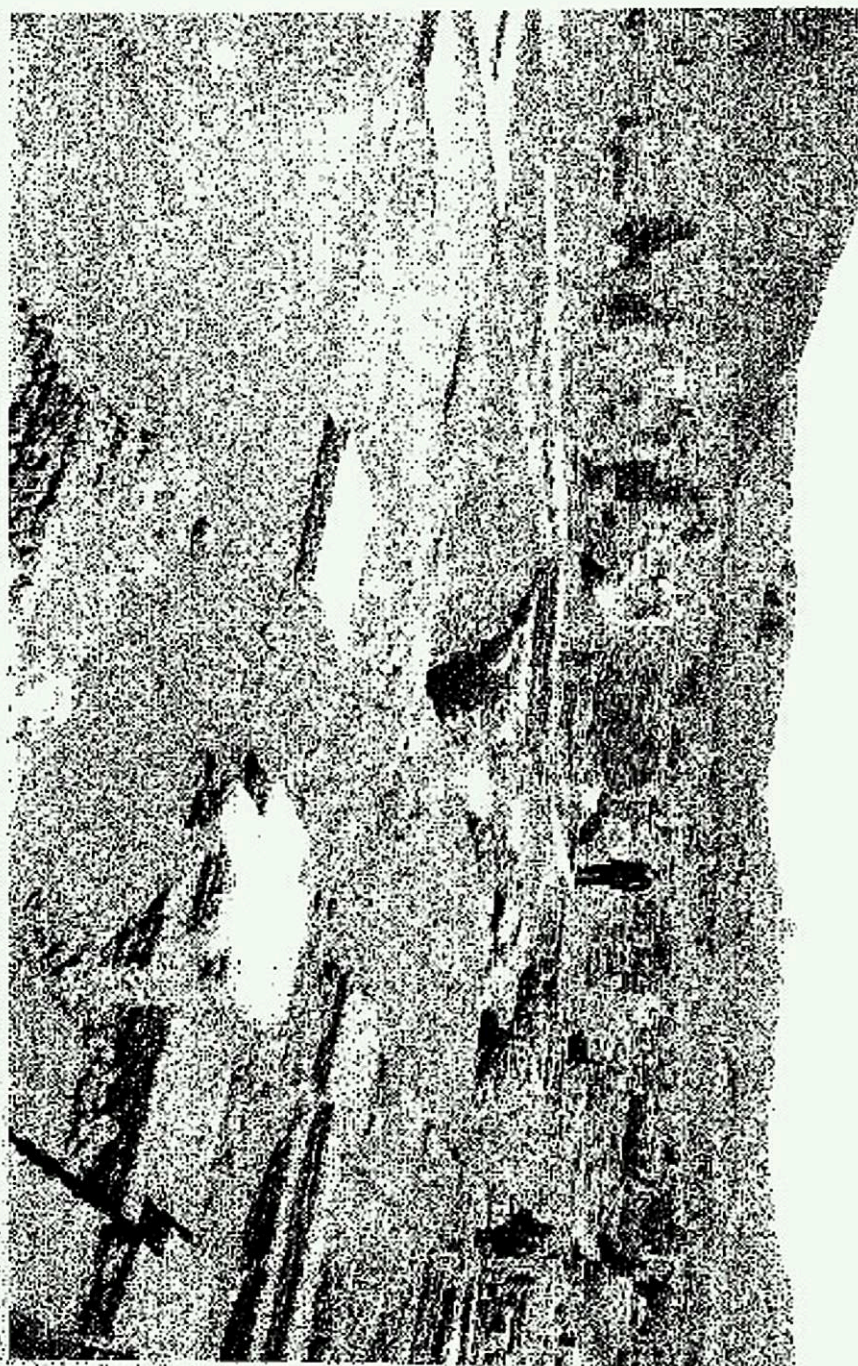
Vue de la maison II. — الدار الثانية



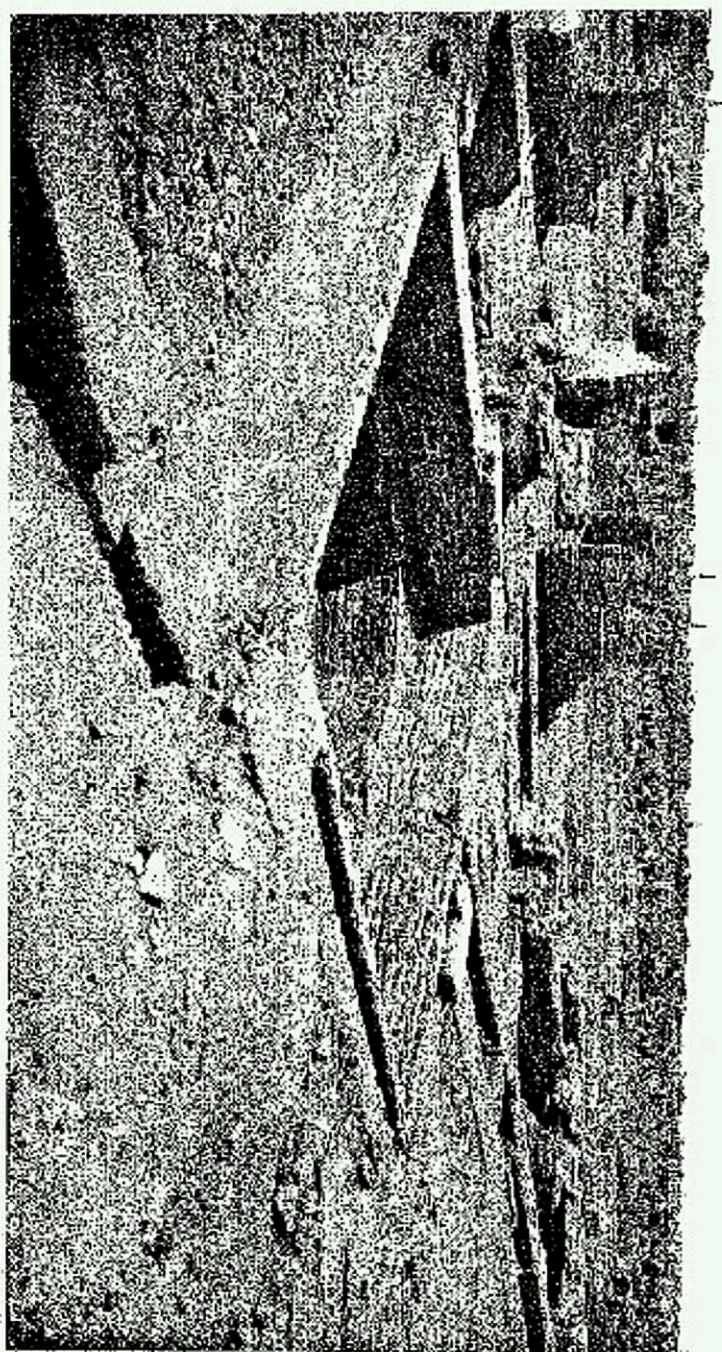
Détails d'une salle de la maison II. — تفاصيل قاعة من الدار الثانية

(Pl. XI.)

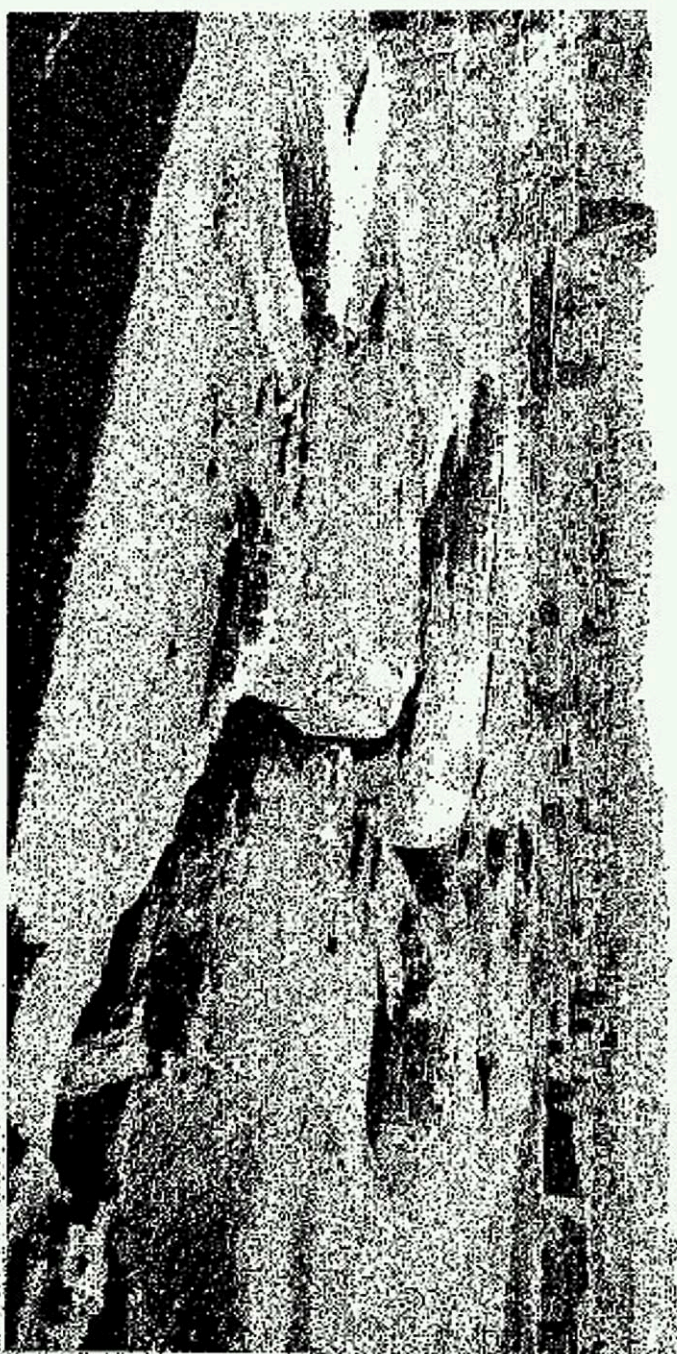
(11-5-5-5)



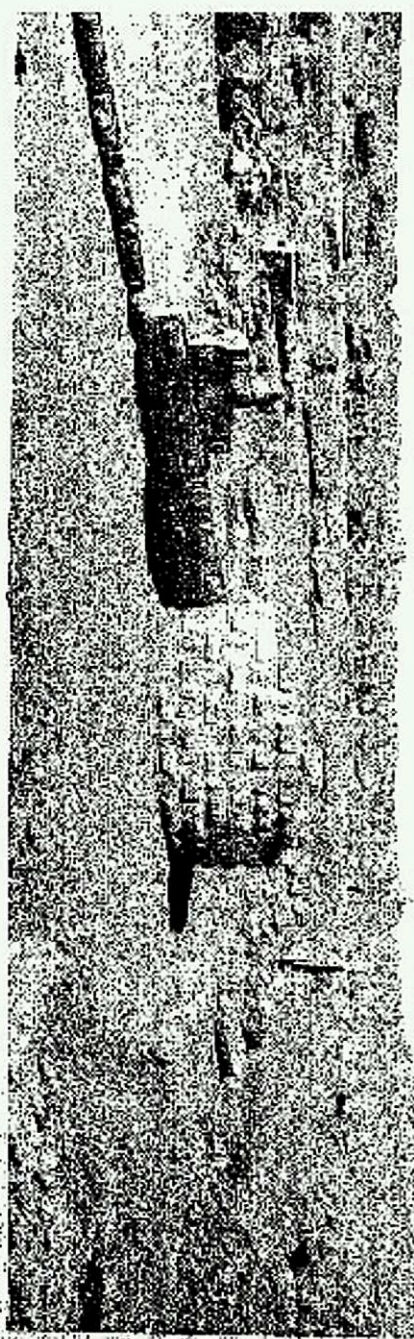
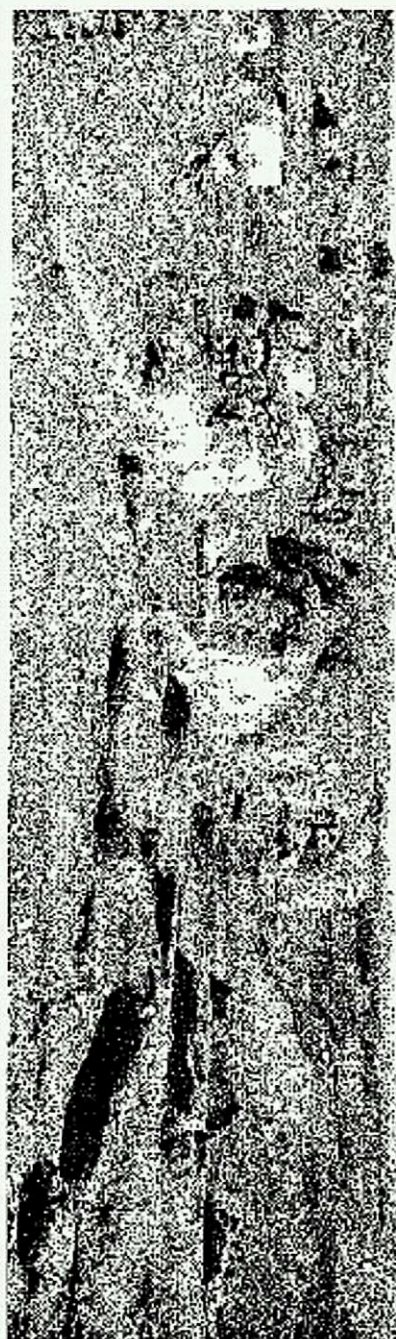
Mineral III. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 841. 842. 843. 844. 845. 846. 847. 848. 849. 850. 851. 852. 853. 854. 855. 856. 857. 858. 859. 860. 861. 862. 863. 864. 865. 866. 867. 868. 869. 870. 871. 872. 873. 874. 875. 876. 877. 878. 879. 880. 881. 882. 883. 884. 885. 886. 887. 888. 889. 890. 891. 892. 893. 894. 895. 896. 897. 898. 899. 900. 901. 902. 903. 904. 905. 906. 907. 908. 909. 910. 911. 912. 913. 914. 915. 916. 917. 918. 919. 920. 921. 922. 923. 924. 925. 926. 927. 928. 929. 930. 931. 932. 933. 934. 935. 936. 937. 938. 939. 940. 941. 942. 943. 944. 945. 946. 947. 948. 949. 950. 951. 952. 953. 954. 955. 956. 957. 958. 959. 960. 961. 962. 963. 964. 965. 966. 967. 968. 969. 970. 971. 972. 973. 974. 975. 976. 977. 978. 979. 980. 981. 982. 983. 984. 985. 986. 987. 988. 989. 990. 991. 992. 993. 994. 995. 996. 997. 998. 999. 1000.



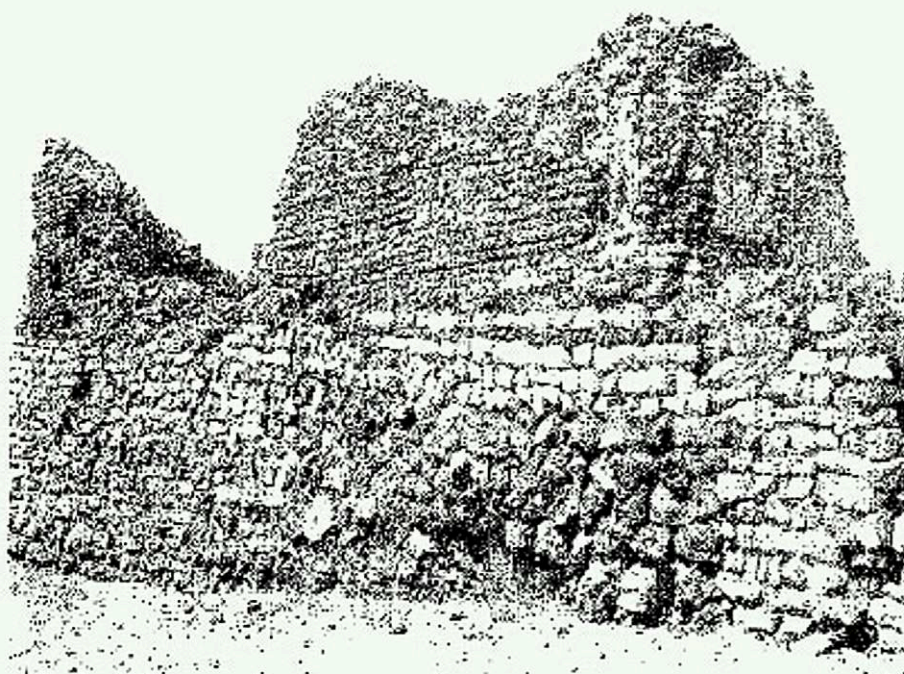
المنارة VI, Malson



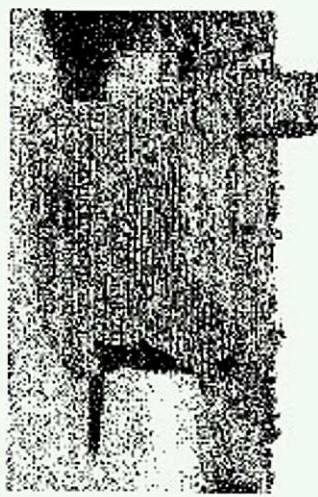
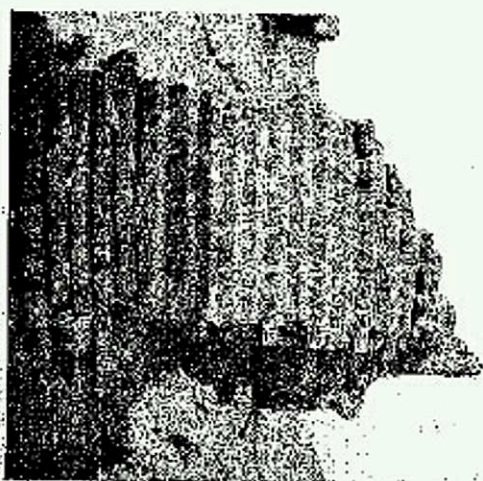
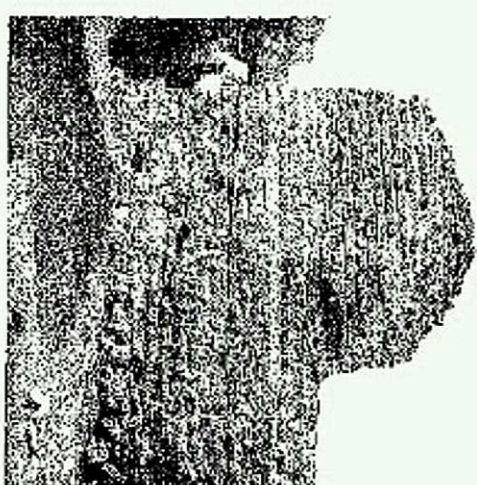
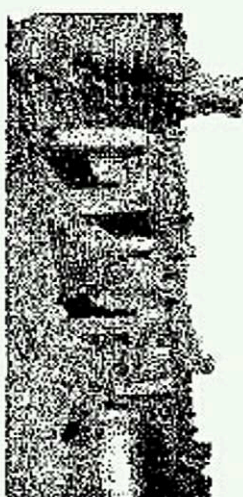
مظهر الإله في المعبد. - Aspect des travaux d'assèchement.

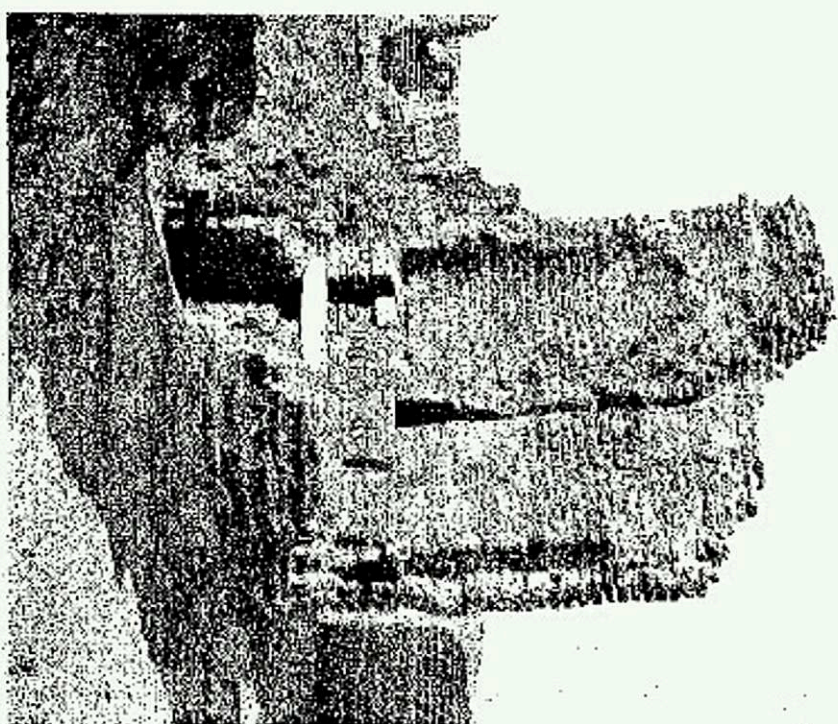
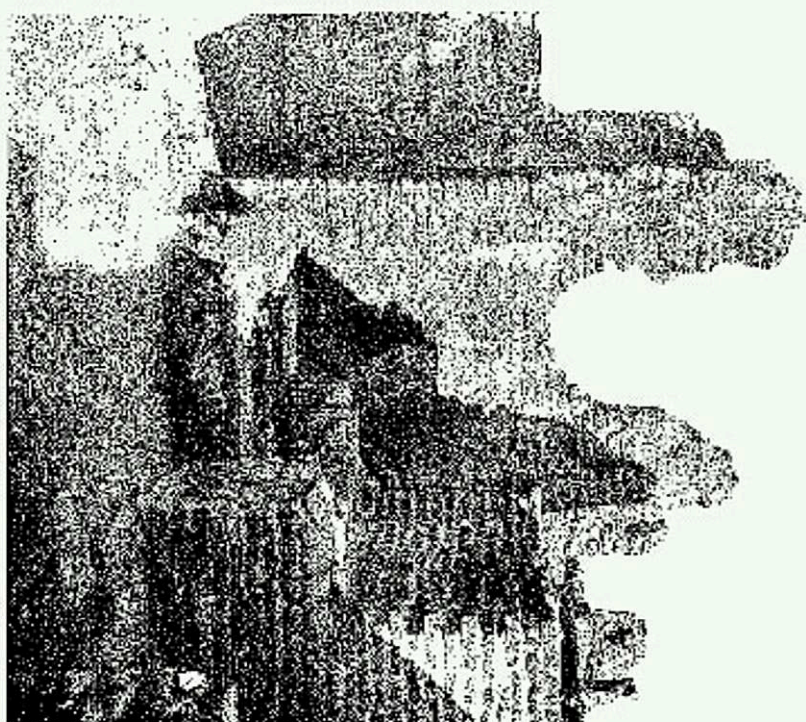


مور صليبي القوي — مور صليبي



Détails de construction. — تفاصيل من البناء





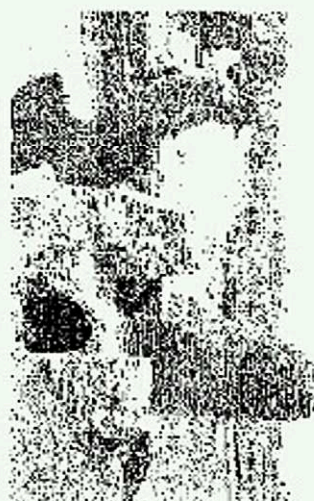
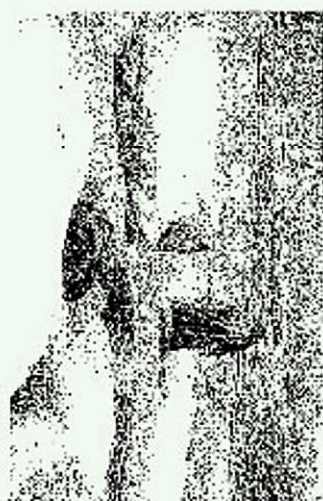
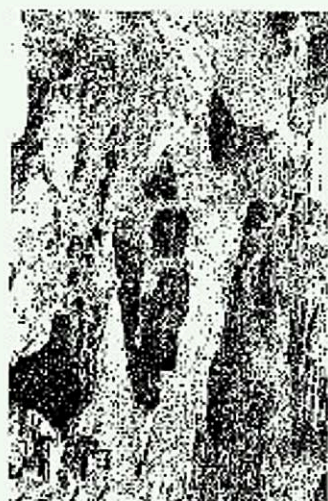


PLATE 1

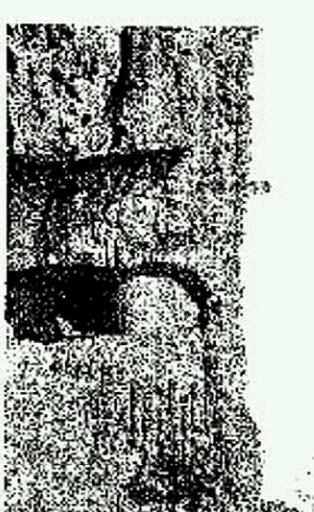
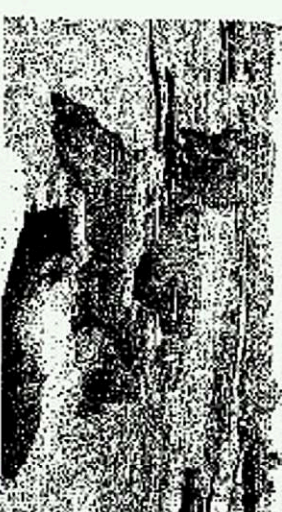
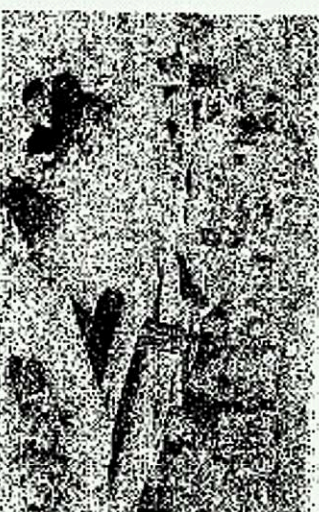
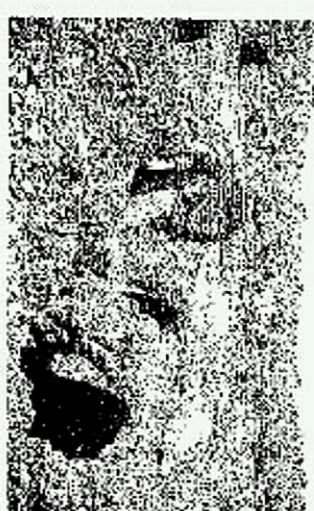
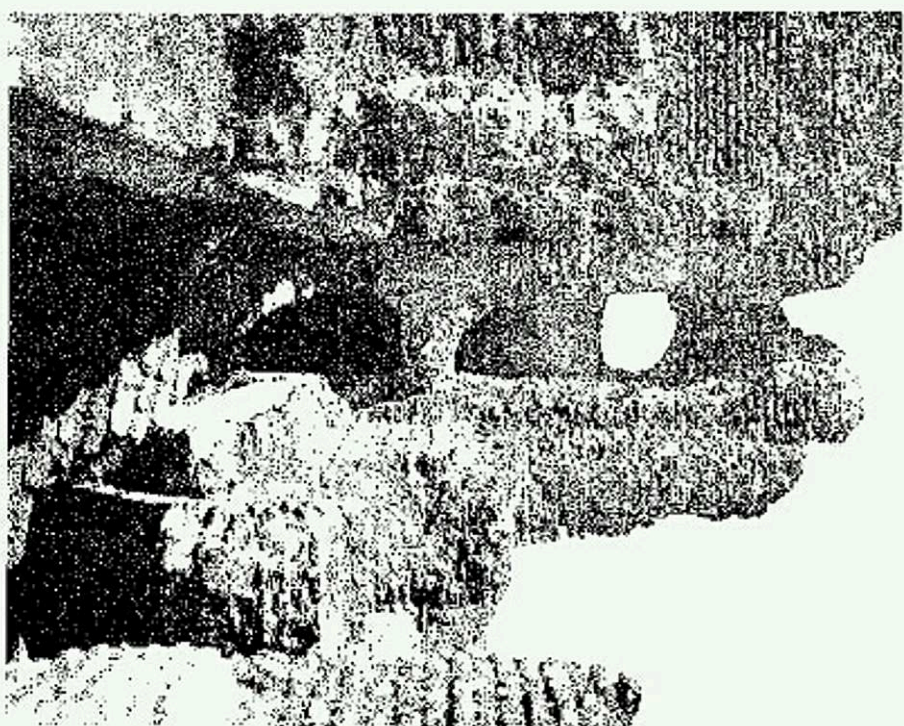


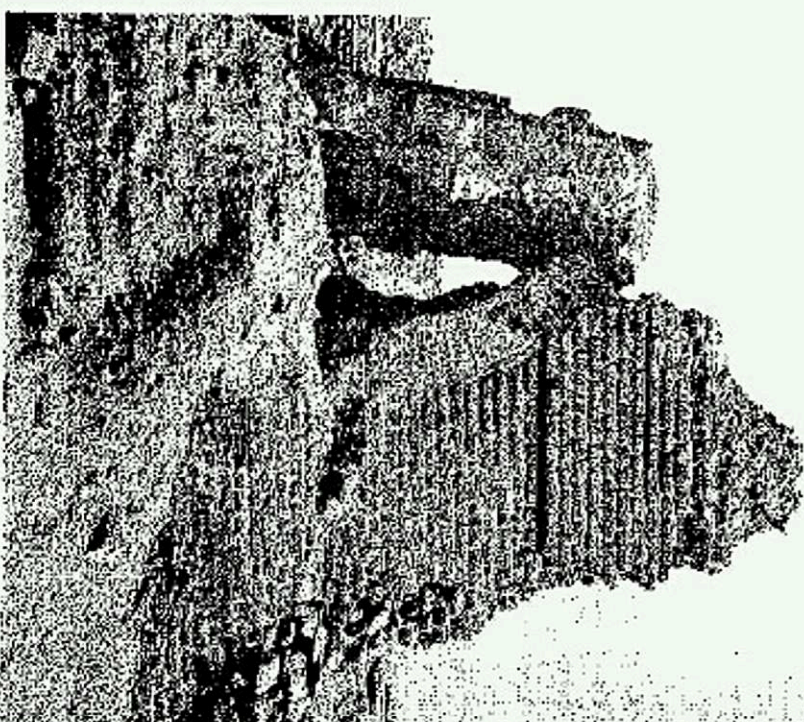
PLATE 2

(61, 214)

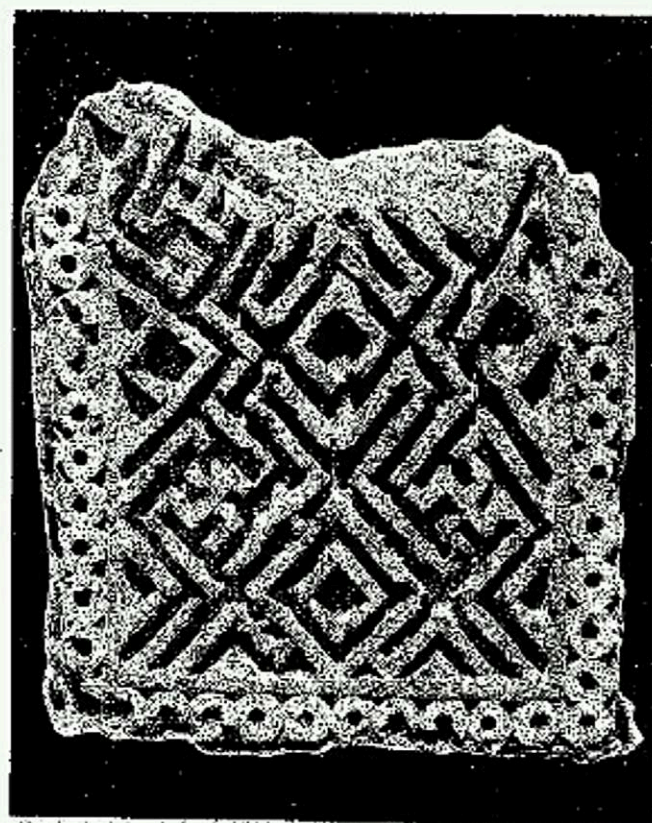
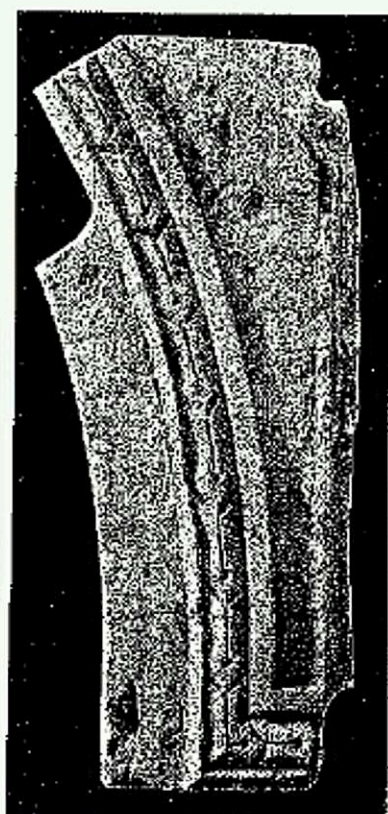
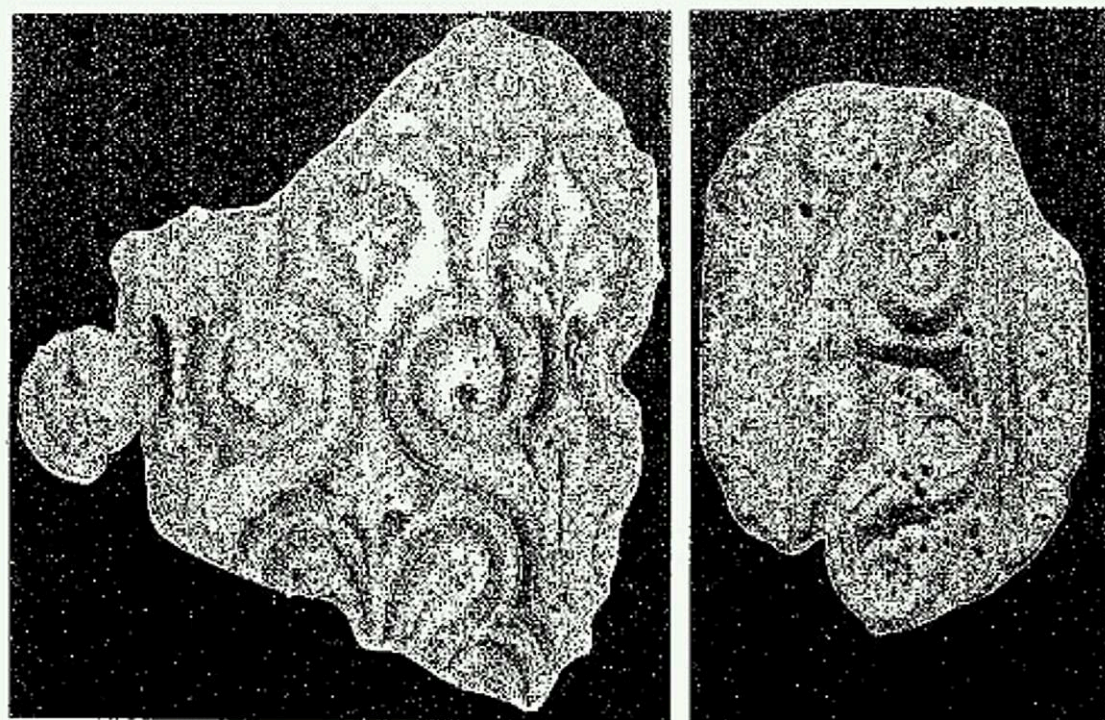


Exemple d'excavation. — Al-Jaylani

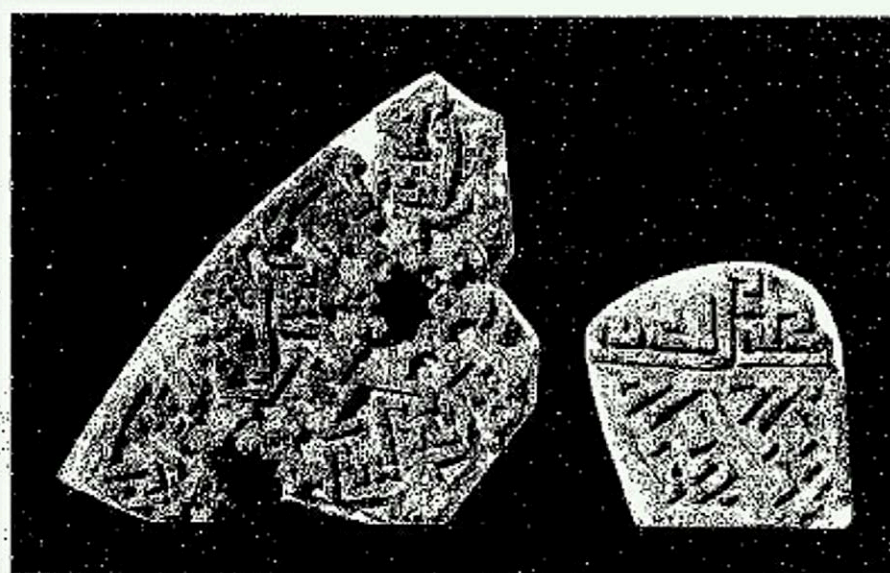
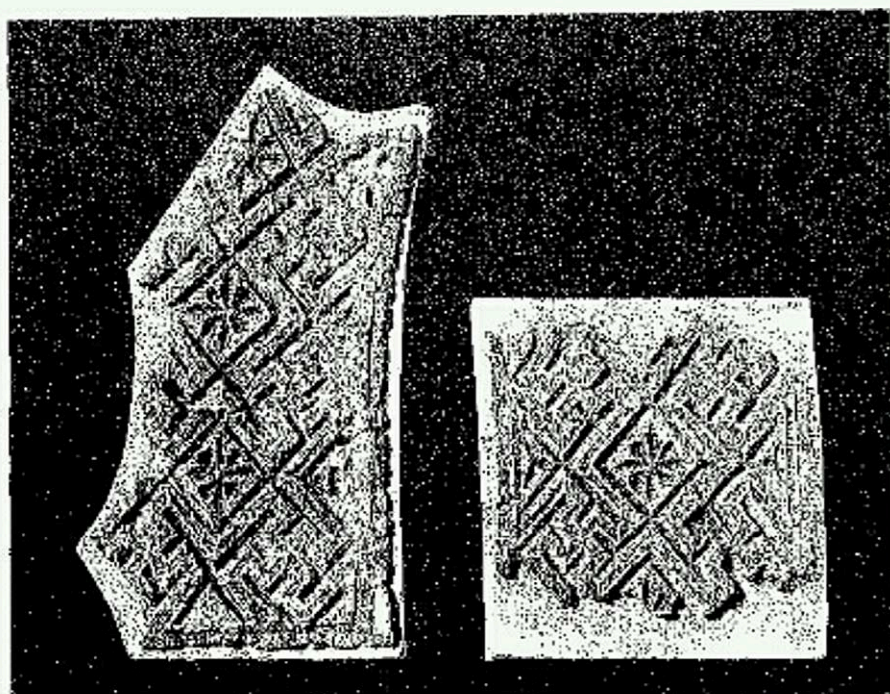
(11, 112-113)



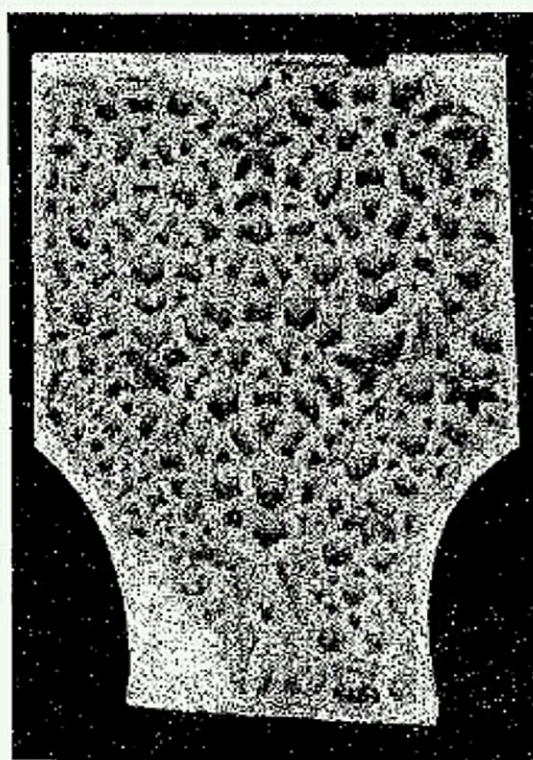
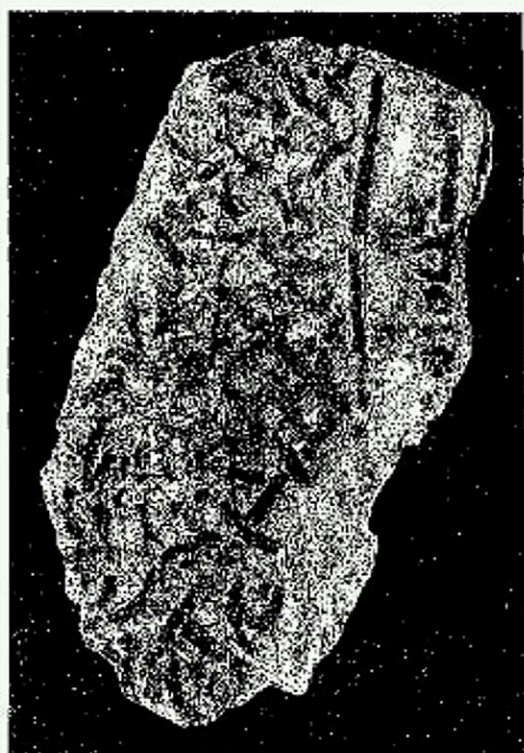
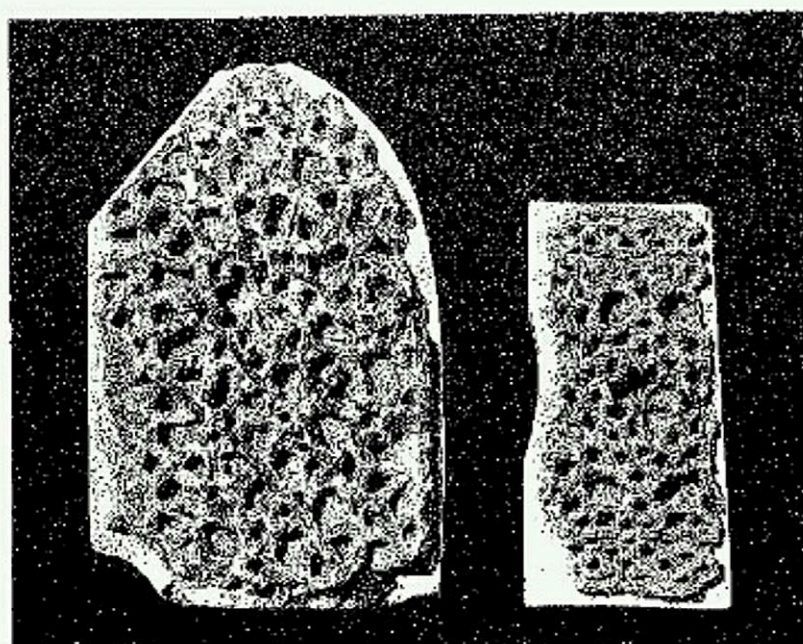
Détails de maçonnerie. — Al-Jaylani



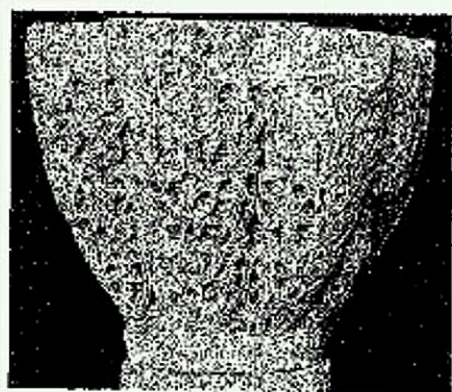
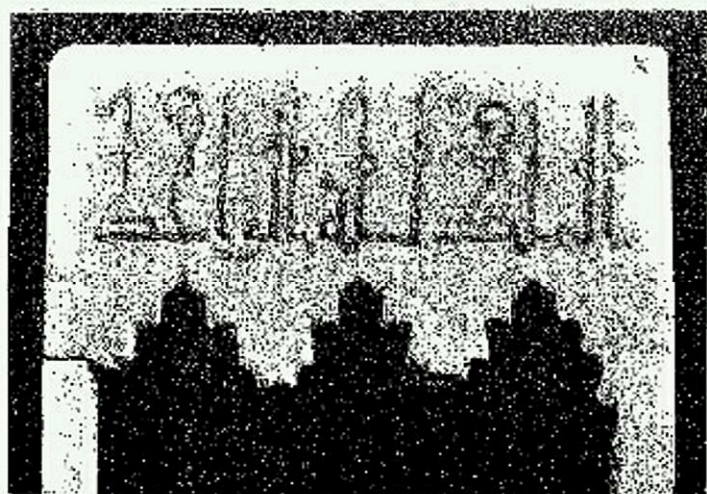
زنگنه ايجن ← Rezner en gilitre



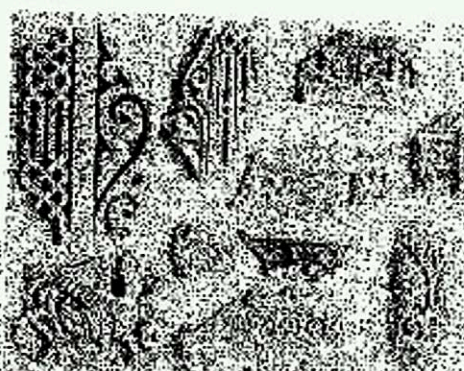
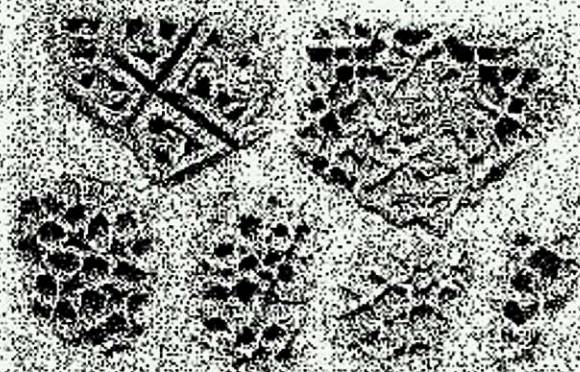
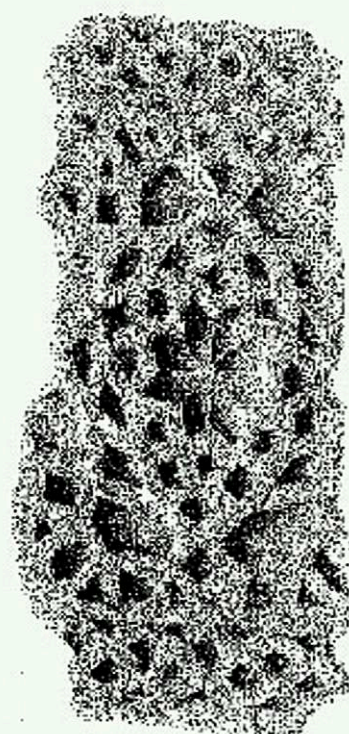
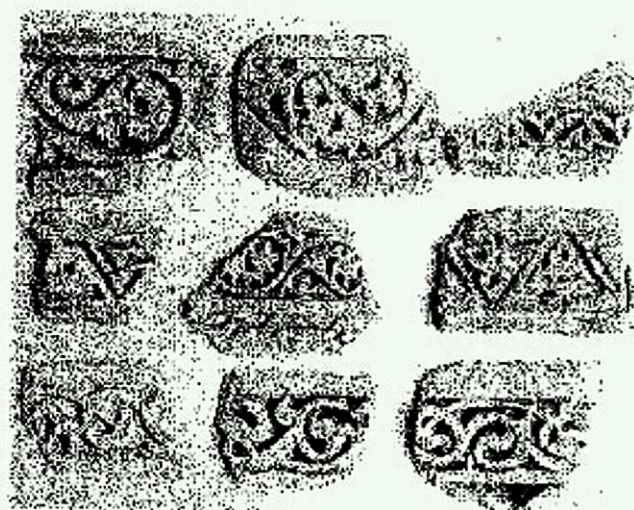
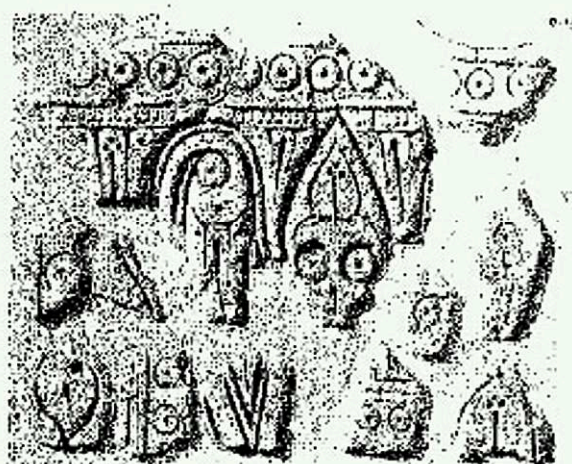
Fragmente Décoratifs. — نماذج زینتی

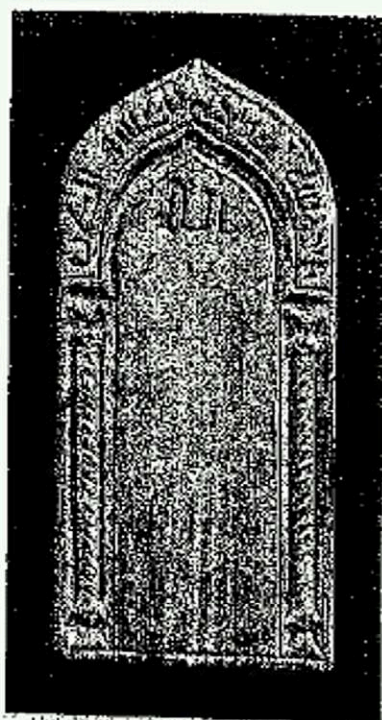
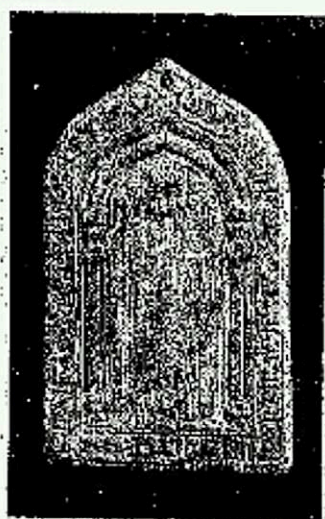
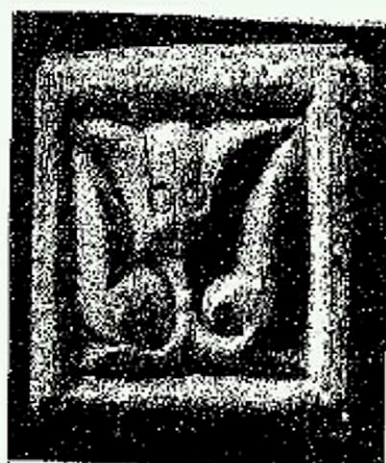
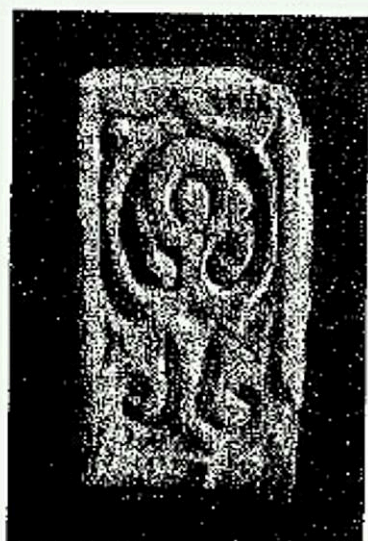
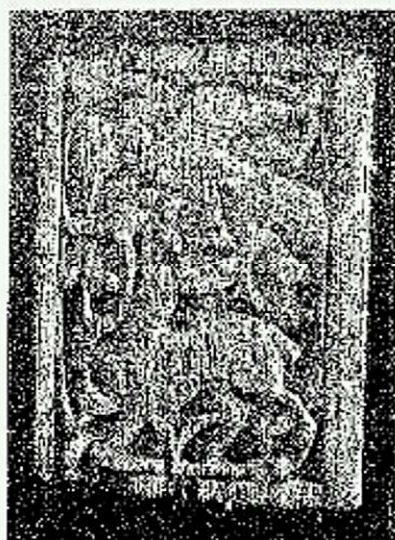


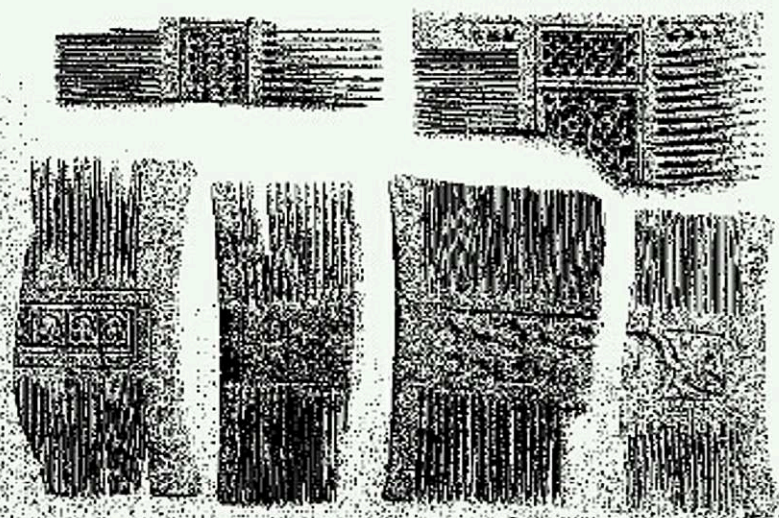
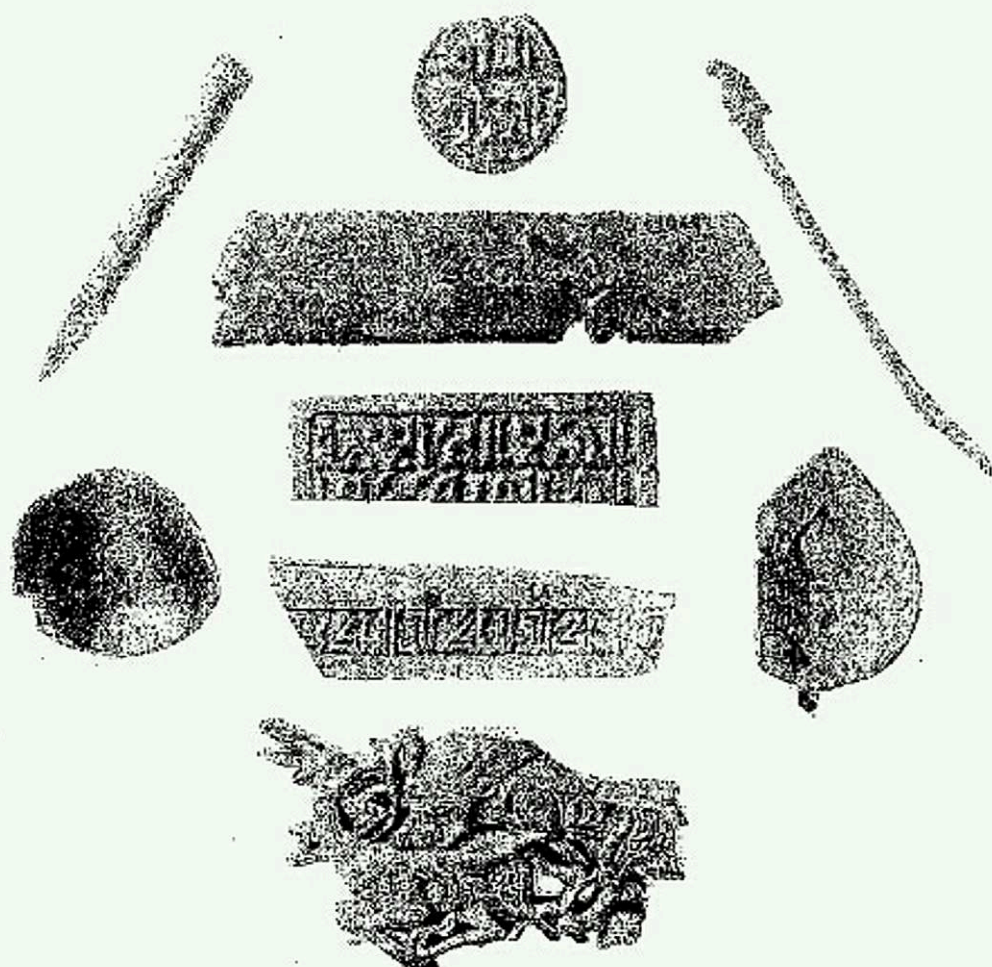
فکاج زخارف -- Fragments Décoratifs



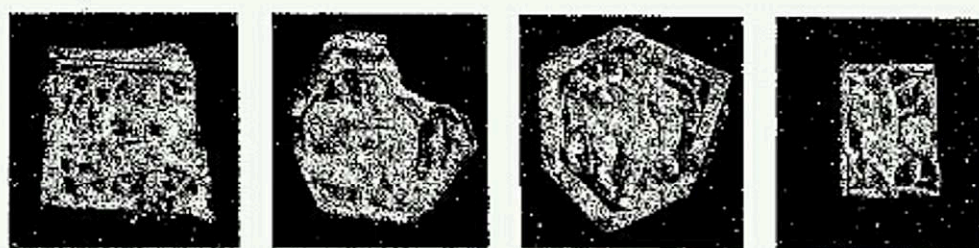
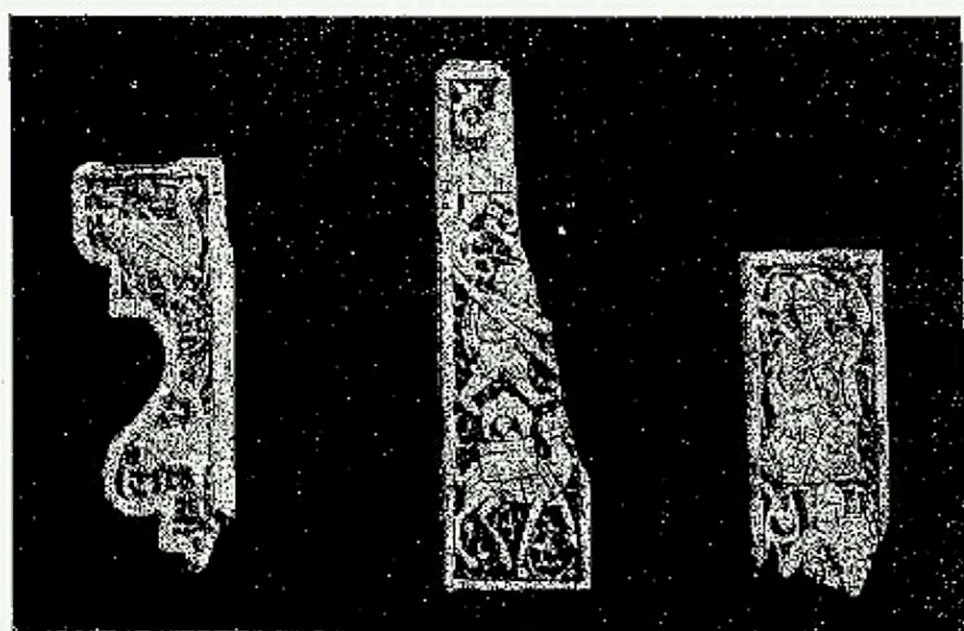
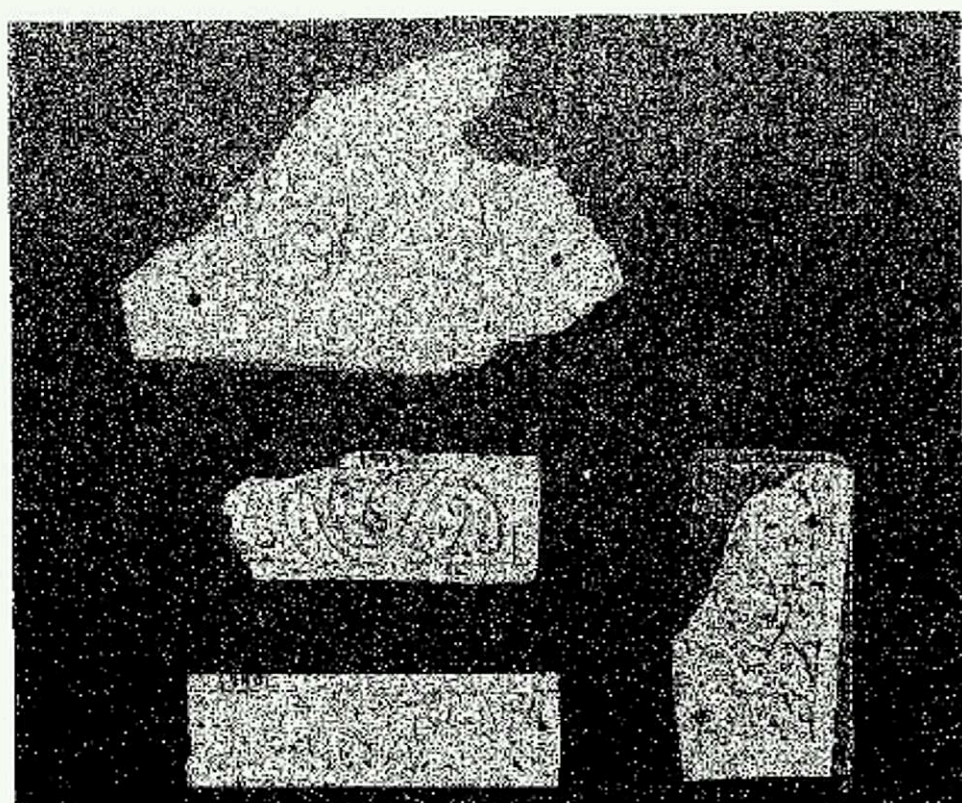
الشیع مصنوعات - محراب و جام - Objects of stone and marble



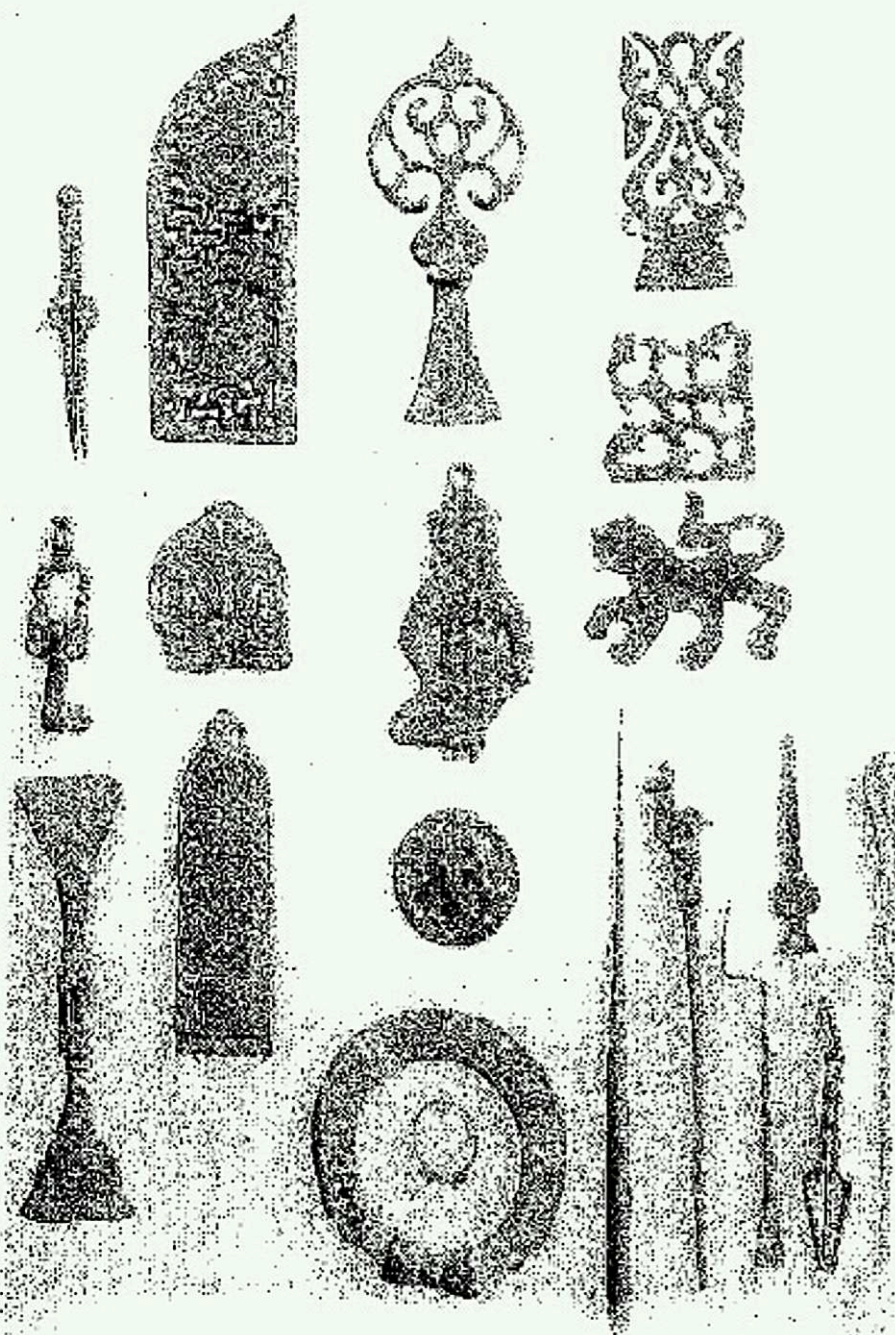




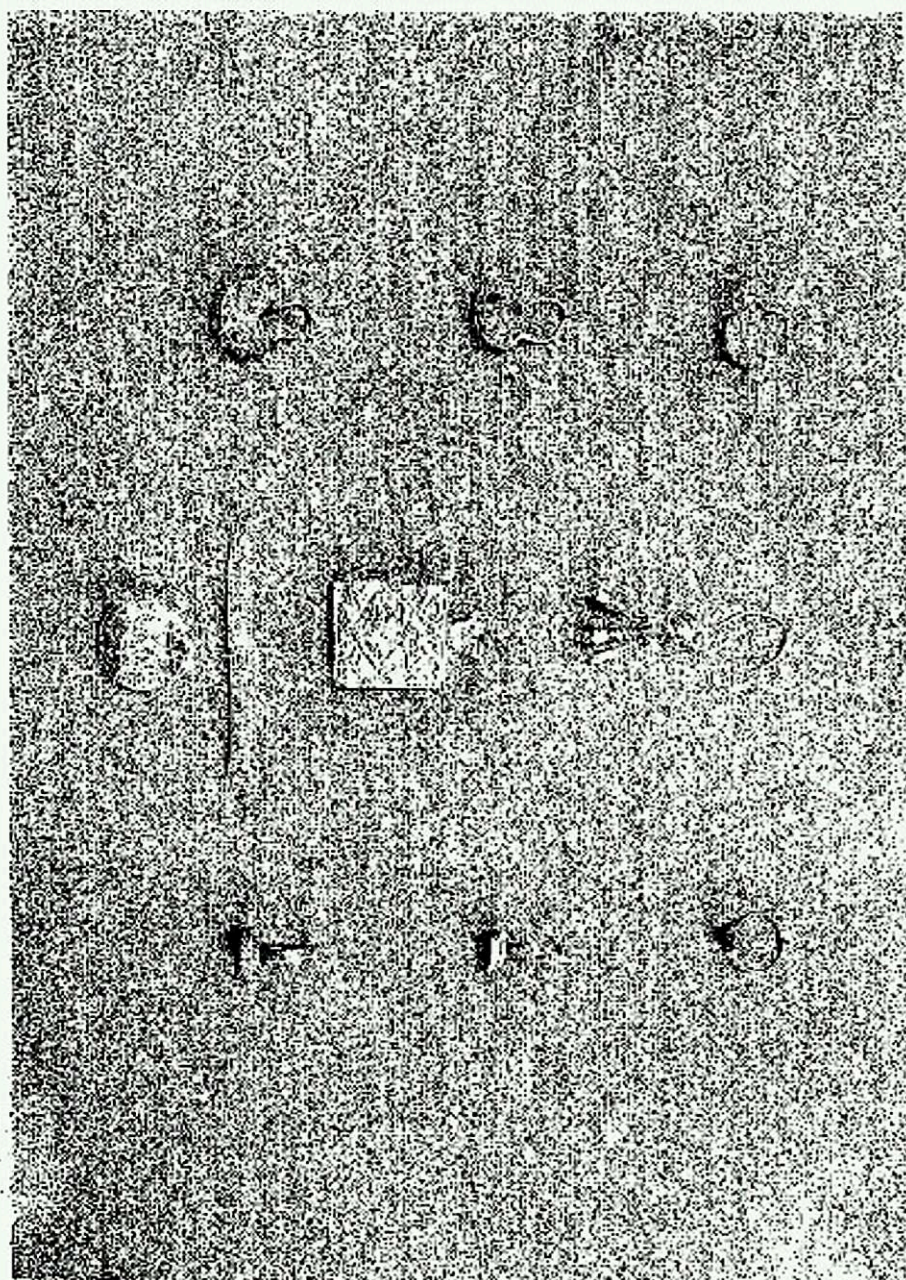
Fragments de bois sculptés. — قطع من الخشب المنقوش.



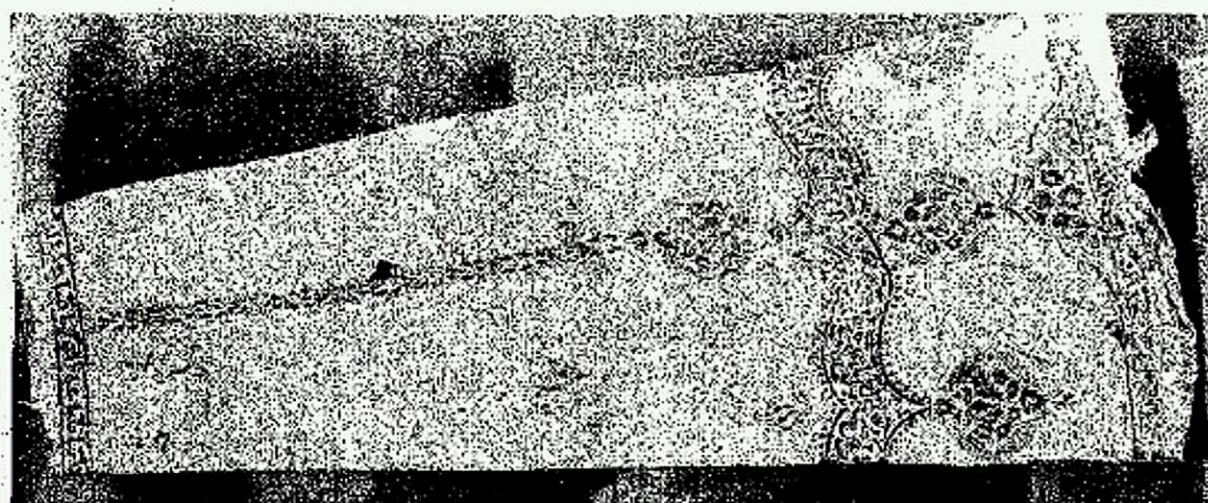
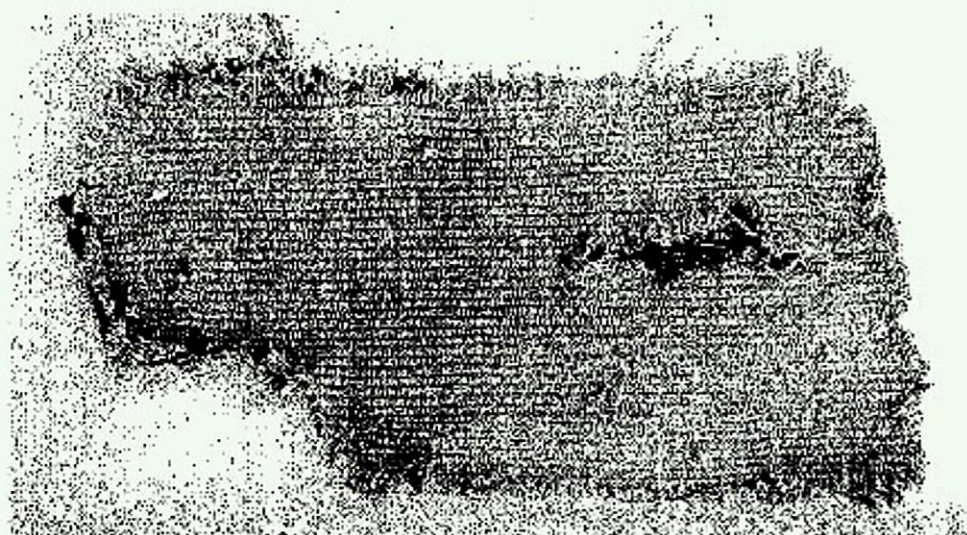
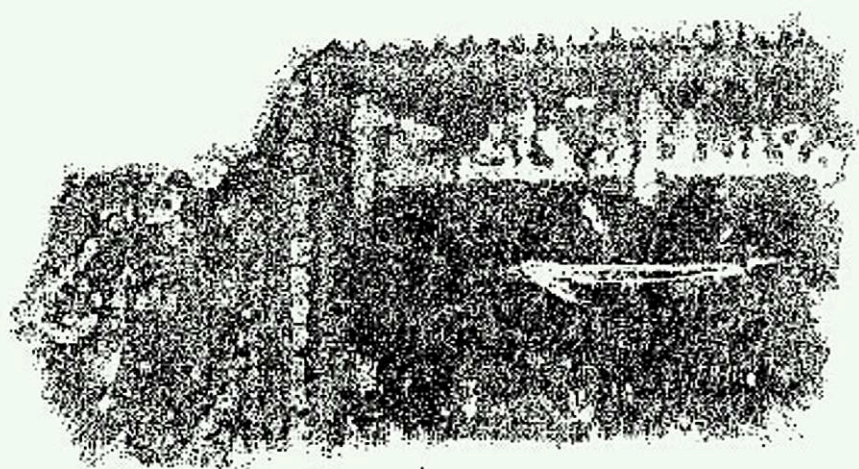
قطع من شجرة من العظم والعاج — Fragments d'os et d'ivoire.



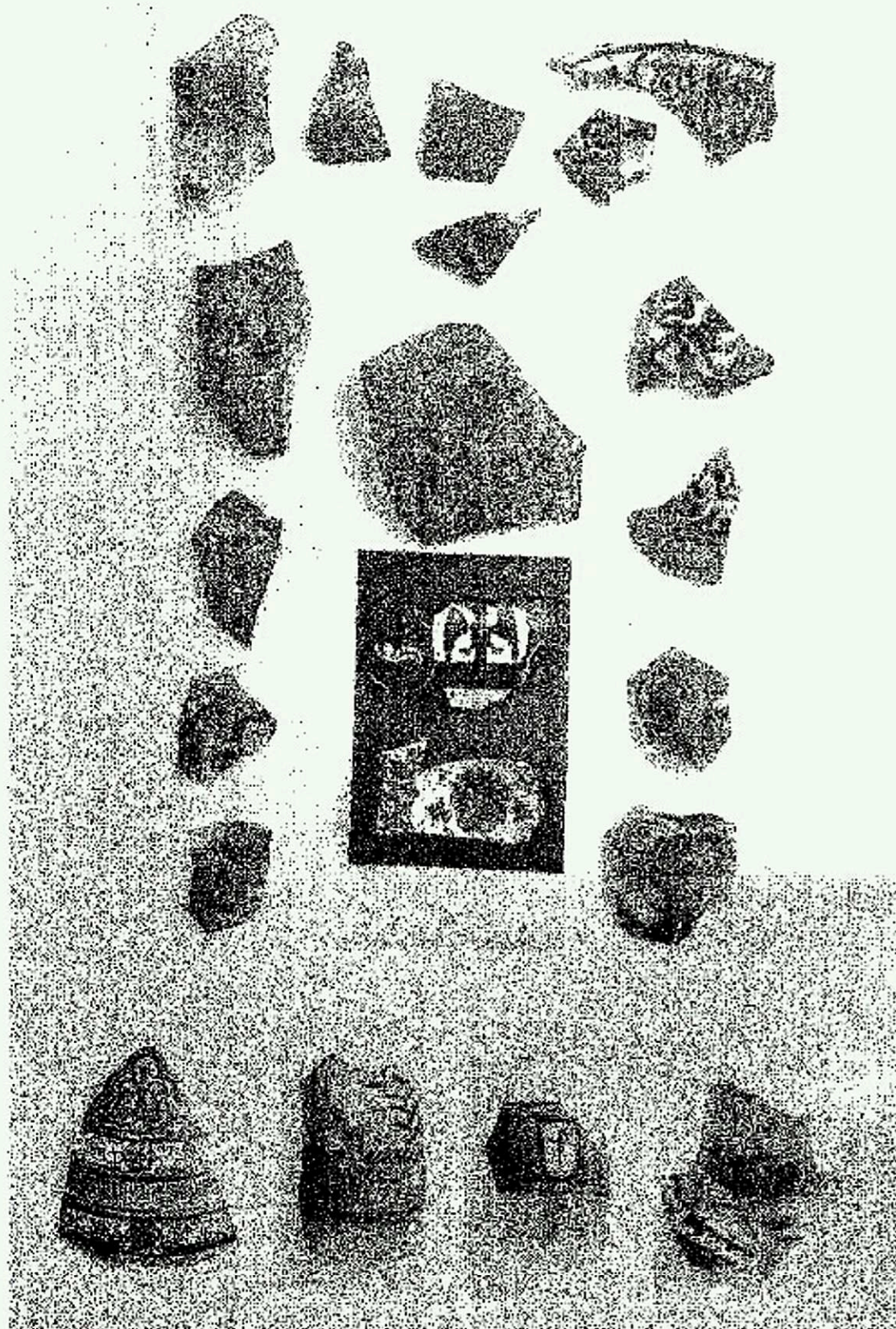
مصنوعات من النحاس — Objects en cuivre



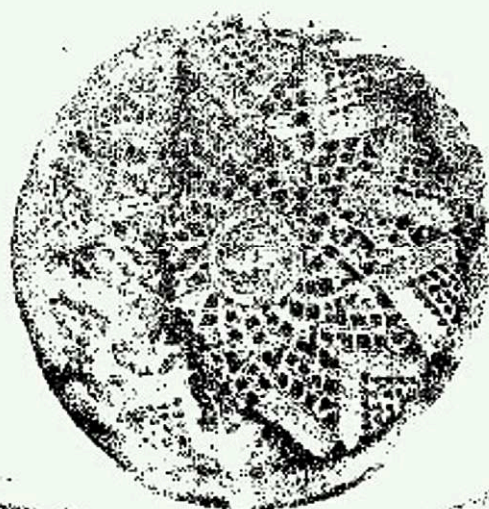
مکتوبات بن العاصی — درجہ ۵۰



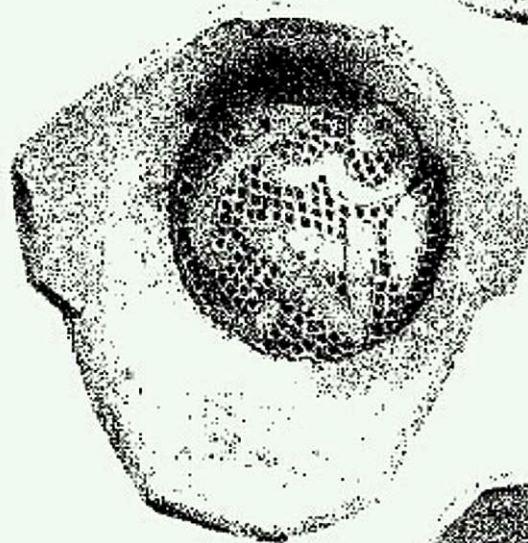
نقش و نگار من سجاده و کتب - Fragments de tapis et de livres.



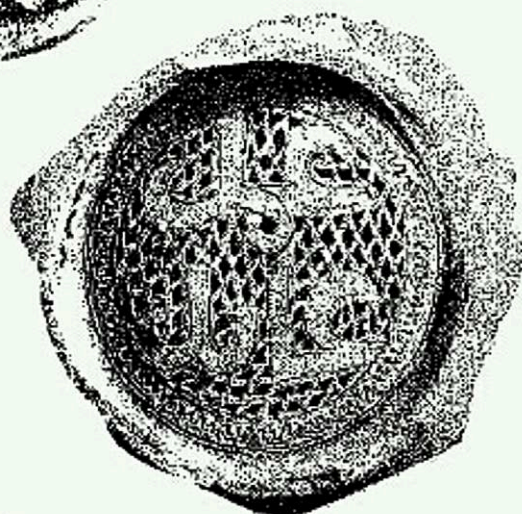
قطع من الزجاج المغطى بالطلاء -- Fragments de verre émaillé.



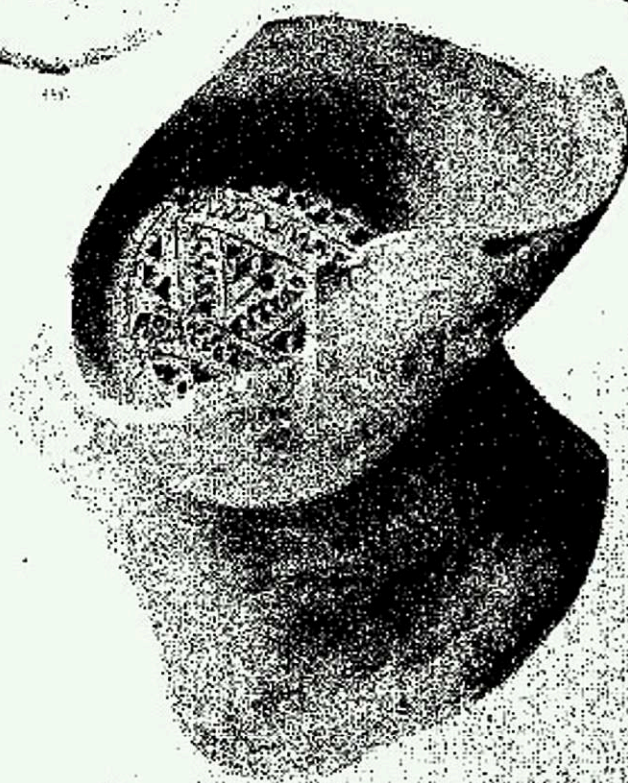
121

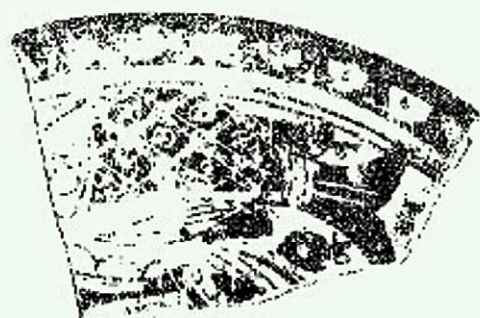


122

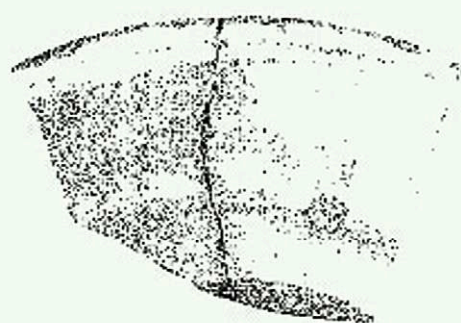


123

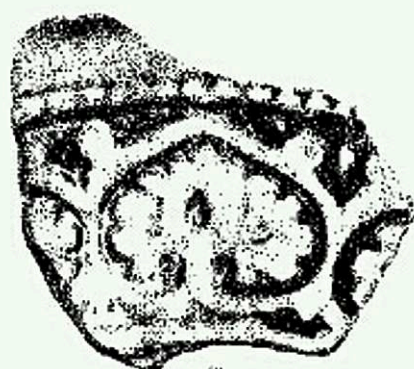




47



48



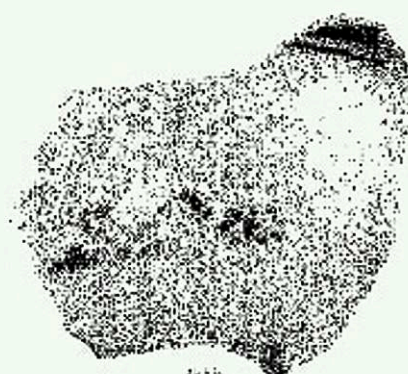
49



50



51



52



53



54

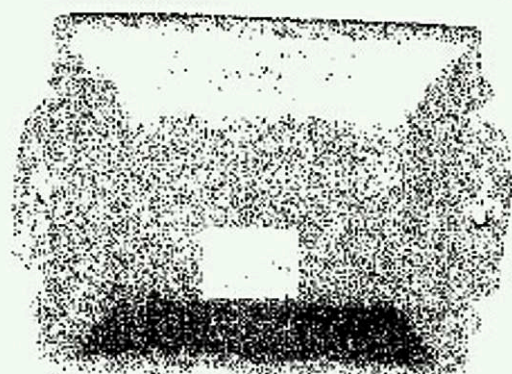




31



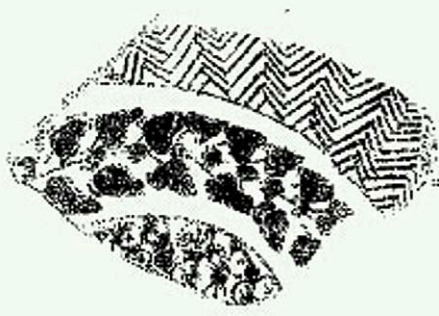
31 bis



32



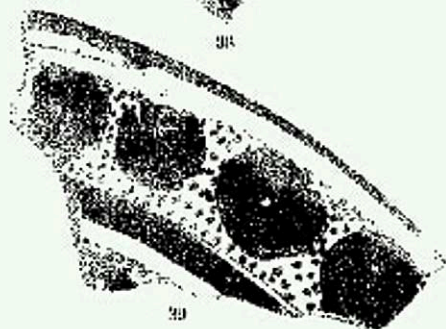
33



34



35



36





15



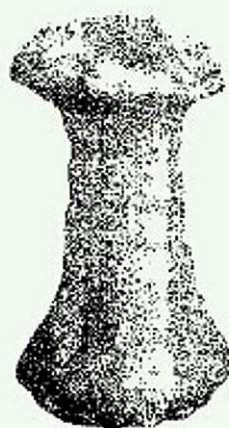
16



17



18



19



20



21



22



23



24



25



26



27



28



29



30



31



32



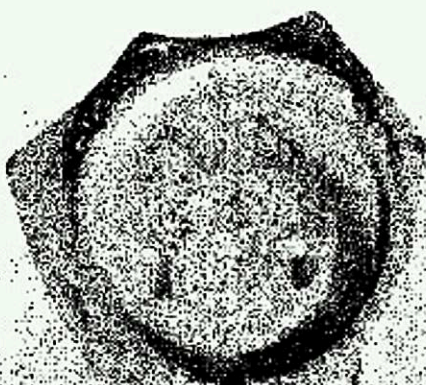
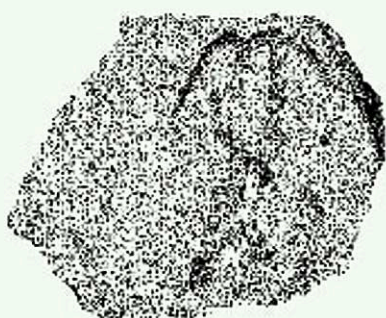
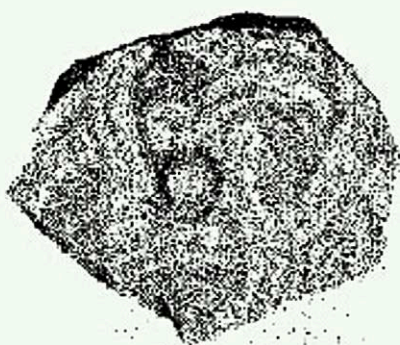
33

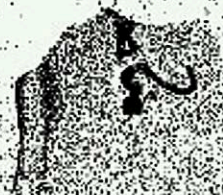
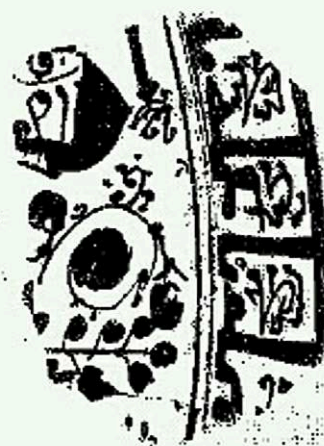


34

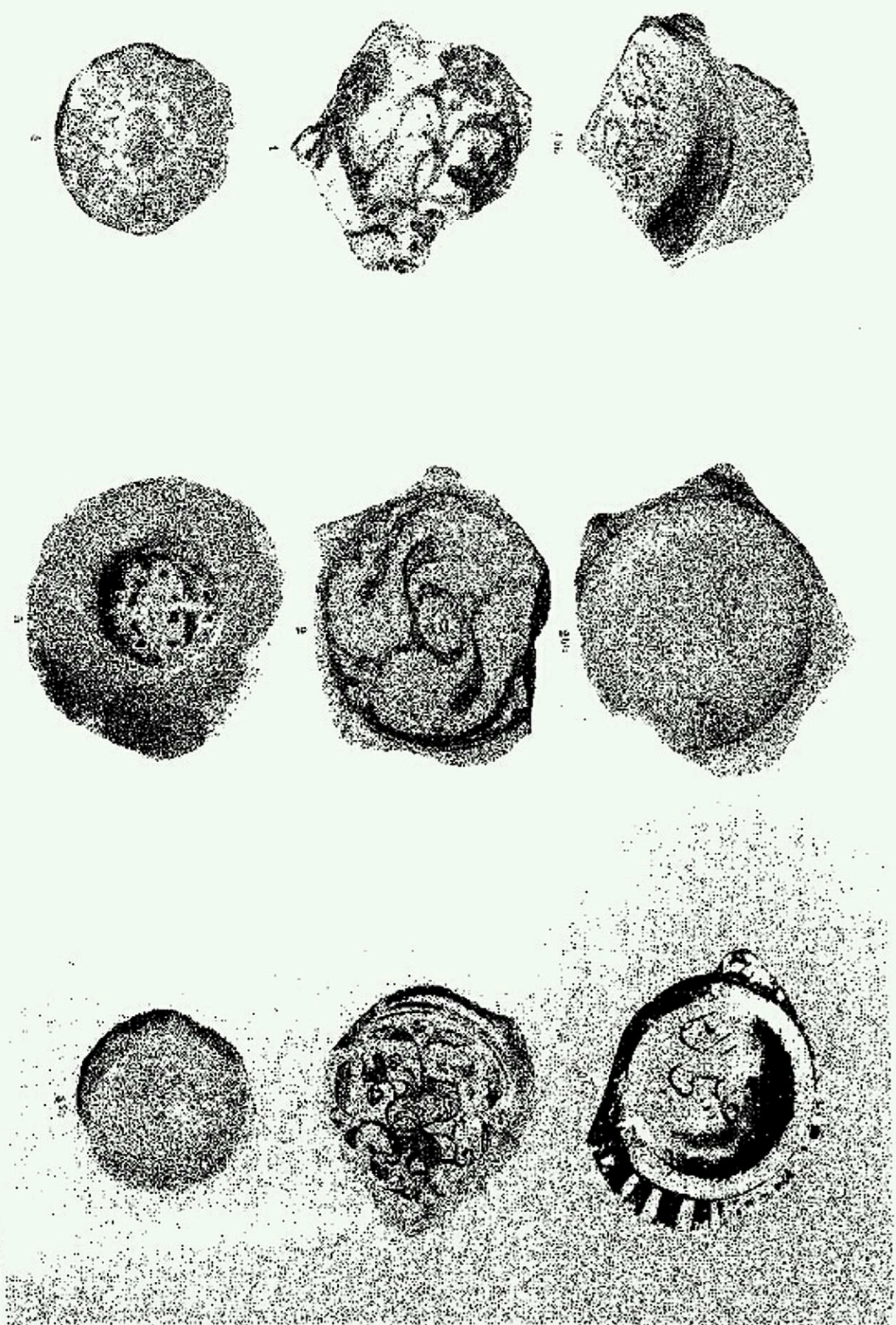


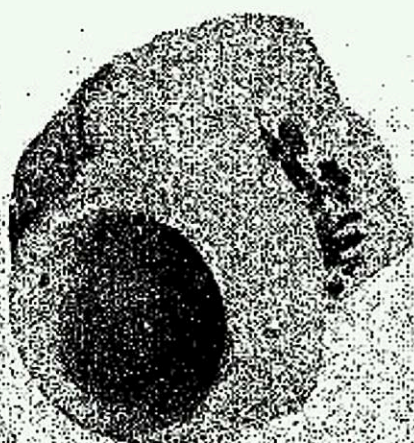
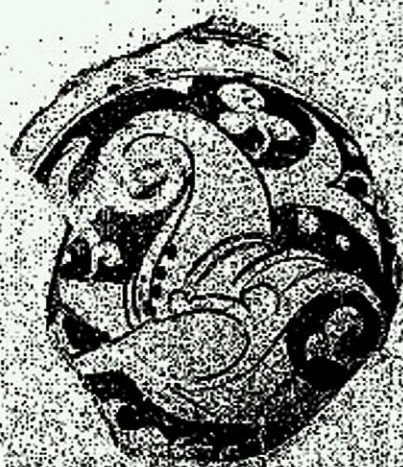
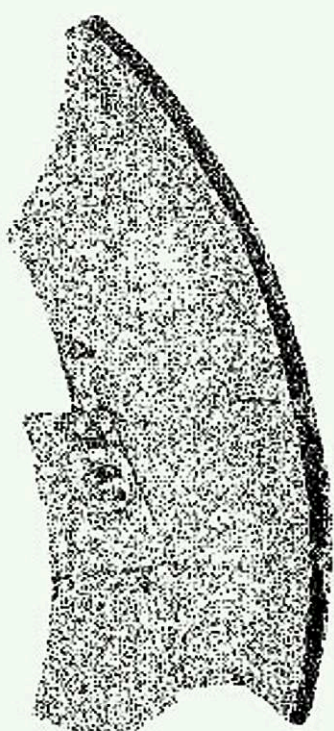
35





Alors, pour l'usage, sur la droite des (56-1)
Tropes, on trouve (56-1) et (56-2).





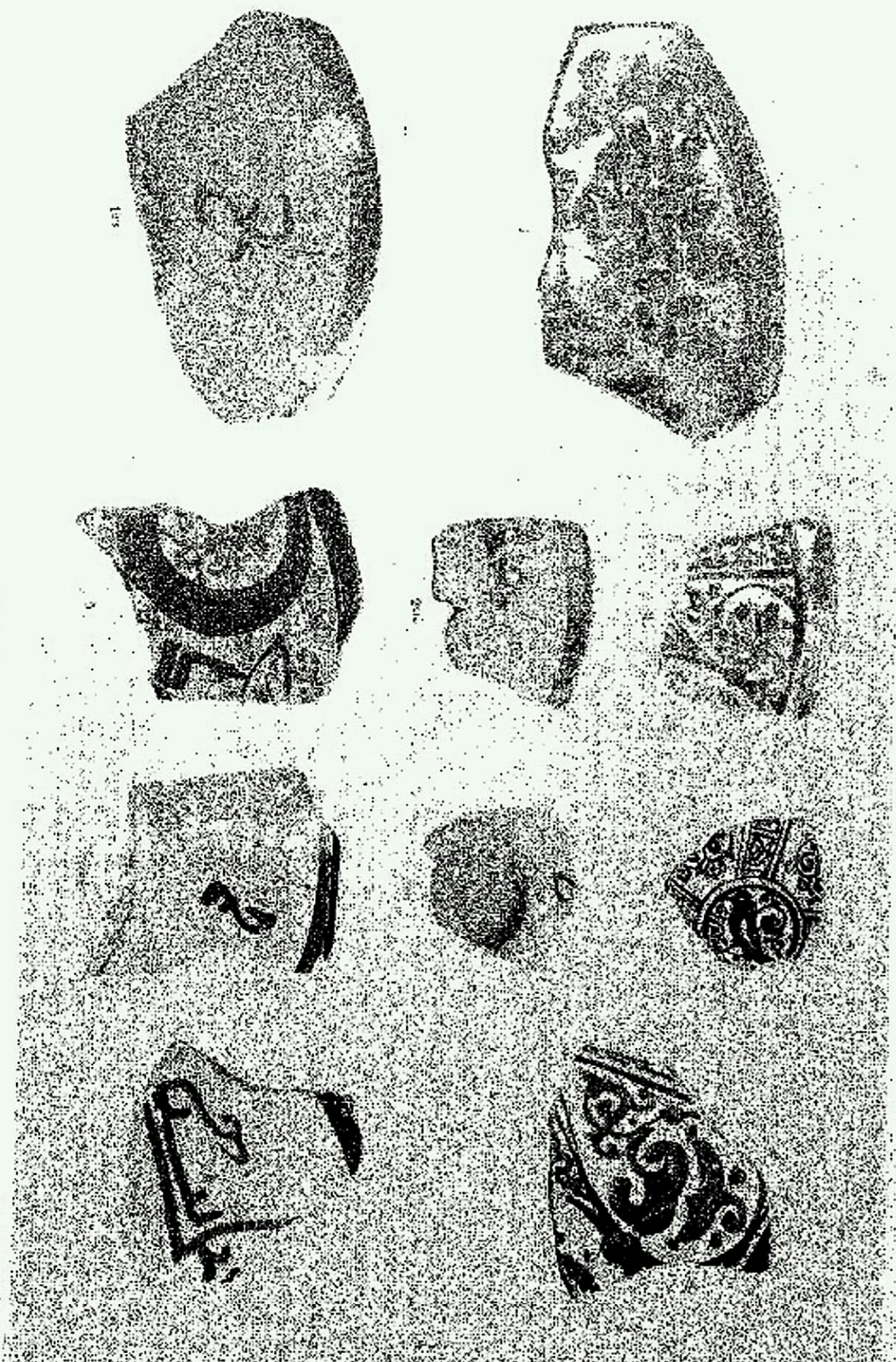
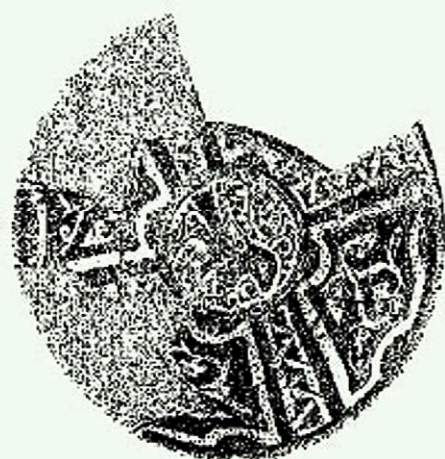
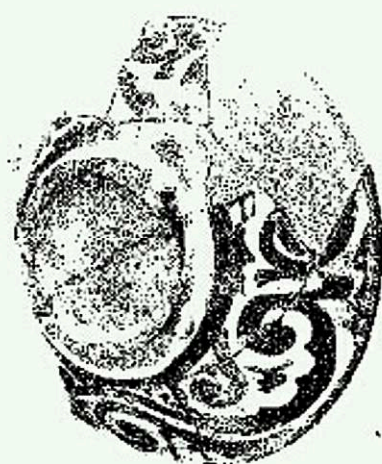


Figura 101-102
Vereda.



1



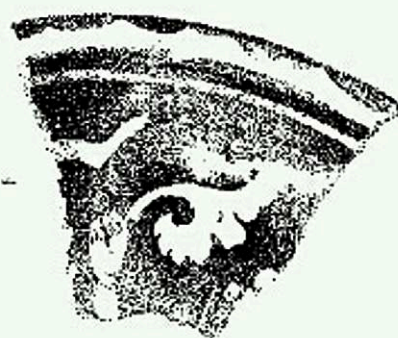
2



3



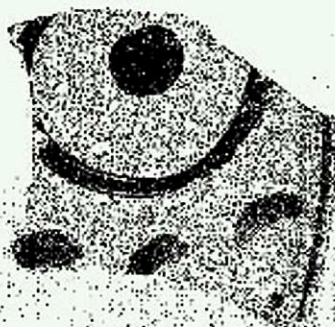
4



5

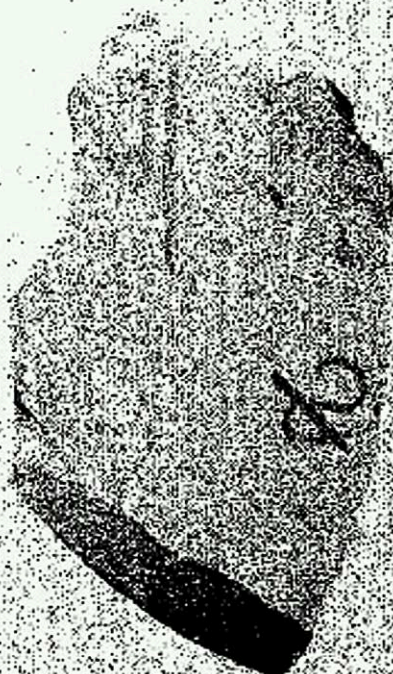
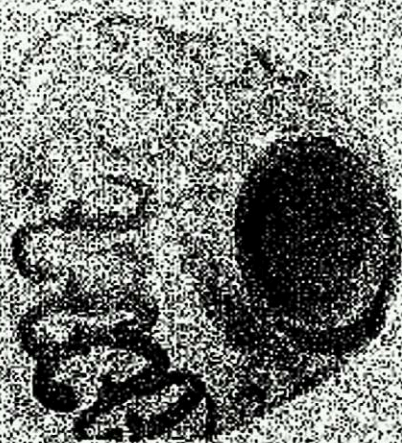
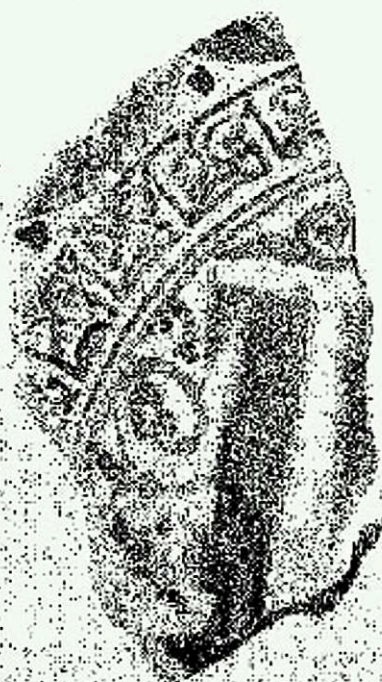
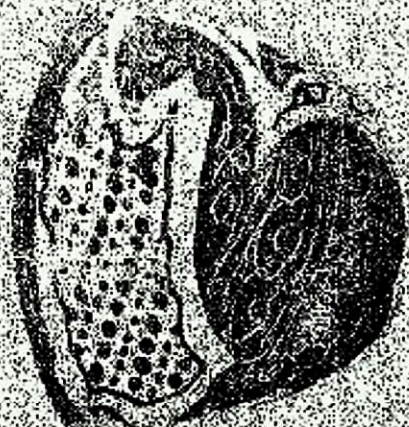


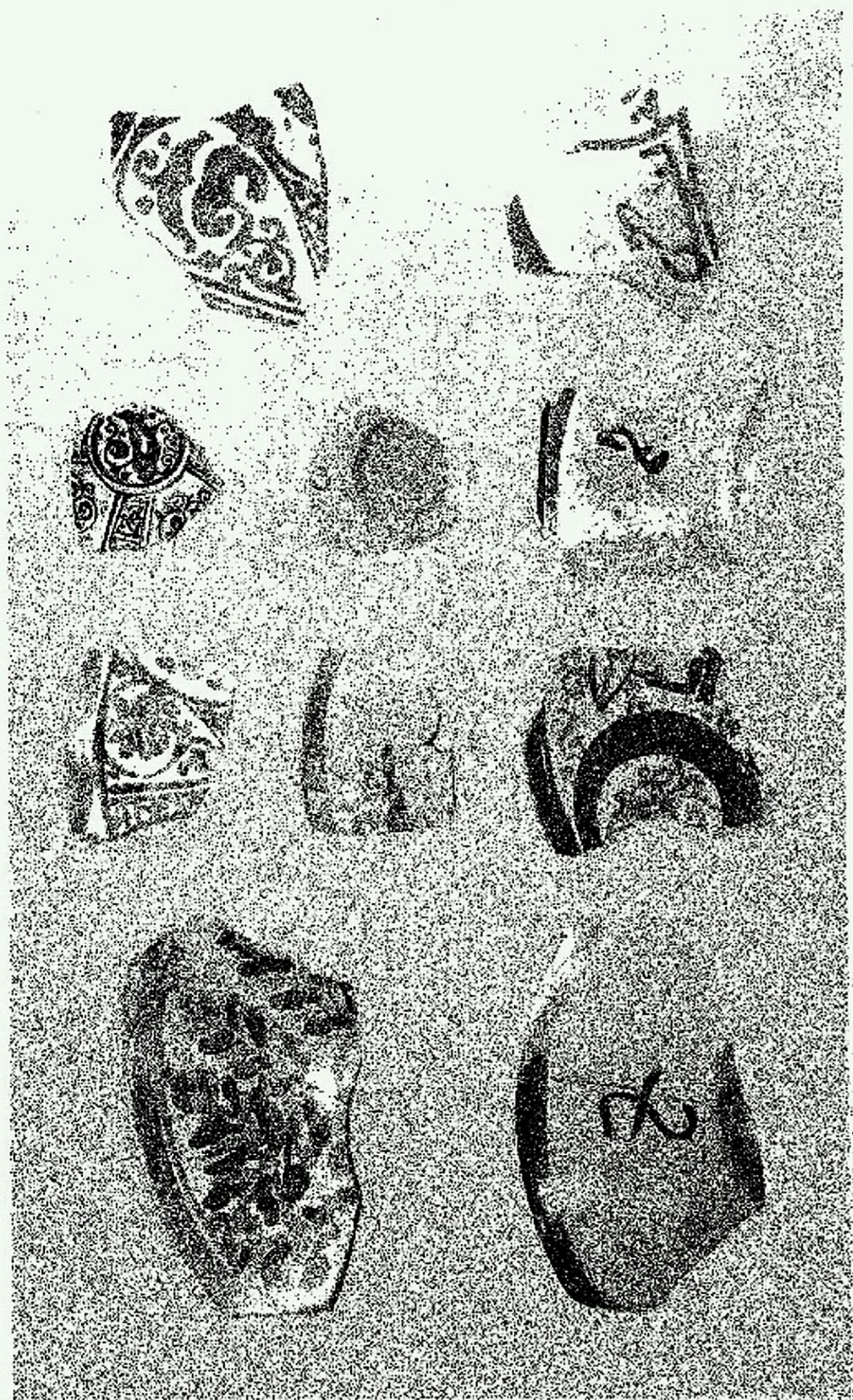
6

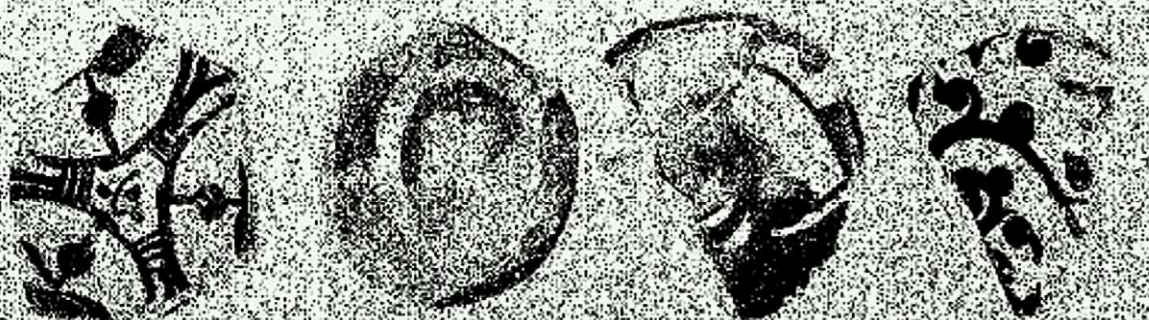
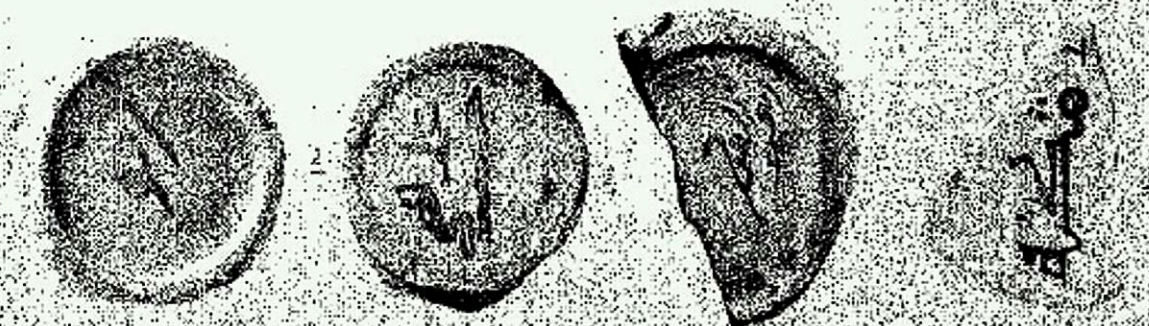
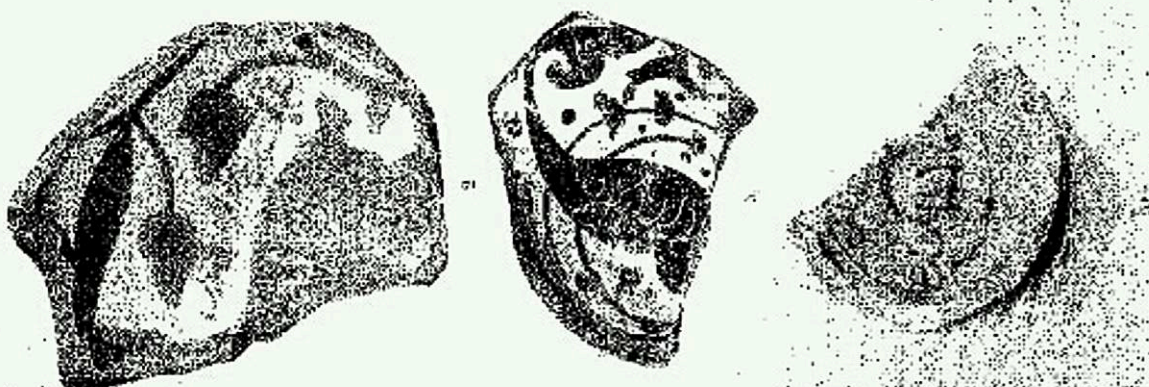
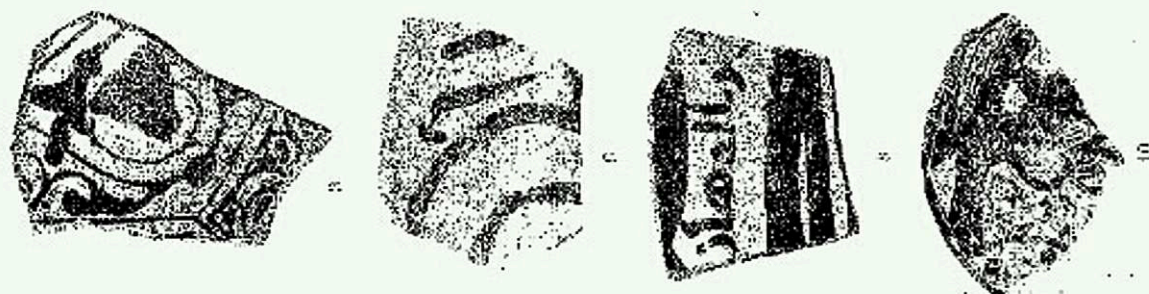
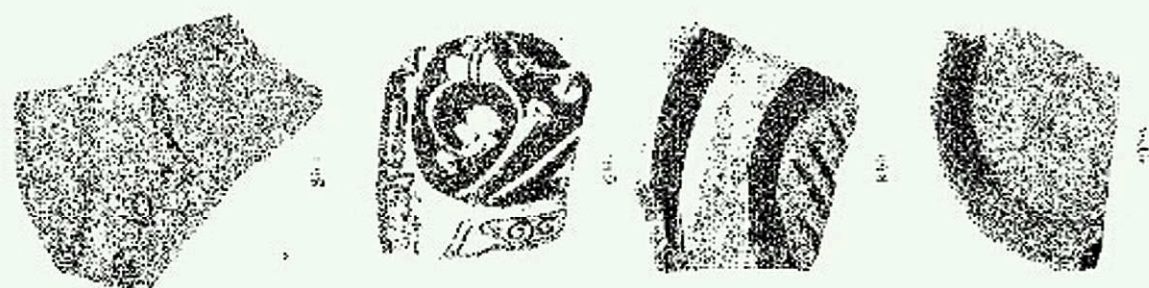


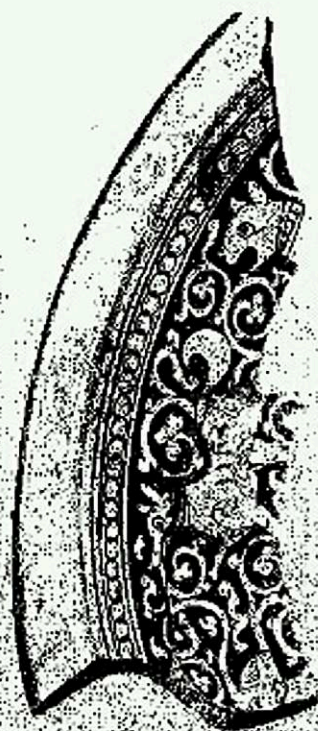
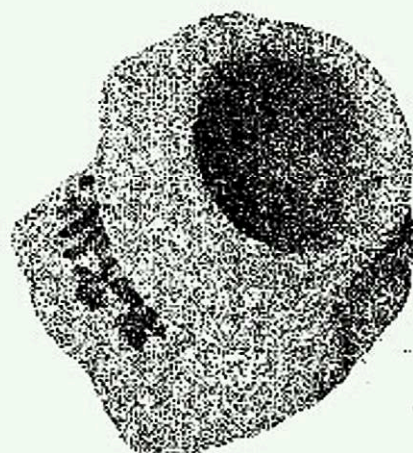
7

Figures 1-7. Fossils of the genus *Leptæna* from the Middle Devonian of the West Virginia.









(Flange of vase; find
large fragment of vase)